جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الجزائر في كتابات توماس(إسماعيل)أوربان
1812 – 1884
دراسة تاريخية تحليلية

مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطّالب: مصطفى عبيد
إشراف الأستاذ: أبو القاسم سعد الله

السنة الجامعية: 1428- 1429 هـ / 2007 – 2008 م

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الجزائر في كتابات توماس(إسماعيل)أوربان
1812 – 1884
دراسة تاريخية تحليلية

مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر

أعضاء لجنة المناقشة : السّادة الأساتذة :
1- الدكتور : شاوش حباسي رئيسا
2- الدكتور : أبو القاسم سعد الله مشرفا مقررا
3- الدكتور : مولود عويمر عضوا
4- الدكتور : محمد العربي معريش عضوا

إعداد الطّالب: **مصطفى عبيد**
السنة الجامعية: **1428- 1429 هـ / 2007 – 2008 م**.

شكر واعتراف

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين.

تمّ بحمد الله وعونه إنجاز هذا العمل المتواضع الذي آمل أن يكون خيرا على الأمّة. فشكرا لك يا الله.

وإنّنا نجد أنفسنا اليوم مدينين للأستاذ المشرف الدّكتور أبي القاسم سعد الله الذي لم يبخل علينا بالنّصح والإرشاد، إذ تتبّع معنا خطوات إنجاز هذه المذكرة خطوة بخطوة، فاستفدنا منه ومن كتاباته الشيء الكثير إلى أن وصل العمل إلى الصّورة التي هو عليها الآن. فله منّا جزيل الشّكر وخالص التّقدير.

كما نشكر كلّ من قدّم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد. وأخصّ بالذّكر عمّال وعاملات المكتبة الوطنيّة والأرشيف الوطني وأرشيفي ولايتي الجزائر وقسنطينة، وكذا عمّال وعاملات مكتبة الشّهاب الذين كانوا عونا لنا في إحضار بعض كتب أوربان من دور نشرها بفرنسا. إضافة إلى مسؤولي المقبرة المسيحيّة ببولوغين الذين سهّلوا لنا مهمّة الاطّلاع على سجلّ الوفيات وقبر عائلة أوربان بالمقبرة.

الإهـــــداء

إلى من قال فيهما المولى تبارك وتعالى: " واخفضْ لهما جناحَ الذّلِّ منَ الرّحمة وقل رَّبِّ ارْحمْهما كما ربَّيانِي صغيرا" أمّي وأبي حفظهما الله.

إلى إخوتي وأخواتي وجميع أهلي الذين كانوا عونا لي على إنجاز هذه المذكّرة.

إلى كلّ معلّميّ وأساتذتي الكرام الذين ساهموا في تكويني ولم يبخلوا عليّ بنصائحهم وإرشاداتهم.

إلى كلّ من جاهد لتحيا الجزائر بالنفس أو بالمال أو بالقلم.

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

المقدمة:

لا يزال تاريخ الجزائر على مختلف حقبه يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث المتخصص رغم المجهودات التي تبـذل من طرف مؤسسات وأقلام جزائرية، سواء الرسمية منها أو غير الرسمية التي تدخل في مجـال الاهتمـام بتـدوين تاريخنا الوطني تـدوينا ينبع من رؤيتنا نحن لحقـائق الأمـور في إطـار المدرسة التاريخية الجزائريــة، لتمحيص الغث من الســمين مما سجلته لنا ولا تزال تسجله المدرسة الاستعمارية.

ذلك أن إيماننا بتــدوين تاريخنا هو نتــاج قناعتنا المتمثلة في أن من حق الجزائر أرضا وشـــعبا علينا نحن البـــاحثين خصوصا، هو تخليد هذا التـاريخ الـذي كـان حقا تاريخا حـافلا، سـيما وأن الجزائر شـهدت على حيـاة الإنسـانية منذ أقـدم العصــور كما تؤكــده البحــوث الأثريــة. هــذا على البــاحثين الجزائـريين عمومـا، أما ما يتعلق بنا نحن البـاحثين من أبنـاء جيل الاستقلال فالمسـؤولية على عاتقنا مضـاعفة، فلا بد أن نتهيّأ لحمل رسالة الباحث الوطـني العِلْمي، بما يحمله هـذان المصطلحان من معـنى، هـذا من جهـة، وعلينا أن نتحمل من جهة أخرى مسؤولية الجهاد الثقـافي تكملة لما قـام به الآبـاء والأجــداد من جهــاد بــالأنفس والأمــوال، ومنهم بعض من المؤرخين أمثال الدكاترة أبو القاسم سعد الله وجمال قنان، ويحيى بوعزيز ومحفوظ قـدّاش (رحمهما اللـه)...وآخـرين لا يسع المقــام لــذكرهم. ذلك أن الأمة المتواصــلة مع تاريخها متفاعلة معه لهي أمة حيــة، حــددت جيــدا مفــاتيح قوتها المعنوية والأدبية والروحية تتجسد في هوية راســـخة وثابتة الأصل لا تزعزعها لا التيارات الفكرية المسمومة ولا أساليب السـلخ والسـلب الحضـاري ذات الوسـائل المتعـددة، مما يضمن لهذه الأمة استقلالا حضاريا وشخصية وطنية متميزة.

ومن تلك المواضيع الـتي تحتـاج إلى تعمق في الدراسة نجد هذا الموضوع الذي اخترناه عنوانا لمـذكرتنا هـذه وهو :"**الجزائر في كتابــات تومــاس (إســماعيل) أوربــان 1812 - 1884. دراسة تاريخية تحليلية**".

ولا يــزال أوربــان شخصــية غامضة في تــاريخ الوجــود الفرنسي بـالجزائر ذلك أنه جمع بين كثـير من المتناقضـات، فهو يـرى نفسه مسـيحيا ومسـلما كما كـان يـرد عن متّهميه بالموالاة للمسلمين، وهل اعتنق الإسلام عن قناعة أم تضليلا

للعرب والمسلمين لكسب ثقتهم والتغلغل في أوساطهم؟. وهو فرنسي مولّد اعتبره الفرنسيون طبقا للقانون الفرنسي السائد آنذاك مواطنا من الدرجة الثانية. كما أنّه أيّد الاحتلال ووقف مع الجزائريين ضد جشع المعمرين الذين عادَوْه من أجل مواقفه هذه. تميّز بقوة توالد الأفكار حول التمكين للاحتلال، وبحسن التدبير في كيفية جعل الجزائر مستعمرة فرنسية طيّعة على المدى البعيد ربحا للطاقة والجهد الفرنسيين اللذيْن دعا إلى توفيرهما واستغلالهما في عمليات بناء مؤسسات الاستعمار بالجزائر، عاجزا عن الجهر بأفكاره هذه فنشرها تحت اسم مستعار تارة وتحت اسم مجهول تارة أخرى. وتحت أسماء مسؤوليه العسكريين مرة ثالثة.

-*الإشكالية والتساؤلات

ولكل ذلك حاولنا حصر إشكالية الموضوع في " **ماهية طبيعة النظام الاستعماري الذي أراد أوربان تطبيقه في الجزائر**". ونقول النظام الاستعماري لأن أوربان ومن خلال البحث تبيّن لنا أنه رجل ذو نظرة استعمارية عميقة باحثة عن التمكين للاستيطان الفرنسي على أرض الجزائر بطريقة ذكية، تجعل الجزائريين هم من يدافعون عن الوجود الفرنسي على أرضهم حينما يشعرون باحترام المعمرين لهم، وبعد أن تظهر الإدارة الفرنسية بمظهر العامل على تحقيق مصالحهم والحافظ على حقوقهم. ثم عملنا على تبسيط هذه الإشكالية بتساؤلات فرعية أبرزها جاء كالآتي:

- من هو أوربان أولا وما محيطه الاجتماعي والثقافي؟.
- ما نظرة أوربان للمجتمع الجزائري؟.
- ما حقوق الشعب الجزائري في نظر أوربان؟.
- فيم تتمثل واجبات الإدارة الفرنسية تجاه الشعب الجزائري؟.
- ما الطرق التي رآها أوربان ناجعة للتمكين للإدارة الفرنسية التي تدّعي نشر الحضارة؟.

- ما رؤى أوربان في كل ذلك؟. وإلى أي مدى ساهم في تجسـيد قناعاته على أرض الواقع الجزائـري ما دام قد تـولى مناصب حكومية؟.
- فيم تمثلت أهداف أوربـان من وراء أفكـاره هـذه، وما مدى علاقتها بالتيار السانسيموني الذي كـان فـاعلا بـالجزائر عهدئذ؟.

هـذه الأسـئلة المحورية وأخـرى أردنا الإجابة عنها قـدر المسـتطاع في مضـمون هـذه المـذكرة، متّبعين في ذلك المزاوجة بين الأسلوبين التاريخيين الوصفي والتحليلي. فأما الأسـلوب الوصـفي فوظفنـاه فيما لا يمكن تحليله في بعض الجـوانب الخاصة بحيـاة أوربـان كطبيعة مولـده أو مشـارب ثقافتـه... أما الأسـلوب التحليلي فقد طغى على المـذكرة حيث اسـتخدمناه كلما وجـدنا إلى ذلك سـبيلا، إيمانا منا أن المواضـيع التاريخية إنما تسـتمد حياتها والعـبرة منها من الأسلوب التاريخي التحليلي لا سيما إذا حسُن توظيفه.

-*حدود الدراسة

أما حـدود الدراسة فشـملت الفـترة الممتـدة من 1812 وإلى غاية 1884 باعتبارها تمثل حيـاة أوربـان، وقد اعتمـدناها في العنوان اقتناعا منّا بأن أفكـاره الـتي آمن بها وعمل على تطبيقها في الجزائر لا يمكن بأية حال من الأحوال فصلها عن نشأته. ولكننا ركزنا على الفترة الممتدة من 1837 وإلى غاية 1870 وهي الفترة التي تمثل حيـاة أوربـان في الجزائـر. فهو قد دخل الجزائر في 1837 كمـترجم لـدى الجـنرال بيجو *Bugeaud* وامتد وجـوده هنا إلى غاية سـقوط الإمبراطورية الفرنسـية الثانية سـنة 1870. وانتهى بـذلك دور أوربـان والعسكريين عموما وعلى رأسهم الإمبراطور نابليون الثالث بالجزائر التي تحول الحكم فيها إلى أيدي المـدنيين النـاقمين على سياسات أسلافهم العسكريين.

-*أسباب اختيار الموضوع

وقد اجتمعت جملة من الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع:

1- حـبي الشـديد لمواضـيع التـاريخ الوطـني. خاصة ما تعلق منها بالفترة المعاصرة بحكم التخصص.

2- الرغبة الملحة في عرض – على الأقل – تنظير شخصيات تركت بصماتها على تاريخ الجزائر عموما وتاريخ الفترة الاستعمارية بصفة خاصة، ومن بين هذه الشخصيات توماس أوربان من خلال الطرح الاستعماري الذي نادى به. وذلك لأهمية هذا الجانب في تحقيق النجاح في أي عمل.
3- محاولة الاطّلاع والاطْلاع على زاوية أخرى لوجهة النظر الاستعمارية، تؤيّد الاحتلال وتزكّيه ولكن بطريقة مختلفة مع النظرة المطبقة، اختلافا هاما إلى حد التناقض أحيانا.
4- محاولة اكتشاف حقيقة الاستعمار بنزع الغطاء عن جرائمه، من خلال موقف الرفض لسياسة أوربان من طرف غلاة المعمرين.

-*المصادر والمراجع

وفيما يخص مصادر ومراجع هذه المذكرة فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على كتابات أوربان شخصيا والتي اشتملت على أربعة أنواع:
الكتابان اللذان ألفهما وهما " الجزائر للجزائريين" و" الجزائر الفرنسية". وكذا الرسالتان اللتان بعث بهما الإمبراطور نابليون الثالث إلى كل من بيليسيي *Pélissier* وماكماهون *Mac Mahon* سنتي 1863 و 1865 على التوالي وقد حملتا أفكار أوربان بشهادته هو وشهادة الإمبراطور نفسه.
المخطوطات التي تركها أوربان وطبعت بعد وفاته. وقد حصلنا عليها مطبوعة في كتابين، الأول نشره فيليب رينيي *Philippe Régnier* رئيس مؤسسة أصدقاء إسماعيل أوربان والدراسات السانسيمونية بفرنسا تحت عنوان "رحلة الشرق متبوع بأشعار مينيلمونتون ومصر"، أمّا الكتاب الثاني فقد نشرته الأستاذة الفرنسية آنّ لوفالّوا *Anne Levallois* المتخصصة في علم النفس والأنتروبولوجيا وكذا التحليل النفسي الذي تمارسه بباريس منذ 1972، وهي عضو في مؤسسة أصدقاء إسماعيل أوربان التي يرأسها رينيي.
وهناك النوع الثالث من كتابات أوربان وهي مقالاته التي نشرها في الصحف التي كتب فيها كجريدة الزمن وغيرها... أو مراسلاته مع أصدقائه المقربين كغوستاف ديشتال

Gaustave d'Eichthal وأونفونتان *Enfontain*، أو التقارير التي كـان قد كتبها لمسـؤوليه. وقد زودتنا هـذه المصـادر بمـادة حية كشفت لنا الكثير ممّا كنّا نجهله عن أوربان. وقد اطّلعنا على نصـوص مهمة من تلك المقـالات والمراسـلات جمعها لنا ميشـال لوفـالّوا *Michel Levallois* المـؤرّخ المتخصص في الدراسـات السانسـيمونية والعضو في المؤسسة المـذكورة هو الآخر.

أما النوع الرابع فتمثل في تلك البحـوث الـتي قـام بها أوربـان للتعمّق في فهم المجتمع الجزائـري وخدمة أيضا لجهود اللجنة العلمية لاكتشـاف الجزائـر، كالمعلومـات الـتي توصّل إليها عن الشاوية والـتي قـدّمها لأونفونتـان ثم نشـرها (أوربـان) في متـون بحثه الـذي أعـدّه فيما بعد عن مقاطعة قسنطينة. وإضافة إلى بحثه هـذا الـذي أعـدّه عن قسـنطينة نجد بحثه الثـاني والمهم هو الآخر والـذي تنـاول إقليم الـتيطري. ولا يسـعنا هنا إلاّ أن نشـير إلى أن الأسـتاذ " أبو القاسم سعد الله" قد أشـار إلى أنّ أوربـان قد أعـدّ بحثا عن الواحـات، ولكننا نقـول إنه من الـراجح أن يكـون أوربـان قد كتب ذلك خاصة وأنه شارك الإمبراطور سفريته التي شملت أغلب منـاطق الجزائر بما فيها الصـحراء، ولكننا لا نسـتطيع تأكيد ذلك الآن لأننا لم نجد ما نؤكّد به خاصة من سـيرة أوربـان الذاتية والـتي أشـار فيها إلى البحـثين عن كل من قسنطينة والتيطري ولم يشر فيها عن بحثه حول الواحات.

وإذا مثّلت لنا هذه المصادر المادة الخام لدراستنا فإنّ هنـاك مصـادر أخـرى كـان لا بد من العـودة إليها لإعـداد هـذا البحث وعلى رأسـها كتـاب مارسـيل إيمـيريت *Marcel Emerit* الذي تنـاول "السانسـيمونيون في الجزائـر" وهو كتـاب هـام في دراسة السانسـيمونيين وليس أوربـان ممّا جعلنا نتيه في كثـير من الأحيـان في عملية التفريق بين ما هو لأوربـان وما هو للسانسيمونيين.

والملاحظ على هذه الكتابات الفرنسية أنها لم تخل من تمجيد الاسـتعمار ولو بطريقة غـير مباشـرة من خلال ما تضـمّنته من إشـارات خفية أو ما تصـرّح به علنا من أنّ الاسـتعمار قد نشر التمـدّن والحضـارة وأن جيش إفريقيا قد عمل ما لم يعمله جيش في العـالم بأسـره اعتبـارا لما قدّمه

من خدمة وبناء للقرى الفلاحية وللمـدن والأشـغال العمومية على حدّ زعم الفرنسيين الذين تناسوا أن هذا الجيش قد قام بما لم يقم به جيش في العـالم من إبـادة الجزائـريين العـزّل وعلى رأســهم النســاء والولــدان، لأن الرجــال قد التحقــوا بصــفوف المقاومة رافضــين له ولإدارته الــتي تقف وراءه، ناهيك عن اســتباحة الأعــراض والنهب والســرقة والجشع وضـرب الهوية في الصـميم، ناشـرا بـذلك كل ما يتنـافى مع الرّوح الإنسانية. وهذا ليس ادّعاء كما قد يبـدو، وإنّما حقـائق ترويها الروايـات الفرنسـية نفسـها. دون أن ننسى أن هـذه الأعمــال الــتي قــام بها هــذا الجيش المتعطش لــدماء الجزائـريين المسـلمين، والـتي وصـفت من طـرف الكتّـاب الفرنسيين بالأعمال الإيجابيـة، فإنها في حقيقة الأمـر، خدمة لفرنسا ذاتها الـتي كـانت قد صـمّمت على البقـاء على أرض الجزائر الــــــتي ألحقتها بها عن طريق الاحتلال أولا ثم عن طريق دســتور الجمهورية الثانية الــذي نصّ رســميا على أن الجزائر فرنسية.

كما اعتمدنا على مراجع عربية بأقلام جزائرية ويأتي في مقــدمتها كتــاب الحركة الوطنية الجزائرية في جزئيه الأول والثاني وكذلك كتاب تاريخ الجزائر الثقافي في جزئيه الثالث والسـادس، وكلا الكتـابين لأبي القاسم سـعد اللـه، فوجـدنا فيهمـــا، وفي غيرهما من كتب المـــؤلّفين الجزائـــريين، المعلومات التي تفيدنا في تحصين أنفسنا من الشكوك الـتي أراد المؤرخـــون الفرنســيون بثّها في كتبهم. ومن المراجع العربية الأخرى الهامة في عملنا هذا نذكر أيضا كتب احميـدة عمــيراوي ويحــيى بــوعزيز وهي مــذكورة كلها في أماكنها بالمذكرة.

-*تبويب المذكرة

تناولنا موضوع المذكرة هـذه والـذي هو " الجزائر في كتابـات تومـاس (إسـماعيل)أوربـان" في ثلاثة فصـول عنونّا **الأول** منها بـــــــ " **أوربـــــان من التّشـــــرّد إلى التّنظــير**"وتناولنا فيه بالدراسة نشـأة أوربــان واكتشــافه الشـرق (العـالم الإسـلامي) عموما ومصر خصوصا من خلال إقامته بها بين 1833 و 1836، والــتي كــانت شــاهدة على اعتناقه الإســلام عن طواعية من خلال ما انتهى بحثنا إليــه،

بعد أن راودتنا الشكوك في إمكانية أن يكـون إسـلامه مجـرد تكتيك يـــــدخل من خلاله إلى دواخل المجتمعـــــات العربية الإسلامية لفهمها وإعـداد الـبرامج الاسـتعمارية الملائمة لهـا. كما أشـــرنا من خلاله أيضا إلى قـــدوم أوربـــان إلى الجزائر والـذي كـان في أفريل من سـنة 1837 وإلى أهم النشـاطات التي قام بها بالجزائر، ولـذلك رأينا من المفيد أن نشـير أيضا إلى الوضع العام بالجزائر منذ تنفيذ الاحتلال سـنة 1830 وإلى غاية رحيل أوربان عنها سـنة 1870. وباعتبـار أن أوربـان كـان شخصية متميّزة في عصـره بما يحمله من خصـائص مناقضة للمعمّــرين الآخــرين فقد رأينا من الضــروري أن نشــير إلى العوامل المـؤثرة في تكوينـه، وهي العوامل الـتي حصـرناها في عقــدة الميلاد لما كــان لها من أثر واضح على شخصــية أوربــان مع تــأثيرات أخــرى تركتها فيه عوامل أخــرى هي : الفكر السانسـيموني الـذي اعتنقه أوربـان والـذي وجد فيه الآمال التي يريدها من إخاء وحب للإنسانية والنضال من أجل خـدمتها أو، على الأقـل، كما يـدّعي أنصـار هـذا التيـار وهم أصـدقاء أوربـان الـذين أثّـروا فيه هم الآخـرون. كما رأينا من خلال دراستنا لأوربان أن هناك عاملا آخر أثّر على أوربان كما صــرّح بــذلك هو شخصــيا ألا وهو تعلّقه بالشــرق وبالحيــاة العربية الإسلامية عموما.

أمّا **الفصل الثاني** فقد خصّصناه **لكتابات أوربان** المتعلّقة بالجزائر والتي قسّمناها حسب تنصيفاتها الرّئيسـية على الترتيب التالي : الكتب والرسائل والبحوث ثم التقارير. حيث شـــملت الكتب ما ألّفه أوربـــان وتركه مطبوعا وهما كتـاب "الجزائر للجزائـريين" الـذي طبع سـنة 1861 وكتـاب "الجزائر الفرنسـية" الـذي طبع في السـنة الموالية(1862) ولكننا اعتمدنا على النسخة التي أعاد ميشـال لوفـالّوا طبعها سـنة 2005. هـذا إضـافة إلى كتـابي رحلة الشـرق والسـيرة الذاتية. ونـودّ أن نشـير هنا إلى أننا تناولنا بالدراسة الكتـابين الأوّلين فقط لاهتمامهما المباشر بتاريخ الجزائر فيما اقتصرنا بالإشــارة إلى كتــابي الســيرة الذاتية ورحلة الشــرق في أماكنهما في الهـــوامش رجـــاء إطْلاع القـــارئ فقط لأنّ محتوياتهما لا تهم تــاريخ الجزائر في شــيء، فــالأول تــأريخ لحيــاة أوربـــان ويومياتـــه، وما أفادنا منه أشـــرنا إليه في

الهوامش – كما أسلفنا الذكر- كمصدر يعود إليه القـارئ، أما الثاني وهو كتـاب رحلة الشـرق فتتوقف أحداثه في مـاي من سـنة 1836 أي قبل دخـول أوربـان الجزائر بحـوالي سـنة بأكملهـا. هـذا، وقد نُقبل في مسـتقبل الأيـام، إن كـان ذلك ممكنـا، على نشر أعمـال أوربـان هـذه أو ترجمتها أو إعـداد دراسـات حولها مسـتعينين في ذلك بمن يمكن أن يفيـدنا خاصّة في الـذّوق الأدبي لإعطـاء الأشـعار حقّها من الدّراسة حتى نتمكّن من الاستفادة منها على الوجه المقبول.

وقد يستوقف الدّارس لهذه المذكرة –مباشرة مع تصفّحه المبحث الثاني من هذا الفصل- سؤال هام وهو: إذا كان هـذا الفصل يتعلّق بكتابـات أوربـان فما سـرّ تعرّضـنا لرسـالتي الإمـبراطور من خلالـه؟. وجوابنا هـو: تطرّقنا إلى رسـالتي الإمـبراطور لسـنتي 1863 و1865 وعـددناهما من كتابـات أوربـان لأنّ الأولى مسـتوحاة من كتابه الرّئيسي "الجزائر للجزائـريين" الـذي كـان قد نُشِـر سـنة 1861 بشـهادة الإمـبراطور نفسـه، وأمّا الثانية فهي نفسـها الكـتيّب الـذي قدّمه أوربـان إلى الإمـبراطور يـبرز فيه وجهة نظـره فيما يتعلّق بالأوضـاع في الجزائـر، فحوّله الإمـبراطور، بعد أن أعجب بما جاء فيـه، إلى الحـاكم العـام بـالجزائر الماريشـال ماكمـاهون فيما عُـرف تاريخيا برسـالة 1865 المتعلّقة بالأحوال الشخصية للجزائريين تحت الاستعمار.

وتناولنا في المبحث الثالث البحوث التي كتبها أوربان وقد تمثّلت في بحثه حـول إقليم قسـنطينة الـذي أعـدّه رفقة الدّكتور وارني *Warnier* سنة 1841، وقد جمع أوربان معلومات هامة عن هـذا الإقليم أشـرنا إلى أهمّها في العـرض الـذي قدّمناه هنا وكـذلك البحث الـذي كتبه سـنة 1843 حـول إقليم الـتيطري والـذي نقـول عنه ما قلنـاه عن سـابقه. ولكن الملاحظ هنا هو أننا لم نركّز كثيرا على دراسة هـذه البحـوث حين عرضها، لأنها لم تكن أكثر من أنها أعمال سرديّة وصفيّة تصف التنظيم الإداري والنـاحيتين الاجتماعية والمادّيّة في شكل جعلها لا تضـيف شـيئا إلينا اليـوم باسـتثناء أنها مصـادر حيّة شـاهدة على معطيـات تاريخية تتعلّق بتاريخنـا. ولكنّها كانت ذات قيمة كبيرة بالنسبة للإدارة الفرنسية آنذاك تفيدها في دراسة المجتمع الجزائـري وتسـاعدها على التحكم فيـه.

فكـانت تلك الأعمـال مرشـدا ودليلا فعّـالا لإعـداد السياسة الفرنسـية بـالجزائر، جعلت أوربـان يتبـوّأ مكانة المستشـار وكذلك منصب المكلّف بالشؤون الأهلية.

أمّا **الفصل الثالث** فتناولنا فيه **دراسة أفكار أوربان (تحليل واستنتاج)** وحاولنا تبسـيطها تحت عنـاوين فرعية تغطّي فـترة وجـود أوربـان بـالجزائر فيما بين 1837 و 1870. مشــيرين في ذلك إلى أهم أفكــاره في كيفية إدارة الجزائر ســواء ما تعلّق منها بـالمجتمع الجزائــري (إدارة القبائل كما تسمّيها فرنسا نكرانا منها لوجـود أمّة جزائرية موحّـدة) أو ما تعلّق منها بملكية الأرض أو الأحـوال الشخصـية أو الزراعة أو الإعلام أو التعليم. ولكننا لا نــدّعي هنا أننا قد أتينا على كل ما قام به أوربـان، وإنّما اكتفينا بما وجـدنا الـدليل عليـه، خاصّـة وأننا وجـدنا صـعوبات كبـيرة في التفريق بين أعمـال أوربـان في الجزائر وبين الأعمال التي كـان يـدعو إليها أنصـار التيـار السانسيموني.

كما أننا نؤكّد هنا أن هـذه المـذكرة لم تهتم بدراسة السياسة الفرنســية بــالجزائر بمختلف جوانبها وإنّما اكتفينا فقط بما يخـدم الموضـوع، ولـذلك قد يلاحظ القـارئ إهمـالا لبعض المواضيع التي رأيناها ليست من اختصاص هذا البحث من مثل الدراسة المعمّقة لأوضــاع الجزائر فيما بين 1830 و 1870 أو سياسة المملكة العربية عمومــا، والــتي لم نتنــاول منها إلاّ ما ثبت لنا أنه من أعمـال أوربـان شخصـيا كما سـبق وأن أشرنا.

كما أننا نشير هنا إلى أننا شعرنا فعلا بصعوبة العمل في هــذا الموضــوع وتشــعّبه وحمله بعض التنــاقض في أفكــار أوربان، خاصة وأننا حاولنا أن نجعل من هذا الموضــوع تأريخا للجزائر وليس لشخصــية أوربــان. أما التنــاقض فتمثّل فيما كان ينادي به أوربان من دفاعه عن احـترام الأهـالي وإلزامية بقــائهم على أراضــيهم ووضع حــدّ لســيطرة المعمّــرين وجشعهم في وقت كانت أفواه الجزائريين مكمّمة، بل شـهد الفرنسيون بأنفسـهم أنّهم أبـادوا من الشـجعان كل سَـمَيْدَع كما سـنرى، ولكنه في الـوقت نفسه كـان داعيا إلى التمكين لإلحـاق الجزائر بفرنسا وعـاملا على إقامة ما أصـبح يُعـرف

فيما بعد بالاتحـــاد الفرنســـي. نقـــول هـــذا رغم اعترافنا أن أوربان كان أفضل من دعاة الإبادة طبعا.

-*العوائق والصعوبات

وككل باحث كانت العوائق التي صادفتنا كثيرة ومنها ما ساهم بشكل وافر في الحد من تسريع إنجاز هـذه المـذكرة، كما كنّا نأمـل، ونعـني بـذلك صـعوبة الحصـول على مصـادر أوربـان الـتي وصـلتنا من فرنسا عـبر مكتبة الشـهاب الـتي توسّـــطت لنا مع الناشـــرين المعنـــيين في فرنســـا. ورغم المحاولات الجادّة والمتكـرّرة إلاّ أن تلك الكتب لم تصـلنا إلاّ خلال الفـترة الممتـدّة بين شـهري فيفـري ومـاي من سـنة 2006، وقبلها كنّا لا نـزال في العموميـات المتـوفّرة حـول أوربـــان. كما أن مهمة التعليم الثـــانوي الـــتي نمارســـها قد صعّبت علينا مهمة البحث خاصة في ظل الإصلاحات التربوية الـــتي تطبّق الآن وما يـــترتّب عنها من ضـــرورة الاهتمـــام بمتطلباتها.

الفصل الأوّل

أوربــان من التّشــرّد إلى التّنظير

1- النّشأة
2- اكتشاف أوربان الشرق وإقامته في مصر
3- العوامل المؤثّرة في تكوينه الثقافي
4- نبذة حول الأوضاع العامة بالجزائر 1830 – 1870
5-قدوم أوربان إلى الجزائر
6- نشاطات أوربان بالجزائر
7- وفاة أوربان

النّشأة:

وُلِد توماس(إسماعيل) أوربان *Thomas Ismayl Urbain*[1] بمدينة كايان عاصـمة غويانا بتـاريخ 31 ديسـمبر 1812 م، من الأب أوربان برو *Urbain Brue*، بحّار وتاجر سمسار في تجـارة الرّقيق ينحـدر من مرسـيليا، ومـتزوّج بهـا، ومن الأم أبّـولين *Appoline* وهي أَمَةٌ بنت أَمَةٍ، حيث أن أمها لويز سـيفرين *Louise Séverin* هي الأخـــرى مولّـــدة أعتقت ســـنة 1793 م من قبل

---

[1] - يؤكّد أوربان ذلك حين يقول في بداية قصيدته : "في مرآة الأب" *Au miroir du père* " :

اسمي توماس أوربان
ولدت في كايان
لأب أبيض وفتاة ملوّنة.

ويقول في مقطع آخر من هذه القصيدة: أنا الابن الشرعي
للسيد أوربان برو
يجب أن أكون طبيبا أو تاجرا.

للاطّلاع على القصيدة كاملة يُنظر : فيليب رينيي.**إسماعيل أوربان، رحلة الشرق متبوع بشعر مينيلمونتون ومصر**.*Philippe Régnier .**Ismayl Urbain .Voyage d'Orient .suivi de Poème de Ménilmontant** et d'Egypte.L'Harmattan.1993.p 245- 246.*

كما يُراجع أيضا ما كتب احميدة عميراوي في المبحث الذي خصّصه لإسماعيل أوربان بكتابه : **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر .ط2. 2004. تحت عنوان: " إسماعيل عربان والسياسة الفرنسية في الجزائر. ص 119- 134. ولمّا كنت قد تتلمذت على يد الأستاذ عميراوي حينما كنت طالبا بجامعة قسنطينة، ثم علم بأنني أشتغل حول إسماعيل أوربان أهدى لي الكتاب المذكور بتاريخ 05 ديسمبر 2004 بالأبيار. فجزاه الله خيرا ونفع بعلمه الأمّة.

زوجها فرانسوا لومون *François Lhomond*[1][2]، على عادة النّاس آنذاك.

عاش توماس حياة ملؤها الفقر والشقاء، وأوّل ما عاناه مشكلة النّسب، حيث كان عديم اللقب، إذ نُسب أول مرة لأمه، ولذا كانت وثائقه بالحالة المدنية تثبت توماس أبّولين،باعتبار أن أباه عمل طول حياته لتبقى أبوّته مجهولة حتى من أقربائه. فعمل على تزوير وثائقه على أساس أنه ابن "جون بابتيست أوربان *Jean Baptiste Urbain* ، زوج أبولّين سيفرين *Apolline Séverin*[3] الذي كان يعمل نجّارا.

هذه الوضعية تجاه الحالة المدنية جعلت توماس يعيش أزمة هوية حقيقية أدت به إلى إخفاء ذلك عن السلطات العسكرية، ولم يستعمل أوراقه في هذا الإطار أبدا[4]، إلى أن وصل إلى حل لها بشِقِّ النفس إثر عودته إلى مرسيليا من مصر سنة 1836 م، وهو يجسّد هذه الحسرة في زفراته حين قال :"لا أريد أن أحمل اسم برو".[5]

درس توماس بمرسيليا وحصل منها على شهادة الثانوية، والتحق بكلية الطب. وفي كل ذلك كان أبوه برو يرعاه ويتكفل بمصاريفه، إلا أن التحوّلات السياسية بفرنسا سنة 1830 وسقوط الملك شارل العاشر، جعلت والده يطلب نه العودة إلى كايان، فالتحق بها بسبب الظروف المذكورة، وبسبب عدم ارتياحه بالوسط الدراسي في ظل النظرة

---

[1] - ميشال لوفالّوا.**إسماعيل أوربان(1812 – 1884). احتلال آخر للجزائر**. *Michel Levallois .**Ismayl Urbain (1812 - 1884) Une autre conquête de L'Algérie**. Maisonneuve et Larose .Paris 2001.p 31 – 32 .*

[2] - كان فرانسوا لومون مزارعا مقيما بكايان، عاش على الخياطة، إلى أن غادر غويانا سنة 1791، أنجب من لويز بنتين هما "مادلين" و" أبّولين" والتي هي أم توماس. ينظر :المرجع نفسه. ص 31 - 32.

[3] - المرجع نفسه.ص 31.

[4] - المرجع نفسه. ص 31.

[5] - يلاحظ بين مقولته هذه وبين انتسابه إلى أمه " توماس أبولّين "، إلاّ أن الأرجح هو أن " توماس " عاش هاجسا حقيقيا، فالوثائق التي زورها له أبوه تنسبه إلى البنّاء " جون بابتيست أوربان "، والوثائق المسجّلة بالحالة المدنية تنسبه إلى أمه أبّولين، فيما أن انتماء لأسرة " أوربان برو " وهو الذي كان في أعين الناس يكفله، منحه الاسم الشخصي لا العائلي، وهو ما رفضه توماس وأصرّ على ألاّ ينسب إلا للاسم العائلي لأبيه، وفرض اسم " إسماعيل أوربان" سنة 1836 حين أسلم.

العنصـــرية الطاعنة في شخصـــه، إلا أن مكوثه بها لم يطل وسرعان ما عـاد إلى مرسـيليا في جويلية 1831، وهو يـروي السـبب الأساسي لهـذه العـودة المبكـرة وغـير المنتظـرة فيقـول:" واحسـرتاه، هـذه المدينة (كايـان) مليئة بآبـائي، وتنحدر منها أصولي، ولكنني لا أعرف بها أحـدا ولم يسـمحوا لي بمعرفتهم".[1]

وبمرسيليا ازدادت وحشته وفقره، فأما الفقر فاضطره إلى الاشتغال عند بائع صـابون[2] لعلّه يقبض ما يسد به رمقـه، وأما الوحشة –وخاصة بعد أن تـبرأت منه أمه كـذلك-[3] فوجد الأنس في العائلة السانسـيمونية الـتي كـان قد سـمع عنها الكثير عن طريق زملائه، وتأثّر بأفكارها بعد أن أطلعـوه على " *Le Globe* "[4] في العدد الصادر بتاريخ 20 أفريل 1832، والتي قـرأ بها نـداء القـديس سـيمون" *Saint-simon* ":"...اهـتزت العروش، تمزّقت الأسر، اختفى الحب والملـوك، دين جديـد، سياسة جديـدة، أدب جديـد، هـذا ما أحمله إليكم، وأنا الوحيد الذي يمكن أن يقدّم لكم، لأنكم أحببتمـوني وأنا أحبكم...هـذا أعظم يـوم منذ 18 قرنـا، هـذا اليـوم الـذي تـوفى فيه محـرر العبيد الخالـد، ولكي نحتفل بهـذا اليـوم المجيد سـنبدأ عملنا المقدّس وليختف من بيننا آخر أثر من الرّق والعبودية...".[5]

إن هذا النداء يعكس وضعا متدنيا كانت تعيشه أوربا، من انحطـــاط للقيم وتفتت للأسر واختفـــاء للمـــودة، وكـــذا المؤامرات على العرش الملكي الـتي انتهت إلى التنـافر بين الملـوك وشـعوبهم، وإلى ظهـور الاسـتعباد. وهي الظـروف

---

[1] ?- دومينيك شاتيون. **الحلم العربي لنابليون الثالث**.
Dominique Chathiuant. ***Le rève arabe du Napoléon*** *.in Wanadoo.fr/Yekrik*

[2] - المرجع نفسه.

[3] - لوفالّوا.مرجع سابق.ص 33.

[4] - " *Le Globe*" أو " المصباح" تصدر على شكل نداءات تقدّم بها الأب "القديس سيمون"، تحوي الأسس والمباديء التي ينبني عليها مذهبه الجديد، ثم جمعت في كتاب شكّل مرجعية فكرية لأتباعه.

[5] - لوفالّوا. المرجع السابق.ص 33. وسان سيمون هو: كلود هنري دو روفرواي" *Claude Henri de Rovroy* " ولد بتاريخ 1760 ، اقتصادي وفيلسوف عمل على تأسيس مذهب جديد ينبني على الاشتراكية المتّجهة أساسا إلى التنظير والتقنوقراطية، وهو المذهب الذي يحمل اسمه "السانسيمونية". توفي سنة 1825م.

الـتي ورثتها فرنسا والـدول الأوربية عن العصـور الوسـطى كـالرق والاسـتعباد أو بفعل حكوماتها الرجعيـة، ويمكن أن نضـيف إليها النتـائج السـلبية للنظـام الرأسـمالي كاسـتغلال الإنسان للإنسان.

ويمكن القول إن توماس وجد توافقا كبيرا بين ما يعانيه وبين ما جاء في هذا النّداء، فقرر –على الفور- الانضمام إلى السانسيمونية فالتحق بباريس في الفاتح من جوان اسـتجابة لنداء الأب الأعلى الموجَّه إلى " كل الرجـال والنسـاء الـذين يحبوننا ويعتبروننا أملهم"[1].وانخـــرط في ميـــنيلمونتون " *Ménilmontant*" بتـــــاريخ 15 جويلية 1832، وفي ذلك يقـول:"اسـتقطبتني قـراءة كتب السانسـيمونيين، فهـذا بكفاءاته وقدراتـه، وذاك بمؤلفاتـه، فـأعطتني -كمحـروم- الإرادة لبعث الحمـاس في مجتمع يزخر بإمكانيـات النهضة المعطلـة"[2].ودخل بـذلك عهـدا جديـدا مؤمنا فيه بـالفكر السانسـيموني، ثـائرا على الجمهـوريين والإقطـاعيين من الأسرة المالكـة. وباشر مشـروعه الجديد من جنـوب فرنسا وكورسيكا، وكله عزم وأمل على أن تختفي مظاهر العبودية، وأن يتعـايش كل من على المعمـورة شـرقا وغربا في حب وسلام.

وتميز توماس بقريحة شعرية فذّة، استطاع أن يجذب بها من حوله، وفي مينيلمونتون وأثناء أمسية شعريّة في سبتمبر 1832 أنشد قصيدة دعاء الإنسان الأسود" *Prière du Noir*" في نغمة وصـورة مأسـاويتين، حيث كـان يلتحف غطـاء كبـيرا، فانـدهش أحد كبـار المـذهب السانسـيموني وهو غوسـتاف ديشتال " *Gaustave d'Eichthal*" لقوة الإنشاد ومأساوية المظهر، فعمل مع أونفونتـان " *Enfantin*" على التعـرف عليه واجتذابه لخدمة مشروعهم الكبير.[3]

ونتيجة لفعاليته وحماسه في العمل اقـترح عليه إيميل بارو " *Emile Barrault*" فكرة اكتشـاف الشـرق، فـالتحق –من

---

[1] - المرجع نفسه.ص 33.

[2] - أوربان. **<u>السيرة الذاتية</u>**. نشر آن لوفالّوا. *Anne Levallois.* ***<u>Les écrits autobiographiques d'Ismayl Urbain</u>****. Maisonneuve et Larose. Paris. 2005.p30.*

[3] - ديشتال إلى أوربان. رسالة 08 سبتمبر 1838 بـ لوفالّوا .مرجع سابق. ص 34.

أجل ذلك- باسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية التي يبدو أنه تعلم بها اللغة التركيـة، وبـدأ بمسـاعدة ديشـتال بفونتـان بلو في ترجمة كتاب صادر بإنجلترا سنة 1832 يدعو إلى التقارب بين الشرق والغرب. ومن تركيا التحق بمصر سنة 1833.[1]

اكتشاف أوربان الشرق وإقامته في مصر

اتجه أوربان رفقة مجموعة من السانسيمونيين بقيادة إيميل بـارو إلى تركيا لاكتشـاف الشـرق الـذي حلم طـويلا بتحقيق التعـايش بينه وبين الغـرب، ومن خلال هـذه الرحلة اطّلع أوربان على كثير من عادات الشرق وعلى تأثير القرآن الكريم.[2]

كانت مدينة إزمير أول محطة شرقية لأوربان، نزل بها وقـارن بينها وبين المـدن الأوربيـة، فوصل إلى قناعة مفادها أن هذه المدينة لم تستيقظ بعد على أسباب الحياة، وأنه من الواجب نشر تلك الأسباب على أرض الشـرق، وذلك لمّا رأى بسـاطة المسـاكن وانخفاضـها، والطـابع الـريفي للمجتمـع، وصعوبة العيش وما أحاط بكل ذلك من بـؤس وشـقاء،[3] وهو التّصور نفسه الذي كان الغربيون يتصورونه عن أهل الشرق.

وإذا كان أوربان قد وقف على هذه السلبيات فإنه اقتنع أيضا أن " المسلمين هم أكثر النـاس احتراما للمقدسـات"[4]. كما أعجب بـأخلاق المسـلمين حين استضـافهم السـلطان العثمـاني بالبـاب العـالي، فوصف أوربـان تلك الجلسة بقوله:"...تجاذبنا أطراف الحـديث، ولم يلتفت بوجهه عنّـا".[5] فكـانت هـذه الملاحظـات هي الإرهاصـات الأولى لإعجـاب أوربان بالإسلام والمسلمين.

غادر أوربان تركيا يوم 14 ماي 1833 باتجاه مصر الـتي دخلها في التاسع والعشـرين من الشـهر نفسـه، ونـزل أول

---

[1] - لوفالّوا. مرجع سابق.ص 37.

[2] - فيليب رينيي. مصدر سابق. ص 11- 13. اطّلع أوربان على كل ذلك حينما كان إيميل بارو يشرح لمرافقيه عادات الشرق ويستدل على ما يقول ببعض الآيات القرآنية.

[3] - المصدر نفسه. ص 14- 15.

[4] - المصدر نفسه. ص 19.

[5] - المصدر نفسه. ص 20. والسلطان العثماني آنذاك هو السلطان محمود الثاني الذي تولى مقاليد الخلافة العثمانية من 1808 وإلى غاية وفاته سنة 1839.

مرة بالإسكندرية، ومنها إلى سوريا ولبنـان وقـبرص، قبل أن يعود إليها (الإسكندرية) يوم 24 أوت من السنة نفسها.

استقر أوربان بالإسـكندرية، ولكنه كـان دؤوبا إذ جـاب مختلف أرجـــــاء مصر من النيل والصـــــعيد ودمنهـــــور والسويس...[1] وتعلم اللغة العربية وخاصة اللهجة المصرية.

بدأ أوربان نشاطه الثقافي بتعليم اللغة الفرنسية حيث كـان يلقي درسـين يتقاضى مقابلهما أجـرة شـهرية مقـدرة بستين (60) قرشا، ثم ثلاثة دروس مقابل (80) قرشا. وبذلك تحسّنت أوضاعه الماديـة، فأخذ يفكر في أناقة المظهر ورغد العيش، فبعد أن كانت أنـواع المـأكولات الـتي يقتـات منها لا تتعدى الجبن والعصير والحلويات وقلّما نجد ذكرا لأكلة الأرز، مع تأكيـده في كتاباته على الفقر والحاجة الـتي كـان عليهـا، تحولت أنـواع أكلاته إلى لحـوم وخمـور... بل وأكـثر من ذلك وصل به الأمر إلى شــراء بذلة متكاملة بثمن ســتمائة (600) قرش، أخاطتها له إحدى السيدات مع أمها، هذه السيدة التي كبت تعلّقه بها وقد كـــانت مطلّقـــة.كما ارتبط بعلاقة غـــير شرعية بإحدى الإثيوبيات، وأنجب منها بنتا.[2]

ويشير أوربان إلى أنه تلقى تعيينا رسميا فيما بين 20 و 25 جوان 1834 كأستاذ للغة الفرنسية بمدرسة المشـاة بـدمياط من طـرف المقـدم – *Lieutenant colonel*- خليل أفنـدي، الـذي وعـده بـأن ينقله في غضـون شـهر إلى المدرسة العسـكرية الـتي أسسـها بالمدينة نفسـها، مقابل أجـرة شـهرية مقـدّرة بـألف (1000) قــرش، هــذه المدرسة الــتي افتتح نشــاطه الرسمي بها بتاريخ 07 أوت 1834.

وهناك، في دمياط، وصلت أوربان رسالة تعزية من أخيه ينبئه فيها بوفاة والده بـرو الـذي وافته المنية في 20 مـارس 1834. رسالة جعلت لأوربان طريح الفراش وهو الذي عــاش محروما من عائلته جميعا.

---

[1] - المصدر نفسه. ص 29.

[2] - دومينيك. مرجع سابق. توفيت هذه المرأة الإثيوبية وكذلك ابنتها، وعلمنا الآن أن الأم توفيت بالمرض الذي قد يكون الطاعون الذي ضرب مصر إذ ذاك، في حين أننا لا ندري لا تاريخ ولا سبب وفاة البنت، إلا أن الراجح أنها توفيت قبل والدها (1884) كما يشير المرجع.

نهل أوربان بمصر من التاريخ العربي والإسلامي، وأعجب به، خاصة في مقارناته بين الفتوحات الإسلامية والموجات الاستعمارية، فتعلق بالحضارة الإسلامية وبتقاليد وعادات العرب والمسلمين بعد معاشرته إياهم، وخاصة تضامنهم في حالات الجوائح، وهو الذي عانى ظروفا مأساوية منذ الصغر.

كما نوى أوربان الزواج من السيدة (الهانم) السابقة فربط معها علاقات مودة خالصة، إلا أن الوفاة أخذتها منه في 14 أفريل 1835 فعاش بعد وفاتها مأساة حقيقية أخرى انتهت به إلى الدخول إلى الإسلام، الذي وجد فيه وبين أهله الرّاحة والاطمئنان[1] والمخرج من المنابزة بعدم شرعية الميلاد.فاعتنقه وحاول الالتزام به قدر الإمكان. وكان إيميل بارو قد نصحه بأن يعمل في مصر كسانسيموني مبشّر بدين جديد وحذره من اعتناق الإسلام.[2]

أعلن أوربان إسلامه في 29 أفريل 1835 ونطق بالشهادتين أمام إمام مسجد مدرسة المشاة بدمياط الشيخ "علي خفاجة" بحضور نحو عشرين إماما، شرحوا له أركان الإسلام.[3] وغيّر اسمه من توماس إلى إسماعيل تأسّيا بالنبي إسماعيل (عليه السلام) حيث يرى نفسه شبيها به، حين يرى أن إسماعيل عليه السلام مولّدا من الأب إبراهيم والأم هاجر(عليهما السلام)، ويراه قد فقد أباه مثله، وهو يشير بذلك إلى قصة إبراهيم (عليه السلام) حين تركه الزوجة والولد بحثا عن الرّزق.كما قال تعالى:{رَبَّنَا~إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي~ إِلَيْهِمْ و ارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}.[4] ويركّز على اختيار اسم إسماعيل بالنطق والحرف العربيين لا على الصيغة اليهودية، ولذلك كان يصرّ على كتابة اسمه *Ismayl* أو *Ismail* ولم يرض بكتابته *Ismaél* لما يوحي به ذلك من ارتباط باليهودية.[5]

---

[1] - مقال أوربان بجريدة الزمن " *Le temps* " بتاريخ 05 جوان 1837. بـ لوفالّوا. مرجع سابق. ص 49.

[2] - رسالتا ديفيريي *Duveyrier* إلى أوربان بتاريخ 02 مارس 1833 و 16 أكتوبر 1835 . بـ لوفالّوا. المرجع نفسه. ص 35.

[3] - رينيي. مصدر سابق. ص 91- 92.

[4] - سورة إبراهيم. الآية: 37.

[5] - رينيي. المصدر السابق.ص 91.

وكثيرا ما طُرحت قضية إسلام أوربان بين إخلاصه في ذلك وبين تضليله للنـاس، وبعد البحث وصـلنا إلى أن أوربـان قد أسلم اقتناعا منه بالدين الإسـلامي الـذي فضّـله في كثـير من المناسـبات عن الديانة المسـيحية ومـات على إسـلامه بالجزائر. وقال في ذلـك:" لقد كنت أول مسـيحي (؟) يعتنق الإســلام، ليس من أجل إبعــاد خطر ولا من أجل اســتفادة مادّية وإنّما عن طمــوح وشــغف، لقد اعتنقت الإســلام دون المــروق عن المســيحية بأمل تحقيق التصــالح بين الشــرق والغــرب والتوفيق بينهما ".[1] فمن خلال هــذا القــول ومما انتهى إليه البحث نقـول إن أوربـان أسـلم عن قناعة راسـخة ولكنه كان بسيطا في تكوينه العقائـدي وبسـيط الاطلاع على أحكام الإسلام في هذا الشأن.

كما التقى أوربان أونفونتان بالقاهرة في نوفمبر 1833 حين زار هـذا الأخـير أتباعه هنـاك، وتعارفا جيـدا، خاصة وأن أونفونتـــان قد أعجب بأوربـــان منذ الأمســـية الشـــعرية بمينيلمونتون، في حين أن أوربان قد أعجب بأونفونتان وتـأثر تأثرا شديدا بفكره، واعتبره شيخه الـذي اسـتطاع أن يعـوض صــورة إيميل بــارو، وبقي على هــذا الشــعور رغم ســخط أونفونتان عليه حين أسلم.[2]

ورغم عودة أونفونتان يائسا من نجاح مهمته في مصر سنة 1833، إلا أن أوربان لم بفقد الأمل، وواصل جهـوده من أجل وحدة العالم الذي يراه منحـدرا من أب وأم (في إشـارة إلى آدم وحواء عليهما السلام)، ولم يعد إلى فرنسا إلا بتاريخ 18 مــاي 1836 مفتخــرا بإســلامه مــدافعا عن خروجه من المسيحية دون تنكر لأصـوله الفرنسـية قـائلا:" أحببت كثـيرا

---

[1] - أوربان. السيرة ... مصدر سابق. ص 104.

[2] - رسالة أوربان إلى أونفونتان. دمياط في 18 جوان 1835. بـ ميشال لوفالّوا. المرجع السابق.ص35- 36.كما نشير هنا إلى أن السانسيمونيين كانوا قد جربوا أفكارهم في مصر، إثر البعثة التي قادها أونفونتان سنة 1833 ولكن النجاح لم يحالفهم. وسنعود إلى بعض أفكار السانسيمونية في العامل الثاني من العوامل المؤثرة في التكوين الثقافي لأوربان.ولمزيد من التوسع حول تجربة السانسيمونيين هذه يرجى العودة إلى كتاب: مارسيل إيميريت. ***Marcel Emérit .Les saint-simoniens en Algérie***. *Edition les belles lettres. Paris.1941*. وكذلك: أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي.1830 – 1854**. ج6. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 1998. ص 438 وما بعدها.

الأجـواء هنـاك (الشـرق)، واللغة و عـادات شـعوب الشـرق، ففي القاهرة لم أكن أعيش إلا مع المسلمين، بهـذه الطريقة اكتشـفت الشـرق بكل جمالـه، والـذين زاروه وتعرّفـوا عليه سـيعذرونني على شـرقيتي"[1]، بل يـرى ذلك الـدليل القطعي على إمكانية التقارب بين العـالمين فهو يقـول:" أنا مسـيحي ومسلم لأنني فرنسي".[2]

العوامل المؤثرة في تكوينه:

1 - عقدة الميلاد:

إن عقدة الميلاد مشكلة متجذرة بالنسبة لأوربان أثرت تأثيرا واضـحا على شخصـيته، إذ أنه مولّد كما مر بنـا، كما أن وضعيته تجـاه الحالة المدنية حرجـة... كل هـذا جعل أوربـان يشـعر بنقص في الشخصـية مفتقـدا لعائلة وأقـارب يُنسب إليهم، مما دفعه ليعجّل زيارته إلى كايـــان ســـنة 1830 حين شـعر بالغربة والتهميش، وجعله يبحث عن عائلة يـأوي إليها فلم يجد إلا عائلة السانسيمونيين.

كما أن هذا الشعور بـالنقص جعله مرهف الإحسـاس، ولعل هذا هو ما ساعده على النبوغ الأدبي خاصة في قصائده " دعـــاء الإنسان الأســـود " *Prière du Noir* " أو " دِرعي. أسلحتي" " *Mon Ecu. Mes Armes* " وكذلك قصائد أخرى تعكس تطلّعه للحرية وأخـرى إلى المجـون والتشـرّد مثل " فتـاة دمنهور" " *La Fille de Damanhour* "... ".[3]

كما أن شعوره بالنقص هذا أوقعه في موقع العاجز عن الدفاع عن نفسه، وهو ما تفسّره الوسـاطات الـتي وصل بها إلى الجزائر، والمستخلصة أيضا من نصائح ديشتال له، ولعل عدم ترقّيه مقارنة بأقرانه في الإدارة والجيش الفرنسي خير دليل على ذلـك، إذ طالما وعـده مسـؤولوه وأخلفـوا،[4] كما يفسر لنا عدم رده عن مهاجميه ممّن كانوا يرفضون أفكـاره والمتّهمين له بالعمل لصالح العـرب "الأهـالي" والعمل على فصـــلهم على فرنســـا- رغم ما في ذلك من مزايـــدة عن الحقيقـة- والـتي جعلت صـديقه بـارو يـردّ في مقالاته في

---

[1] - مقال نشره أوربان بجريدة الزمن. 05 جويلية 1837. مصدر سابق.

[2] - المصدر نفسه.

[3] - إيميريت. مصدر سابق. ص 69. ودمنهور مدينة معروفة في مصر.

[4] - سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سابق. ص 443.

جريـدة "الـزمن" بقولـه:" سـيدي العـربي(كـذا؟) لا تر بـأن فرنسا هي تركيا بالنســـبة للمـــور"[1]، حيث كـــانوا يتهمونه مباشرة فكان الـدرع الـواقي لشخصـية الإمـبراطور نـابليون الثالث. وهذا ما أكّد له وصايا ديشتال له، فزاده ذلك إصــرارا على التمسك بالمناصب العســـكرية، لأنه أدرك جيـــدا أن المناصب المدنية لن تجعله – فعلا- في منــأى عن الاحتقــار، على العكس من المناصب العســكرية. وربما ذلك ما أدى به إلى إصدار كتابه الأول باسم مستعار وفضّل أن يكون الثــاني لمؤلّف مجهول.

ولعل عقدة ميلاده كانت من بين أبرز الأسباب التي دفعته إلى اعتناق الإسلام وإلى اختيار اسم إسماعيل دون غيره من الأسماء، وبالتالي ساهمت في إحداث انعطاف هـام جـدا في تاريخ أوربان، تحوّل على إثره من مسـيحي إلى مسـلم. كما أن عقـدة ميلاده هـذه جعلت مسـؤوليه يعتبرونه من الطبقة الفرنسية الثانية وذلك حتى بعد الوساطة والتوظيف بالجيش كمـترجم "...إن أوربـان قد تم تعيينه كمـترجم لجيش إفريقيا في الطبقة الثانية"[2].

2 - الفكر السانسيموني:

وجدير بنا هنا وقبل التطرّق إلى كيفية تأثّر أوربان بالفكر السانسيموني أن نلقي بعض الضـوء على هـذا المـذهب، من حيث الأيديولوجية وعلاقته بالجزائر.

إن السّانسيمونيّة "*Saint-simonisme*" مذهب أيديولوجي (فكـــــري) ظهر في أوربا مع مطلع القـــــرن التاسع عشر الميلادي على يد "سان سيمون"، يقــوم أساسا على المثالية والاشـتراكية، الـتي وجـدت في الوضع الأوربي ميـدانا خصـبا لانتشــارها، وهو الوضع الــذي انتهى إلى الإعلان عن البيــان الشـــيوعي ســـنة 1848. وكـــانت قد تـــأثرت بها فرنسا منذ الظــروف المأســاوية الــتي أدت إلى ثــورات 1830 و 1848، منادية بضـــرورة " إقامة مجتمع يســـوده العـــدل والنظـــام والانسـجام، عن طريق التشــارك والعمل الجمــاعي الــذي

---

[1] - رسائل بارو إلى أوربان. 05 و 27 جوان 1837 .بـ ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص52.

[2] - رسالة أوربان إلى أونفونتان بتاريخ 01 أفريل 1837. مصدر سابق.

يـؤدّي بـدوره إلى التشـارك في الـثروة والـرّبح عن طريق حماية الدّولة".[1]

وتدعو السانسيمونية إلى الابتعاد عن المادية البحتة، وبدلا من ذلك تحث على العمل على احـترام الإنسـان وتشـريف الإنسانية، من خلال تفضـيل المصـلحة العامـة، ونبذ الأنانيـة، وإحلال مشـاعر التضـامن والكرامة محلهـا. وأن التنمية المادية التي تدعو إليها مـاهي إلا وسـيلة لـذلك، وليست غاية في حد ذاتها، خاصة وأنها ترى أن الإنسان قـادر على تسـخير الطبيعة لصـالحه.[2] إلا أن الملاحظ على أعمـال السانسيمونيين بالجزائر، ومدى بشـاعة اسـتغلالهم للإنسـان الجزائـري وتلهفهم على جمع المـادة، قد يحكم أن مبـادئهم هـذه لم تكن سـوى مجـرد ادعـاءات لم تجد طريقها إلى الواقع.

وكان السانسيمونيون قد عرفوا الجزائر منذ عهد مبكر عن طريق الأب الـروحي لهم "أونفونتـان" حيث صـرّح سـنة 1843 :" إنني أعرف الجزائر التي زرتها ورحلت إليها وقطنت بها خمس سنوات من شبابي".[3] إلا أن اهتمامه بها كـان فيما بعـد، حين اسـتقر بها كعضو في اللجنة العلمية لاكتشـاف الجزائر لمـدة سـنتين من 1839 وإلى غاية 1841.[4] وكـان قد حمل على عاتقه تطبيق المشروع السانسيموني بعد أن عـاد خائبا من مصر سنة 1833.

ونتيجة لاطلاعه على أوضـاع الجزائر ومعرفته بها منذ 1816، رأى أن الظـروف بها تختلف عن مثيلاتها بمصـر، وأن الجزائر تحمل عوامل نجاح المشروع الذي يتبنّاه، ومن خلاله نجاح المشروع الاسـتيطاني.وهكـذا تحمّس السانسـيمونيون لـذلك، ولعب رجـالهم أدوارا هامة في تثـبيت الاسـتيطان الأوربي تحت السلطة الفرنسية، من خلال سعيهم إلى إدماج المجتمع الجزائـري في المجتمع الأوربي الـدّخيل، وتوجيه

---

[1] - سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سابق. ص 437.

[2] - إيميريت. مصدر سابق. ص 15- 16.

[3] - الفترة التي قصدها أونفونتان هي فترة "1816 – 1821 " عندما كان وكيلا متنقلا للتجارة في الخمر.ينظر:جورج إيفر.**أونفونتان والهجرة الأجنبية في الجزائر** *Georges Yver. **Enfantin et L'émigration étrangère en Algérie***. بالمجلة الإفريقية.ع 295. سنة 1918. ص 258.

[4] - المصدر نفسه.ص 258.

الفكر والثقافة من خلال التحكم في المدارس التي أنشؤوها خصّيصا لـذلك[1]، وكـذا توجيه الاقتصـاد والتحكم فيه من خلال تأسيس القرى
الفلاحية واستغلال المناجم، ومدّ طرق المواصـلات والسـكة الحديدية.[2]

ولعل أهم من درس السانسـيمونيين في الجزائر هو مارسـيل إيمـيريت الـذي خصّـهم بكتـاب شـامل هو " السانسيمونيون في الجزائر" حيث يـرى أن السانسـيمونيين " رجال سياسة واقتصاد، يمتـازون بتفكـير عميـق، والشـعب عنـدهم مقـدّس"[3]. ولـذا كـانت اهتمامـاتهم بعث المبشّـرين للخروج بالإنسـانية إلى حيـاة أفضـل. أما من ناحية الاقتصـاد فأهدافهم ترتكز على التطوّر الصـناعي للخـروج من التخلّف المـورّث للبطالـة، ولن يتمّ ذلك إلا باسـتغلال الـثروات، ولن يتوصّـل إلى ذلك إلاّ بمـدّ شـبكة المواصـلات وعلى رأسـها السـكة الحديدية فـاهتموا بها اهتماما بليغا هنا في الجزائـر، كما اهتمـوا بها في سـائر الـدول الأوربية كفرنسا وإيطاليا والنمسا وإسبانيا وروسيا.[4]

ومن خلال ذلك يتضح أن الفكر السانسيموني يتمحـور حـول قضـيتين رئيسـيتين همـا، التنظـير ومباشـرته بالعمل الفعّال. فالجانب التّنظـيري اهتم به السانسـيمونيون اهتماما بليغا من خلال أطروحات أو رؤى أونفونتـان وأوربـان ووارني وديشـتال وغـيرهم، مقدّسـين فيه العمل المنهجي المنظّم

---

[1] - احميدة عميراوي.**السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838 – 1858)**.دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. 2004.ص 62. ولا بد هنا أن نفرّق بين المؤسسات الدينية والثقافية التي حطّمها الاستعمار لتتحطّم معها هوية الأمة، وبين المدارس والمعاهد التي أنشأها لبثّ القابلية للاستعمار. وهذا ما تمّ العمل له منذ 1830 وخاصة عن طريق أولئك المترجمين الذين رافقوا الحملة مثل بنيامين فانسن، أو الذين جاءوا معهم من أمثال المحاضر "جوانّي فرعون"" *Joanny Pharaon*" ابن إلياس فرعون البعلبكي مترجم الحملة الفرنسية على مصر.ينظر: هنري ماسي.**الدّراسات العربية في الجزائر 1830 – 1930**. *Henri Massi. **Les Etudes Arabes en Algérie 1830 – 1930***. بالمجلة الإفريقية. ع356، 357. سنة 1933. ص 02.

[2] - المرجع نفسه. ص 62.

[3] - إيميريت. مصدر سابق. ص10.

[4] - المصدر نفسه. ص 11.

القائم على الدّراسات العلمية ومبـدأ الكفـاءة. ولـذا وضـعوا أسسا لنجاح أعمالهم متمثلة في توجيه الرأي العام من خلال الإشهار الذي يخـدم مشـاريعهم، فطبّقـوا مشـروعا إشـهاريا واسعا، سواء من المنتجين أو الحكومة الـتي اسـتغلت مكانة الصحافة كسـلطة رابعة في المجتمع الليـبرالي لتمرير كيفية إنجاح مشاريعها. هـذا إضـافة إلى المعـارض المختلفة سـواء الوطنية منها أو الدولية.[1]

كما عمل السانسيمونيون على التحكم في الثروة المالية من خلال إنشاء البنوك والمصارف، وربطـوا علاقة هامة بينها وبين الإشهار من أجل الوصـول إلى القـوة الاقتصـادية الـتي آمنـــوا بها في ظل الليبرالية الســـائدة، فنشـــروا المنافسة الحرّة، وامتلكوا الثروة، وأسسوا للقرض واهتموا به كوسيلة للثراء وتحقيق المصلحة الخاصّة، فنادى أونفونتان بأن يكـون لكل تخصص صـــناعي بنك يـــدعّم منتجيه بـــرأس المـــال الضروري، فاتحين المجـال أمـام الحرية في عقد الاتفاقيـات الصّناعية والتجاريـة. مفـرّقين في ذلك كله بين البنـوك الـتي يدعون لإنشائها تحت تحكم الفرنسيين، والـتي يحـذّرون منها وهي الواقعة تحت تحكّم اليهـود أو البروتسـتانت،[2] فأسسـوا البنك الفلاحي الجزائـري سـنة 1863[3]، مـدركين مـدى تحكم أصـحاب رأس المـال في تسـيير دواليب الحكم في المجتمع الليبرالي.

اهتم السانسيمونيون بالنقد اهتمامهم بالقرض، وذلك لأن النقد هو العجلة المحرّكة للتصـــنيع والأداة الفعّالة لـــرواج التجارة ورأوا بأن يكون أحسنه من الورق.[4]

وكان السانسيمونيون على قناعة راسخة بأن أَوْلى الدّول بممارسة الاحتلال هي تلك المالكة للركـائز الثلاثـة؛ القـوة الدينية، والقوة العلمية، والقوة الصناعية. ولذا كانوا يرون أن

---

[1] - المصدر نفسه. ص 24.

[2] - إدوارد هنري كورديي. **نابليون الثالث والجزائر**. *Edouard- Henri Cordier .**Napoléon et L'Algérie**. Ancienne Imprimerie V.Heintz.Alger.1937.p22- 23.*

[3] - سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سابق. ص 440.

[4] - كورديي. مصدر سابق. ص 25.

أحق الدّول بالتوسّع الاستعماري هي على الترتيب السابق فرنسا وألمانيا وإنجلترا.[1]

من خلال ذلك ندرك أن الناظر للفكر السياسي الاقتصادي السانسيموني قد لا يجد تأويلا لنشاطات الأشغال العمومية التي قاموا بها منذ مجيئهم إلى الجزائر إلا حرصهم الشديد على أهمية بعث ثورة في الحياة الاقتصادية، من خلال العمل على استغلال كل الثروات المتاحة والبحث عن المجهول (اكتشاف الصحراء مثلا)، وتوفير الأسباب المتيحة لذلك، فأسّسوا فيلقا من الجيش خاصّا بالأشغال العمومية، وأنشأوا الشركات الكبرى، واستغلّوا الثروات فهيّأوا الخط الاستراتيجي قسنطينة- تلمسان، بواسطة السكة الحديدية التي امتدّت إلى عنابة أيضا. وربطت الجزائر بوهران، فربطوا بذلك العمالات الثلاثة. ولم يكتف السانسيمونيون بذلك بل ربطوا الجزائر بفرنسا، حيث أنشأوا الخط البحري مرسيليا- الجزائر، وأعلنوا مبدأ المواني‌ء الحرّة، وتنظيم الجمركة بإلغاء الحواجز ومراقبة السلع الأجنبية.[2]

ومن جانب آخر لاحظ السانسيمونيون أنّه يستحيل على أي دولة أن تبني اقتصادا سياسيا ما لم يتم تأهيل المجتمع فيكون منتجا، تعتمد عليه كقاعدة اجتماعية، ولذا عملوا على إنشاء مملكة جديدة، مبدؤها الأساسي احترام الكفاءة الفردية. وآمنوا بأن " كل إنسان
ميسّر لما خلق له"، حيث يرون أن لكل إنسان كفاءاته وقدراته، ولكل كفاءة نشاطاتها.إلا أنهم يؤمنون بأن هذه الكفاءات تنتقل بذوبان الروح الفردية داخل الجماعة، وبالابتعاد عن الأنانية. وهكذا تتكوّن دولة بالجزائر (كما كان يطمح السانسيمونيون)، تختلف عن سابقاتها وتكون أيضا أرستقراطية لا إقطاعية عسكرية، حيث تشكل مجتمعا جديدا يقوده إداريون أكفاء؟، لا فرق للثروة فيه عند الفلاح أو العامل أو التاجر.[3]

---

[1] - إيميريت. مصدر سابق.ص 25.

[2] - كورديي. مصدر سابق.ص215.

[3] - إيميريت. مصدر سابق. ص 26. ولدراسة ما يتعلق بالمملكة العربية بالجزائر يرجى الاطّلاع على :آنّي راي غولدزيغر. ***المملكة العربية***. *Annie REY-GOLDZEIGUER**. Le Royaume Arabe. La Politique Algérienne de Napoléon 1861 – 1870**. SNED .alger. 1977.*

بهذه الأيديولوجية لعبت السانسيمونية دورا كبيرا في صقل فكر وشخصية أوربان، بعد أن اقتنع بـأن مسـتقبله يكمن فيهـا، باعتبارها نادت بضرورة اختفاء مظاهر الرّق والعبوديـة، فـرأى فيها ميدانا لتجسـيد روح التضـامن والحب، وهو ما افتقـده منذ طفولتـه، واحـترام الإنسـانية وتشـريفها، ونبذ الأنانية وتفضـيل العام على الخـاص. فحوّلته من مجـرد عبد فاقد للهويـة، ومن شاعر ينشد الحب والحنان إلى صاحب قضـية ومشـروع ناضل من أجلــه، فارتحل واكتشــف، وصــمّم على تحقيق قناعاتــه، وسخّر لها قلمه ونشاطاته، فدفعته للبحث عن الثروة بعد فقر، ونبذ الصّراع بين الشرق والغـرب داعيا إلى حـوار الحضـارات، عاملا على محو العنصرية بين الأسود والأبيض، وبثّ الحب بعد صدام (بين العالَمَيْن)، رافضا سياسة القهر والاضطهاد، إذ كان يـرفض القـوة كوسـيلة للإخضـاع، فـدعا إلى إخضـاع المجتمع الجزائري عن طريق الإدماج ليُمسخ آليا في مقومات المجتمع الفرنســي، محــاولا تصــحيح مفهــوم التّمــدين الفرنسي للجزائــريين ممّا جعله يــرفض ســيطرة المعمِّر على الأهلي، ويرفض لذلك تطبيق النظام المدني بـالجزائر،[1] الـذي يعـني – عنده – سـيطرة المعمِّرين على الأهـالي، ولكنه خسر المعركة حين طبّق الفرنسيون النظام المدني فخسـرت فرنسا الكثـير من المواقع الــتي كســبتها في ظل تطــبيق المشــروع السانسيموني.

كما أن ميولاته الأدبية جعلته توّاقا إلى حرية أكبر من تلك الــتي كــانت تحاصــرها الرّهبانية المســيحية، فوجد في السانســيمونية خروجا عن تلك الرّهبنة إلى مســيحية حديثة تعمل
على إعــادة تشــكيل العــالم في ظل : العمــل، الجماعــة، الرّوعة، القدسيّة، الخلود، وهي المبـاديء الـتي كـان أوربـان

[1] - النظام المدني الفرنسي بالجزائر هو ذلك النظام الذي طبق في الجزائر بداية من 1870 كبديل عن النظام العسكري – الذي بقي سائدا في الجنوب الجزائري إلى غاية 1947 -.وجاءت فرنسا بالنظام المدني لضبط الآليات التي تسهل لها السيطرة على دواليب الحكم في الجزائر وتسييرها تبعا لما يخدم مصالحها بالاعتماد على الأجهزة التالية: المجلس الأعلى للحكومة، النيابات المالية، المجالس العامة، اللجان البلدية. ينظر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية. **تاريخ الجزائر من 1830 إلى 1962**. قرص مضغوط.2002.

يحلم بهـــا.[1] ولعله من أجل ذلك أيضا اعتنق الإســـلام الـــذي يرفض الرّهبانية أصلا.

3- أصدقاؤه السانسيمونيون

يعتبر تأثير أصدقاء أوربان عليه من أكبر العوامل الـتي سـاهمت في تكـوين شخصـيته، فهم من أدخله إلى المـذهب السانسـيموني الـذي أصـبح بواسـطته على تلك القناعـات. ومن أهم هؤلاء الأصدقاء:

1- غوستاف ديشتال: *Gaustave d'Eichthal*[2]

يعد غوستاف ديشتال أهم شخصية اكتشفت وأثّرت على أوربـان، حيث اكتشـفه أثنـاء الأمسـية الشـعرية في سـبتمبر 1832، وتأثّر بقوة أسـلوبه، وبنظرته لمعالجة قضـايا الشـرق والغرب، وفيما يخص العرقين الأسود والأبيض، خاصة بعد أن سمع منه قصيدة " دعـاء الإنسـان الأسـود" فطـرح ديشـتال على أونفونتـــان ضـــرورة اجتذابـــه،[3] وســـاعدته على ذلك الظروف القاهرة التي كـان عليها أوربـان، من حرمـان وفقر وتشرّد. أما أوربان فقد وجد في ديشـتال الأمل في الوصـول إلى ما يفتقـده، من خلال نفـوذ هـذا الأخـير سـواء من حيث العلاقات أو الثروة أو الأسرة.

وباعتبار أن ديشتال كان يهوديا، رأى في نجاح أوربان في مهمته بتقـــريب الشـــرق والغـــرب والقضـــاء على الـــرّوح العنصرية استفادة آلية لليهود، فأنزله منه منزلة الأخ، واقترح عليه العمل سـويا من أجل الوصـول إلى تنظيم المجتمع في

---

[1] - من تصريح لديشتال أثناء محاكمته في إطار الأزمة السانسيمونية سنة 1832. بـ ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص34 هامش 12. وقد كانت هذه الأزمة حينما شددت السّلطات الفرنسية الخناق على حركية السانسيمونيين الذين رأت فيهم الخطر الاشتراكي القادم بعدما دأبوا على نشر أفكارهم وكتبهم لا سيما في "*Le Globe*" وجريدتهم الأساسية آنذاك "المنتج" "*Le Producteur*"، ولعل أكبر المتضررين آنذاك هو أونفونتان الذي خلف سان سيمون على رأس الحركة بعد وفاته سنة 1825. المرجع نفسه.

[2] - غوستاف ديشتال من مواليد 1804 من أبوين يهوديين كانا ينتميان إلى مجموعة صغيرة من اليهود القاطنين بباريس، وقد نجحوا في أعمال البنوك والمال. اعتنق الكاثوليكية مع عائلته وهو ابن 13 سنة ودخل مدرسة الصنائع متخصصا في علم الأجناس "الإثنيات". كما اعتنق المذهب السانسيموني على يد أستاذه للرياضيات أوغست كونت وصديقه أوليند رودريغز. ميشال لوفالّوا. مرجع سابق.ص 33- 34.

[3] - المرجع نفسه. ص 33.

ظل مسيحية حديثة تتماشى والمبادىء التي يعمل السانسيمونيون من أجلها، للقضاء على كل مظاهر التهميش أو العنصرية. وهي الحالة التي كان يعيشها أوربان الأسود وديشتال اليهودي، ولذا كان هذا الأخير يصف الاثنين بقوله:" اليهودي والأسود المحرومين"[1]. ووصف أوربان بقوله:" نصفه صديقي، ونصفه زبوني ومريدي".[2]

وكان ديشتال بمثابة الناصح لأوربان فهو مَن سعى له عن طريق الوساطة للتوظيف كمترجم بالجزائر في جيش إفريقيا عند كل من الكولونيل لامورسيير عن طريق أخيه العامل بوزارة الخارجية، وعند شارل بارافي رئيس مصلحة الشؤون الإفريقية بوزارة الحربية،[3] وحتى وإن لم يرض ديشتال باعتناق أوربان الإسلام إلا أنه ذكّره بضرورة حرصه – مع ذلك – على خدمة السانسيمونية " إذا كنت قد أصبحت شخصية مشؤومة على قضايا الحياة التي لا تتلاءم مع معطياتك الجديدة (الإسلام)، فلا بد أن تكون مكافحا مثل سان سيمون، وتاجرا متنقلا مثل أونفونتان".[4] كما أن رسالته التي بعثها إلى أوربان تبقى من أهم النصائح التي شقت الطريق أمام هذا الأخير،[5] وفي كل ذلك كان يذكّره دوما بأنّه رجل مشروع وقضية، حينما كان يقول له:" إذا كنتُ أعتبرك رجلا مارقا(بعد إسلامه)، فإنني أعُدُّك رجل تحرير".[6] أما أوربان فقد وصف ديشتال بقوله:" سيبقى المسيطر على قلبي ما حييت". واستمرّت الرّسائل بينهما بصفة منتظمة إلى غاية وفاة ديشتال.

2- شارل ديفييريي *Charles Duveyrier*

من مواليد 1805، انظم إلى السانسيمونية سنة 1828.أديب وشاعر وفنان. فرض نفسه في ميلمونتون حتى لقّب بـ"ملك الموسيقى" و"شاعر الإله"، كتب في عدّة

---

[1] - رسالة ديشتال إلى أونفونتان. 08 نوفمبر 1832. بالمرجع نفسه. ص 34.

[2] - ديشتال. **نبذة عن حياتي**. مخطوط. *Gaustave d'Eichthal.* ***Note sur ma vie***. 1869.

[3] - ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 38.

[4] - رسالة ديشتال إلى أوربان. 15 أوت 1836. بـ المرجع نفسه. ص 38.

[5] - يمكن الاطّلاع على نص الرسالة في مبحث "قدوم أوربان إلى الجزائر ونشاطاته بها" بهذا الفصل.

[6] - رسالة ديشتال إلى أوربان. مصدر سابق.

صحف من بينها جريدة "العالم" "*Le Monde*" وجريدة "مناقشات "" *Journal des Débats* " وجريدة "الفنان" "*L'Artiste*"،[1] اهتم بأوربان واعتبره "قوة في إحداث السرور والسعادة" شجعه على الذهاب إلى المشرق كسانسيموني مبشر بدين جديد، في إشارة إلى المباديء السانسيمونية والابتعاد عن الرهبنة، ولكنه كان متخوفا من تأثر أوربان بالحضارة الشرقية ولذا حذّره من الدخول إلى الإسلام مثلما صرّح به:" يجب الانتباه إلى جريمة المروق"،[2] هذه المقولة التي ربما تكون قد دفعت بحرّية أوربان إلى المزيد من الاطّلاع على الممنوعات، على رواية كل ممنوع مرغوب. وبعد أن حكم على أوربان بالضلال سعى إلى إقناعه بالعودة إلى فرنسا والعمل معه في المسرح، إلا أن سعيه هذا باء بالفشل كما سبق.

3- إيميل بارو: *Emile Barrault*

من مواليد 1788، متخصّص في علم البلاغة ومهتم بشؤون الآداب، انضم سنة 1828 إلى السانسيمونية بباريس. أسّس جمعية أصدقاء المرأة بـ"ليّون"، وطلب من أوربان مرافقتهم في رحلتهم إلى الشرق، فكان سببا في بث فكرة اكتشاف الشرق عند أوربان، انتقل معه إلى اسطنبول ثم إلى الإسكندرية. وقد عاد إلى باريس وترك صديقه أوربان في مصر مع الأب أونفونتان، فدخلها سنة 1835. لذلك ظل أوربان يعتبره معلّمه الأول، إلى أن اختفى صيته أمام التّأثير البليغ لأونفونتان.[3]

4- أونفونتان: *Barthélemy Prosper Enfontain* [4]

يعتبر أونفونتان من أكبر الناس تأثيرا على شخصية أوربان ويستحق منّا أن نجعله في المقام الأول أو الثاني

---

[1] - ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 34 -35.

[2] - رسالة ديفيريي إلى أوربان. 02 مارس 1833. بـ لوفالّوا. المرجع نفسه.ص 35.

[3] - لوفالّوا. المرجع نفسه. ص 35.

[4] - من مواليد 1796 دخل السانسيمونية على يد أوليند رودريغز وأصبح الأب الروحي للسانسيمونيين بعد وفاة سان سيمون في 19 ماي 1825، تعرّض للسجن سنة 1832 على إثر أزمة السانسيمونيين وقضى ستة بسجن القديسة بيلاجي "*Ste- Pélagie*". توفي سنة 1864. ينظر: لوفالّوا. المرجع نفسه. ص 35. الهامش 24.

رفقة ديشتال، ولكننا رأينا تأخير الحديث عنه حتى نحـاول أن نلقي بعض الضوء عنه.

تعود معرفة أونفونتان بأوربان إلى الأمسـية الشـعرية المـــذكورة في ســـبتمبر 1832، حين طلب ديشـــتال من أونفونتان ضرورة التّعـرّف على الفـتى الأسـود؛ أوربـان، أمّا هـذا الأخـير فقد أعجب كثـيرا بشخصـية أونفونتـان حين رأى قدرته على إنشــاء كنيسة وجــذب أتبــاع لنشر الفهم الجديد للمســـــيحية وهو ابن السادسة والثلاثين من العمـــــر. أما التعـــارف الجيّد الحاصل بينهما فكـــان في نوفمـــبر 1833 بالقاهرة بمصر، إثر انتقال أونفونتان إلى أتباعه هناك، ولكن هــذه الروابط لم تــدم على تلك المتانة بعد اعتنــاق أوربــان الإسلام، حيث سخط عليه أونفونتـان بـالرغم من أن أوربـان يعتــبره معلمه الأول ولا يكتب اســمه إلا بوضع ثلاثة أســطر تحته.[1] ثم التقيا بقسـنطينة في الجزائر سـنة 1840، وسـاهم أوربان كثيرا في العمل الذي كان يعدّه معلمـه، حين قـدم له الكثير عن منطقة الشاوية وعمّا يتعلّق بالملكية في الجزائر.

وإذا كـان ديشـتال قد سـاهم في توجيه فكر أوربـان، وأخرجه من موقع المستضعفين إلى موقع المـال والعلاقـات والجاه والتمسك بالفكر السانسيموني، فـإن أونفونتـان كـان الناطق الرسمي باسم أتبـاع سـان سـيمون، وبالتـالي أصـبح الأب الروحي لأوربان، كما أن كتابات أونفونتـان كـانت بمثابة تصورات مغذية لأفكار أوربان خاصة بعد أن التقيا بالجزائر.

وحريّ بنا أن نلقي بعض الضوء على شخصية أونفونتان، من حيث أثره البالغ وبصماته الواضحة على مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر.

تعود معرفة أونفونتان بالجزائر إلى عهد سابق للاحتلال، إذ أنه التحق بالجزائر في مرحلة شـبابه سـنة 1816 وامتـدت إلى غاية 1821 كمتنقل وكيل للخمـــر، حيث قـــام بزيـــارات ورحلات عديدة قادته إليها، كما دفعته الظروف إلى أن قطن بها، حيث نجده يؤكّد ذلك في رسـالته إلى وزير الحربية سـنة

---

[1] - رسالة أوربان إلى أونفونتان. دمياط في 18 جوان 1835. مصدر سابق. وكذلك ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 35.

1843 حين قـال :" إنـني أعـرف الجزائر الـتي زرتها ورحلت إليها وقطنت بها خمس سنوات من شبابي".[1]

كما التحق أونفونتان بمصر على رأس بعثة فرنسية سنة 1833 وحـاول تجـريب المشـروع السانسـيموني ولكنه فشل فيه. وفي هذه الظروف كـان قد وقع احتلال الجزائـر، وكـان أونفونتــان مهتما جــدا بمشــروع الاحتلال، خاصة وأنّه اطّلع على أوضــاع الجزائر في فــترة التّحــرّش الاســتعماري بعد مؤتمر فيينا سنة 1815، هذا إلى جانب ثقافته باعتباره خـرّيج مدرسة "الصـــنائع". وإذا ربطنا بينه كإنســـان مثقّف وبين الأوضـــاع الـــتي تميّز البحر الأبيض المتوسط وكـــذا تجربته بمصر نـــدرك جيـــدا الســـبب الـــذي جعله يعمل على تنفيذ مشـروعه الاسـتعماري، رغم أنه لم يكن أكـثر من عضو في اللجنة العلمية لاكتشـــــاف الجزائر الـــــتي عيّنته الحكومة الفرنسية بها سنة 1839، من أجل دراسة الإثنيـات الجزائرية بصفته مختصّا في هذا العلم.

كما أن تخصّصه هـذا قد سـاعده للغـوص في المجتمع الجزائـري خاصة بعد أن تجـوّل في قسـنطينة الـتي اهتم بها كثـيرا إضــافة إلى عنابة ومنطقة الشــاوية،[2] وكــذا الغــرب الجزائري. فـدرس – إضـافة إلى مجـال تخصصه – الأسـباب الـــتي يحملها الجزائريـــون وتجعل منهم عرضة للاســـتعمار، فتعمّق في دراسة العقار والملكية والعادات والتقاليد والدين بالجزائر، وفي كل ذلك كان يعقد مقارنة بمثيلاتها في فرنسا، مفتّشا عما يجــده من ركــائز لإرســاء الاحتلال الفرنسي في الجزائر على النمــوذج السانســيموني. فمكث بــالجزائر من أجل مهمته هذه حوالي سنتين 1839 – 1841، حـتى اضـطر إلى الخـــروج منها والعـــودة إلى بـــاريس تحت تـــأثير الأزمة الصّحّيّة التي أجبرته على الانتقال إلى ألمانيا في ربيع 1843.

وقد جمع أونفونتان أفكاره حول الاحتلال وبعث بها على شـــكل مـــذكرة إلى وزير الحربية بتـــاريخ 18 فيفـــري 1843، معتبرا إياه الشخصية الكفؤة لتحقيقهـا، وهي الأفكـار نفسـها

---

[1] - إيفر. مصدر سابق. ص 258.

[2] - كان ذلك بقسنطينة التي مكث بها سنة 1840 والتقى بأوربان الذي زوّده بكثير من الألفاظ العربية وبما يستفيد به في إعداد دراسته فيما بعد.

التي طورها وجعل منها كتابا مهما سمّاه " استعمار الجزائر" "*Colonisation de l'Algérie*".[1]

جاء هذا الكتاب كله على شكل تنظير ليكون أساسا وقاعدة صلبة لإنشاء الملكية في الجزائر، إذ يَعتبر أن " الملكية في الجزائر هي القاعدة المادية للنمط الاجتماعي".[2] والمراد منها إخضاع الأرض الجزائرية للاحتلال سواء بتنظيم المهاجرين الأوربيين أو من خلال التحكم في توزيع الأهالي، خاصة وأنه كان غير راض عن السياسة الاستعمارية في هذا المجال منذ الاحتلال وإلى غاية صدور الكتاب.[3]

كما رأى أونفونتان أن المشروع الذي جاء به في كتابه هو مشرع بكر في ميدان التنظير الاستعماري، إذ يرى أن الملكية التي يراها، تعد سابقة في العالم أجمع بما فيها فرنسا، وهي موجهة للقضاء على الصنف القديم راجيا أن تكون مفيدة حيث يقول:" إن طريقنا للتملّك جد خاصة على مستوى الكرة الأرضية، وحتى على المستوى الأوربي بما فيه الفرنسي... وهي مفيدة لكل زمان ومكان، ولكل شعب وخاصة لفرنسا... من خلال تحقيق مصالحها، باعتبار أن هذه الملكية تجمع بين السيطرة على العقار والعمل على انتقاله".[4]

ورأى أن الجزائر تعد المكان الملائم لإجراء تجاربه إذ يقول :" الجزائر هي مكان تجربة هذا التنظيم الجديد الذي نريد تحقيقه هنا، ونعمل ما في وسعنا لتحقيقه باستبعاد العقبات التي تقضي على شركاتنا القديمة".[5]

من أجل ذلك، كان أونفونتان يرى أن الحفاظ على الجزائر يتطلب تمكين الإدارة الفرنسية من الحكم وتسيير العمل " ولا بد أن نعمل المستحيل من أجل تأسيس قرى

---

[1] - صدر كتاب "احتلال الجزائر" عن مطبعة بيرتراند في باريس سنة 1843 في خمسمائة واثنين وأربعين صفحة (542) من الحجم المتوسط.

[2] - أونفونتان. ***استعمار الجزائر***. *Enfantin. **Colonisation de L'Algérie**. Bertrand. Paris. 1843. p43.*

[3] - المصدر نفسه. ص 75.

[4] - المصدر نفسه. ص 109 – 110.

[5] - المصدر نفسه. ص 116 – 117.

أوربية في الجزائر ونتولى نحن إدارتها".[1] هـذه الإدارة الـتي لا بد أن تتـولى الهـدم والبنـاء في آن واحـد، من خلال الجمع بين عمليـتي إنشـاء المسـتوطنات العسـكرية ومباشـرتها بالمسـتوطنات المدنيـة، على أن يتم الاعتمـاد على عوامل مساعدة خاصة تلك المتعلّقة بتغيير عـادات الأهـالي، وتغيـير القانون الفرنسي وتثقيف الأهالي والعمل على رفع مسـتوى تمدّنهم، أو التقدّم كما يسمّيه أونفونتان، بشـرط أن تكـون – حسبه – دائما هذه العوامل في خدمة المشروع الاسـتعماري الدّاعي إليه. هذا إضافة إلى لزوم الـترخيص بإنشـاء الملكية الفردية وإجـراءات نقل الملكية الـتي يريـدها لبنـاء مجتمع أوربي استيطاني دخيل تحت مظلة الاستعمار الفرنسي. هذا المجتمع الذي تمكّن له فرنسا عن طريق الهجرة. الـتي رأى أن تكون أوربية وخاصّة من الألمان والإيرلنـديين، في حين لا بد أن يكون الاستعمار أوربيا.

كما رأى أونفونتان أن كل التضـحيات المبذولة تسـعى لتحقيق هـدف سـامٍ هو الاسـتعمار، خاصة وأن الجزائر قد عرفت شعوبا مختلفةً من رومان ووندال وعرب. وكـان يريد من خلال ذلك تـبرير الوجـود الفرنسي في الجزائـر، خاصة حين يرى، زاعما، أن الوندال قد تركـوا بصـماتهم، وامـتزجوا مع السـكان الأصـليين وانـدمجوا معهم مثلهم مثل العـرب. وبالتالي فهو يـبرر الاسـتيطان الـذي يسـعى لبسـطه، خاصة حين يؤكّد ضرورة السير في الاحتلال من الشرق إلى الغرب أسـوة بالسـابقين،[2] ويعـني بصـفة خاصة العـرب الفـاتحين. ويجعل لـذلك طريقا اسـتراتيجيا على امتـداد قسـنطينة – تلمسـان الـذي لا بد أن يحتل عسـكريا مع فتح المجـال للمستوطنات المدنية على الساحل.

هذه المستوطنات الـتي رأى أونفونتـان أن تكـون من الشعوب الأوربية حيث قـال:" ...في هـذا الإطـار، إن أحسن ما أجـده هو تلك الفكـرة الرائعة للسـيد " سـان مـارك جيراردين" "*Saint-marc Girardin* "، في مجلة العالَمَيْن والقائلة أن احتلال الجزائر لابد أن يكـون أوربيـا، مسـيحيا، وليس فرنسـيا بالخصـوص، على أن يتم ذلك كله تحت السـيطرة

---

[1] - المصدر نفسه. ص 133.

[2] - المصدر نفسه. ص 199- 206.

الفرنسية".[1] ومفاد فكرته هذه أن تكون الهجـرة إلى الجزائر أوربية، بينما الاحتلال فرنسيّ.

وقد بيّن أوربان أن تنظيم المجتمع الأهلي لن يقتصر على الجزائـــــــريين، وإنما لابد أن يكـــــــون هجينا بين الأفارقة والمسـلمين. وأن يكـون الـرأس فرنسـيا وأطـراف الجسد فرنسـية، أما الاحتلال فلابد أن يكـون بـرأس فرنسي وجسد أوربي.[2] في إشارة إلى أن تكون سـيطرة فرنسا مطلقة من خلال التحكم في الاحتلال، ســـــــــواء من خلال بنـــــــــاء المسـتوطنات(الأجسـاد الأوربيـة)، أو من خلال بث العملاء في الجسد الجزائري.

4- تعلّقه بالشرق:

إن أوربـان كما يـورد عن نفسه قد تعلّق تعلقا كبـيرا بالشرق، وعمل طول حياته من أجل إقامة وحدته مع الغـرب خاصة قبل 1870، فقد قـال :" تـرون أيها السـادة الوطـنيون أنـني سـخّرت أجمل أيـام شـبابي لزيـارة الشـرق، بداية من القسـطنطينية إلى الإسـكندرية على طـول سـواحل آسـيا الصــغرى وســوريا، بعد أن تــوقفت في العديد من الجــزر اليونانية "رودس، كاندي، قبرص". خلال هذه الرحلة الطويلة التي يشك في فائدتها الكثير من الناس أحببت كثـيرا الأجـواء هنــاك واللغة وعــادات شــعوب الشــرق. لم أكن أعيش في القاهرة إلا مع المسلمين، فاكتشفت من خلال ذلك، الشــرق بكل جمالـه، والـذين زاروه وتعرّفـوا عليه سـيعذروننني على شرقيتي".[3]

عاش أوربان مقتنعا بأن الشرق يعيش انحطاطا وتخلفا مما جعله دوما في موقع المتلقّي أو المســتورد ولكنه مقتنع أيضا أن هـذا الشـرق نفسه بإمكانه أن يصـدِّر وأن يفيد إذا ما تم تنظيمه واســـتغلال ثرواته وفق سياسة تمدينية من أجل الوصول بشعوبه إلى معـنى الحضـارة، ومواصـلة المشـروع الاستعماري الكبير الذي افتتحه نـابليون بونـابرت في مصـر، والــذي لابد أن تواصــله فرنسا الأوْلى من غيرها – في رأيه – انطلاقا من الجزائــر، حيث صــرّح :" إن الشــرق ليس متلقيا

---

[1] - المصدر نفسه. ص 370.

[2] - المصدر نفسه. ص 370.

[3] - مقال أوربان في جريدة " الزمن" بتاريخ 05 جوان 1837. مصدر سابق.

فقط بل مصدِّرا أيضا، ولذا فقد حان الوقت لتحقيق التقارب بين أكبر نصفي العالم في هذا الكون، وبين أكبر ديانتين في هذا العالم، وبين الحضارتين، وتعويض الحرب من أجل تنفيذ الاحتلال، بسياسة تمدينية لإعادة تنظيم الشرق واستغلال ثرواته التي تبدأ من احتلال الجزائر. ولابد أن تحقق فرنسا تقدّما في الشرق لاستكمال المؤسسات التي بدأها نابليون".[1]

وإذا كانت " الحضارة" تحمل مدلولات فلسفية وتعريفات كثيرة، إن لم نقل كلمة مطاطة، فإنها عند أوربان تعني:" تطوير الجانب المعنوي للأشخاص ثم تحسين الجانب المادي، مع العلم أن تطوير الجانب المعنوي لا يتم إلا عن طريق التعليم والتثقيف والتكوين".[2]

ولعل دفاع أوربان عن العنصر الأسود، وعن صوت الأهالي المستضعف قد يذهب بالدارس إلى فكرة تأثير الإسلام على مواقفه، إلا أننا نرى أن ذلك مستبعد جدا حيث أن قناعاته هذه كان عليها قبل دخوله الإسلام. بل وتعلقه بالشرق هو الذي جعله يرتحل إليه لاكتشافه، ورفضه العنصرية هو الذي دفعه إلى اعتناق السانسيمونية.

نبذة حول الأوضاع العامة بالجزائر 1830 – 1870

إننا نشير إلى ملاحظة هامة هنا وهي أن هذه الفقرات ليس الغرض منها الإلمام بأوضاع الجزائر خلال الفترة المحددة لأن ذلك يتطلّب منا كتابة المجلّدات ثم أنها مدروسة كما هو معلوم، وإنما الغاية منها هي أخذ نظرة سريعة تجعل القاريء يرسم لنفسه تصوّرا أوليّا يساعده في فهم محتويات هذه المذكرة، أما إذا أراد التوسّع فما عليه إلاّ العودة إلى المصادر والمراجع المتخصّصة.

حينما جندت فرنسا قواتها لغزو الجزائر جندت معها إعلامها لتبرير الحملة على أنها تأديب للداي الذي أهان شرف فرنسا فيما عرف تاريخيا بحادثة المروحة في 29

---

[1] - ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 37.

[2] - أوربان. **الجزائر الفرنسية. الأهالي والمعمرون**. *Urbain. **L'Algérie Française .Indigènes et Immigrants** .Préface de Michelle Levallois. Suguir. 2002.p. 02*

أفريل 1827[1] وتخليص للشعب الجزائري من الحكم العثماني الـذي وصـفته الإدارة الفرنسـية بأنه حكم تـركي أي قـومي متسـلط ورجعي بعيـدا عن خصـائص الحضـارة والتقـدم والـرّقي... وفي المقابل قـدمت نفسـها على أنها محـررة للجزائر من هـذا الاسـتعباد طامحة إلى بنـاء حضـارة تـرتقي بالإنسان الجزائري إلى قمة التمدن والحرية، وهو ما حـاولت نشـره من خلال بيـان الحملة المـوزّع على السـكان عشـية الغـزو. إلا أنه ومع مـرور فـترة وجـيزة لم تتجـاوز الثلاث سنوات حتى تعالت صيحات الجزائريين الذين شـعروا بـأنهم قد أصبحوا مستضعفين في ديارهم من أمثـال حمـدان خوجة وإبـراهيم بن مصـطفى باشا وغيرهمـا..ـ مما دفع بحكومة باريس إلى إرسـال لجنة لتقصّـي الحقـائق وهي اللجنة الـتي عـرفت تاريخيا باسم (اللجنة الإفريقيـة) والـتي أقـامت بالجزائر من 28 أوت إلى 19 نوفمبر 1833 والتي ما فتئت أن كشـفت عن تجـاوزات جيش الاحتلال الـذي اسـتحل مدينة الجزائر والمناطق الساحلية التي وقعت تحت سـيطرته حين صرحت بمايلي:" لقد حطمنا...ممتلكات المؤسسات الدينية وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام وأخـذنا الممتلكـات الخاصة بدون أي تعويض... وذبحنا أناسا كـانوا يحملـون عهد الأمان..ـ وحاكمنا رجالا كانوا يتمتعون بسمعة القدّيسـين في بلادهم... لأنهم كـانوا شـجعانا في بلـدانهم لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين".[2]

---

[1] - كان الدّاي حسين قد تناول في حديثه إلى القنصل الفرنسي بالجزائر السيد بيير دوفال "*P Duval*" بمناسبة تهاني عيد الأضحى المبارك بتاريخ 29 أفريل 1827 قضية الدّيون المترتّبة للجزائر على فرنسا منذ حصار أوربا لها. ونظرا لسوء تصرّف القنصل أمام أنظار السلك الديبلوماسي المهنّيء، أشار عليه الدّاي بمروحته طالبا منه الخروج وقد يكون لمسه بها. فرفع القنصل تقريره على أساس أنه ضُرب ثلاث ضربات بالمروحة، مما دفع فرنسا الباحثة عن حجة لتنفيذ مشروعها الهادف إلى احتلال الجزائر منذ مؤتمر فيينا 1815 إلى تضخيم الأمر وفرض حصار على الجزائر بداية من 12 جوان 1827 انتهى بالاحتلال على إثر حملة 1830. ينظر: أبو القاسم سعد الله. **محاضرات في تاريخ الجزائر. بداية الاحتلال**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط3. 1982. ص 22 وما بعدها.

[2] - أبو القاسم سعد الله. **الحركة الوطنية الجزائرية. ج2. 1900 – 1930**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط3. الجزائر. 1983. ص 18.

ورغم اعترافات اللجنة الإفريقية إلا أن حكومة باريس قـررت دعم الاحتلال بل وانتهت إلى إصـدار قـرار 22 جويلية 1834 الــذي يلحق الجزائر بفرنسا أو كما ســماها القــرار " ممتلكات فرنسا في شمال إفريقيا"

ومن أجل التمكين لبسط الاحتلال الفرنسي بـالجزائر أرضا وشــعبا، ماديا ومعنويا أقبلت إدارة الاحتلال على هــدم مختلف البنى التحتية لجميع الميادين بالجزائر وهو ما نحــاول إجماله في الآتي من القول:

من الناحية الإدارية:

رغم صـراحة اتفـاق الـداي – بورمـون المـؤرخ في 05 جويلية 1830 الــذي يُلــزم فيه فرنسا بــاحترام الشــعب الجزائري احتراما كاملا سـواء من حيث الأرض أو العـرض أو المتـاع إلا أن فرنسا تنكـرت لـذلك وسـرعان ما ناقضت ذلك حين اسـتحلّت مدينة الجزائر لمـدة ثلاثة أيـام نهبا وسـلبا ... حتى يستكين الشعب الجزائري لسلطة الاحتلال بعد أن يـرى بــأم عينه مغبّة بقــاء كرسي الحكم شــاغرا. كما أرادت من خلاله الترويع والتخويف باتّباع أساليب وحشية.

ورغم أن المـؤرخين يكـادون يجمعـون على أن فـترة 1830-1834 هي فترة التردّد في العهد الاستعماري بالجزائر استنادا إلى الأدبيات الفرنسـية، وإذ نؤيّد ذلـك، نضـيف أيضا أن أرجح الآراء هو أن مصــطلح الــتردد هــذا ما هو إلاّ مجــرد تكتيك سياسي فرنسي لامتصاص غضب الغاضـبين من المنافسـين الاسـتعماريين في الخـارج ولـرؤوس الوطنـيين والحركـيين بالــداخل، وذلك ما نســتنتجه من المخططــات الفرنســية السابقة والقديمة نوعا ما في محاولة احتلال الجزائر، إضافة إلى مكانة الموقع الاســتراتيجي للجزائر وما يمكن أن تجنيه فرنسا استعماريا من بقاء الجزائر ضمن مستعمراتها. ولعــلّ أبــــرز ما يؤكد ذلك أنه :" خلال 1833 كُلّفت لجنة فرنســـية (اللجنة الإفريقيــة) بالإجابة عن الأســئلة التاليــة: هل يجب الاحتفاظ بالأراضي المحتلة؟، إذا كان الاحتلال مفيـدا فمـاهو النظام الذي ينبغي اعتماده؟، هل يجب الاقتصار على إخضاع الأهالي؟، هل يجب تدعيم الاحتلال بالاسـتعمار؟، مـاهو أكـثر النظم الإدارية ملاءمة؟، ماهي الحالات العامة لهذه البلاد من

جميع النواحي؟.[1] وكذلك إذا أضفنا إليها مخططات بـوتين "*Bo utin* " الاستخباراتية في 1808.

وعلى كل فإن الفترة الممتدة بين 1830 – 1834 كانت فترة عصيبة على الجزائر بالنظر إلى التطورات الحاصـلة بها من اسـتكانة النظـام الحـاكم نوعا ما إلى تكميم الأصـوات الثـائرة إلى انفلات الأمر والمقاومـات الشـعبية الـتي أربكت فرنسا وكسرت من جبروتها وأرغمتها على الاعـتراف بـالأمر الواقع كفشل الحملة الأولى على المدية والاضـــطرار إلى إمضاء معاهدة دي ميشيل مع الأمير عبد القادر.

ومن بين تجاربها أعلنت فرنسا النظام العسكري نظاما رسميا ساد الفترة الممتدة بين 1830 – 1870 باستثناء تجربة الحكم المـــدني فيما بين 1858 – 1860 تحت حكم وزارة الجزائر والمسـتعمرات، هـذا النظـام العسـكري الـذي أنشأ الحكومة العامة بـالجزائر وتكفّل بـإدارة المسـتعمرات من قبل قائد عسكري بداية من سـبتمبر 1834 من خلال شـخص الحـاكم العـام الأول الجـنرال " درويت ديرلـون" الـذي يتبع مباشرة وزارة الحربية في باريس وتم تقسـيم الجزائر إداريا إلى ثلاث ولايات وكل ولاية إلى دوائر وكل دائرة إلى بلديات. وهو نفسه النظام الإداري العثماني للجزائر تقريبا.

وتمثلت هذه الولايات الثلاثة (الأقاليم) في ولاية العاصمة بالوسط وإقليم قسـنطينة بالشـرق في حين كـانت وهـران عاصمة لإقليم الغرب.

واعتمـدت فرنسا في تسـيير حكمها على المركزية والعسكرية في آن واحد بالاعتماد على المساعدة التي يمكن أن يقـــدمها زعمـــاء البلاد خاصة من القبائل المطعـــون في كبريائها من أمثـــال المخـــزن والزمالة بعد ســـقوط الحكم العثمـــاني الـــذي كـــانت تســـتمد منه قوتها وكبرياءهـــا. أما العسكريون فإن أهم تنظيم مارسـوا من خلاله الحكم وتنفيذ سياسـاتهم هو تنظيم المكـاتب العربية المؤسسة ابتـداء من سـنة 1833، كما كـانت الحكومة العامة تظم " عـدة وزارات تتـوزع الصـلاحيات والمسـؤوليات الاقتصـادية والاجتماعية والعســكرية والتعليمية ومنها إدارة الشـــؤون الأهلية الـــتي

[1] - محمد الطيب العلوي. **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 – 1954**. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر. 1994. ص 30.

تتـولى شـؤون المسـلمين(الجزائـريين)، ومن ثمة نلاحظ أن مصالح الجزائريين كانت جـزءا فقط من اهتمامـات الحكومة العامة". كما " عوّض الفرنسيون البلديات التي وجــدوها في المدن الرئيسية والجماعات بإدارة مختلطة تتألف منهم ومن بعض أعيــان الجزائر مثلما وقع في العاصــمة في المرحلة الأولى وقسنطينة بعد احتلالها.[1]

والمتتبع للسياسة الفرنسية بـالجزائر في تلك الفـترة يلاحظ جيدا كيف أدّت إلى تعفّن الأوضـاع حيث كـان الصـراع على أشدّه بين وزارة الجزائر والمسـتعمرات والمـدنيين من جهة وبين العســكريين من جهة ثانيــة، أما على المســتوى الشـعبي فـإن الجزائـريين كـانوا قد شـكوا اضـطهادهم من ممارســات وزارة الجزائر والمســتعمرات وكــذا سياســات راندون" *Randon*" الـتي تبحث عن مزيد من الإذلال والإخضـاع للشـعب الجزائـري، أما المعمـرين فكـانوا يبحثـون عن مزيد من الأراضي حين ضـغطوا على الحـاكم العـام رانـدون وهو المــوالي لهم في ذلك لمزيد من انــتزاع أراضي الجزائــريين بحجة أن الجزائريين عـاجزون عن اسـتغلال الأرض وفلحهـا، ولـــذا لابد أن يـــترك لهم ما يكفيهم فقط وتشـــترى منهم الأراضي الأخـرى بطـرق تسـمى قانونيـة(؟).ولـذلك سـارع رانــدون إلى حشد الجزائــريين وازداد التأييد من المعمــرين لفكرة إقامة الملكية الفردية بدلا عن الملكية الجماعية. هذه الأوضــاع جعلت الإمــبراطور يقــرر زيــارة الجزائر للاطّلاع بنفسه على ما يدور بها.[2]

---

[1] - أبو القاسم سعد الله. **خلاصة تاريخ الجزائر. المقاومة والتحرير. 1830 – 1962**. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان .ط1. 2007. ص 67.

[2] - زار نابليون الجزائر مرتين كانت هذه الزيارة المشار إليها هي الأولى وتمت في سبتمبر 1860 بعد تعفّن الأوضاع بالجزائر على الشكل الذي ذكرنا. ورغم أن الإمبراطور لم يطل المكوث بالجزائر إلا أنه أخذ نظرة وافية عنها، وتجسّدت رؤيته، خلافا لمطامح المعمرين، في رسالة 1863 التي سنتناول أفكارها في الفصل الثاني من هذه المذكرة. أما الزيارة الثانية فكانت زيارة مطوّلة حيث مكث نابليون بالجزائر من ماي إلى 05 جوان 1865 وجاب مختلف أرجائها، ويبدو أنه كان يريد المكوث مدة أطول. فقد أشار أوربان دون تفصيل إلى ذلك فكتب :" في الطريق إلى بسكرة (أثناء الرحلة) وصلت برقية تفيد بوفاة الماريشال "مانون" "*Magnon*" فأوضح الإمبراطور أن هناك معارضة خطيرة يقودها الجيش بباريس". (أوربان. السيرة الذاتية. المصدر السابق. ص 76). فقطع الإمبراطور على إثر ذلك زيارته واتجه نحو سطيف

وباعتبار أننا سنتناول الحديث – فيما بعد – عن رسالتي الإمـبراطور لسـنتي 1863 و 1865 فإننا نـرى من المفيد أن نشير إلى فـترة حكم بيليسـيي الـذي ارتبط بالرسـالة الأولى وإلى ماكماهون الذي أرسلت إليه الرسالة الثانية.

المعروف عن بيليسيي أنه رجل حرب وبطش وهو صاحب مجزرة غار الفراشيش بجبال الظهرة الـتي راح ضـحيتها ما يربو عن الألف شخص من النساء والولـدان صـبرا حين جمع الحطب وأضرم النار في مـدخل الغـار حـتى وُجـدت الأمهـات مختنقـات وهن يحتضنّ أبنـاءهن ومـات الجميع على ذلـك. ولكنه حين عينه نابليون حاكما عاما على الجزائر[1] كـان قد بلغ من الكـبر عتيا فهو آنـذاك ابن السـبعة والسـتين سـنة ولم يعد له اهتمـام بالشـؤون الإدارية ولا بتنفيذ أفكـار نـابليون. وكـان تعيينه هـذا عـودة إلى الحكم العسـكري بـالجزائر بعد تجربة وزارة الجزائر والمسـتعمرات من 1858 إلى 1860 والـتي نـادت بـالتمكين للمعمـرين وإرسـاء حكم مـدني بـالجزائر فأنشـأت خلال هـذه الفـترة الوجـيزة سـبع عشـرة قرية فلاحية للكولـون وتنـازلات مجانية عن الأرض بلغت 4600 تنازلا من أراضي الجزائريين.

وشهد عهد بيليسيي صعوبة في تطبيق الأفكـار الـتي أراد الإمـبراطور وأوربـان تطبيقهـا، ذلك لأنه لم يعد له كبـير اهتمـام بالشـؤون الإدارية كما ذكرنـا، ولما تمـيزت به فـترة حكمه من صراع بين العسـكريين والمـدنيين، فهـذا مـدير الشـؤون الأهلية السـيد "ميرسي لاكـومب" كـان عازما على مواصـلة عمليـات حشد الأهـالي [2] الـتي كـان قد انتهجها رانـدون، وهي السياسة (حشد الأهالي أو الكانتونـات) الـتي تعـني إبعـاد الجزائـريين عن أراضيهم في الوقت الـذي تنص فيه رسـالة 1863 على التخفيف على الأهالي باسـترجاع بعض الحقـوق كما سـنرى. وهـذا وارني يـدعو إلى العـودة إلى الإدارة المدنية بـدلا عن العسـكرية الـتي هاجمها بقوة لا سيما المكـاتب العربية الـتي اتهم العـاملين بها " بالحرص على خدمة مصالحهم الخاصة بدلا عن خدمة المصـلحة الفرنسية"[3] بل قـال عن ضـباطها:" إن ضـباط المكـاتب العربية

عبر باتنة ومنها إلى بجاية باتجاه فرنسا التي دخلها يوم 07 جوان 1865. المرشد. مصدر سابق.

[1] - عيّن الإمبراطور بيليسيي حاكما عاما على الجزائر بتاريخ 24 نوفمبر 1860 فكان بذلك أول حاكم عام بعد إعادة تأسيس الحكومة العامة.

[2] - سعد الله. الحركة. ج1 ق1. مرجع سابق. ص 17.

يعملـون على نشر المحسـوبية من أجل حفظ النفس".[1] واصـفا المـروّجين لأفكـار نـابليون وأوربـان شخصـيا دون أن يسـمّيه بقوله:" لذلك يصدر كتـاب مجهـول المؤلّف لا أقـول عنه إنه من ضـــباط المكـــاتب العربية وإنما من الكتـــاب الأكـــثر عدائية للاحتلال".[2] لأنه كـان يـرى أن الاحتلال لابد أن يقتصر على خدمة مصـالح فرنسا والمعمـرين فقط حـتى ولو أدى ذلك إلى إبـادة الجزائـريين، على عكس ما كـان ينـادي به أوربـان من اهتمـام بالأهالي في إطار التمكين للاحتلال الفرنسـي. وفي إطـار هـذا الصراع دائما ينبغي أن نشير إلى أن أوربان كان ناقدا لـوزارة الجزائر المنتهية عهـدتها وللحكومة العامة معـا، فبعد أن رأينا رأيه فيما يخص سياسة الحكومة العامة نعـــــرض رأيه فيما يتعلق بـــوزارة الجزائر والمســـتعمرات حيث قـــال:" إن ما قـامت به الـوزارة من السـماح للأوربـيين من شـراء بعض الممتلكـــات من الأهـــالي بالمنـــاطق العســـكرية والعكس بالمنـــــاطق المدنية هو أول تقـــــدّم خطر على المصـــــالح الفرنســية وعلى مصــالح المعمــرين بــالجزائر، وهو أوضح أسلوب على أن أولئك هم أعداء الاستعمار "، كما أشار أيضا إلى إن الطريقة الـــتي تتبعها الحكومة العامة في التســـيير تعيق المعمـرين " عن الـدخول إلى عـالم الحيـاة المعاصـرة والتّمـــدّن" مشـــيرا إلى أن "أغلبية المعمـــرين يـــأتون إلى الجزائر من أجل الثروة".[3]

أما ماكماهون وعلى العكس من بيليسيي كان لا يزال في قـوة العطـاء السياسي حين عُيِّن حاكما عاما للجزائر في 01 سبتمبر 1864 وكان من أكفأ الضباط الفرنسيين، إذ أنه خرّيج مدرسة " سـان سـير" العسـكرية، ومن بين أهم الجـنرالات الذين دخلوا مع الحملة سـنة 1830 ولم يخـرج من الجزائر إلا مع سقوط الإمبراطورية الثانية سنة 1870. وكان ماكمـاهون من مؤيدي المدنيين في الجزائر ولذا كان ضد أفكـار أوربـان بل وصل به الأمر إلى محاولة إبعـاده عن الجزائـر، وكـان قد أخفى عن الإمبراطور امتعاض الجزائريين من سوء الأحـوال

---

[3] - وارني. **الجزائر أمام مجلس الشيوخ**. *Warnier. **L'Algérie devant le Sénat**. Imprimerie de dubuisson. Paris. 1863. p22.*

[1] - المصدر نفسه. ص 25.

[2] - المصدر نفسه. ص 25.

[3] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 142.

الـتي لحقت بهم حين زيـارة الإمـبراطور الثانية إلى الجزائر سنة 1865 والتي أهمها الحشد والفقر وتدهور الأسر الكـبرى كما سيمرّ بنا. كما أخفى أيضا الرسـالة (الكـتيّب) الـتي بعث بها الإمبراطور في 20 جوان 1865.بغية منه في الحيلولة دون تطـبيق أفكارها متـذرّعا بثـورة الـرأي العـام، ووصل به الأمر إلى عـدم نشـرها على جريـدة المبشّـر المخوّلة لنشر كل ما يتعلّق بالأهالي.[1]

من الناحية الثقافية

لعل من أهم الجوانب التي يبرز من خلالها الوضع الثقافي هي جوانب التعليم والقضاء والـدين، ولـذا حاولنا أن نتطـرق إليها بما يفي المبحث حقّه دون استرسال.

تركت فرنسا قطاع التعليم بالجزائر قطاعا تقليديا رغم ادعائها أنها تهـدف إلى سياسة تعليمية تسـاعد الأهـالي على التمدّن. إذ أن سياسـتها هـذه كـانت في حقيقة الأمر وسـيلة من الوسائل الفعّالة للتمكين لأهداف سياستها الاسـتعمارية، ولـذا رأت" أن المدرسة الفرنسـية لن تقـوم إلا على أنقـاض المدرسة العربية التقليديـــة، الـــتي كـــانت في نظر هـــؤلاء (الفرنســـيين)تشـــكّل حـــاجزا، وتحـــول دون قيـــام مدرسة اســـتعمارية في الجزائـــر، ومن ثم اســـتهدف النظـــام الاسـتعماري القضـاء على التعليم العـربي ومؤسسـاته في البلاد ".[2] فعملت، من أجل ذلـك، بحـزم على إفـراغ التعليم من محتواه، وصادرت الأوقاف التي كانت في العهد العثماني تمثّل القلب النـابض لـه، وحطّمت المـدارس والمسـاجد وحـولت بعضـها عن مهامها الأصـلية، وقلّصت دور العلم، وحرمت الجزائريين من اعتماد المدارس الحرة.

أما فيما يتعلّق بمـداخيل الأوقـاف، وهي التابعة للمؤسسات الدينيـة، فقد اعتـبرت فرنسا قطع سـيولتها عن التعليم بمثابة قطع حبل الوريد عن الإنسـان، فأقـدمت على مصادرتها مبكرا بقرار من كلوزيل في 07 ديسـمبر 1830 ولم

---

[1]- ماكماهون. **مذكرات الماريشال ماكماهون (الدوق دو ماجينطا)**.
*Mac Mahon. **Mémoires du Maréchal de Mac Mahon. Duc de Magenta**. Librairie plon. Paris. p212 213.*

[2]-عمار هلال. **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)**. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1995. ص 104.

تســتثن منها نوعا ســواء ما تعلّق بأوقــاف مكة والمدينة أو أوقاف المساجد أو الزوايا أو سبل الخيرات أو الجامع الكبـير أو الأندلس أو الإنكشارية أو المياه، أو الطرق والتي تجاوزت ملكياتها 2600 ملكية سنة 1830.[1]

هـذا من حيث المـوارد الدينية للتعليم، أما ما يتعلّق بالمجـال الـديني فيمكن استخلاصه من تصـريح الجـنرال دي لامورســيير حين قــال:" حللنا بمدينة الجزائر فاتّخــذنا من المدارس مخازن وثكنات وإصطبلات، واستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس، وكنّا نظن أننا سـنعلّم الشـعب العـربي مبـاديء الثـورة الفرنسـية، ولكن مع الأسف أن المسـلمين رأوا في ذلك ضربة للدّين والعقيدة".[2]

وعملت فرنسا على تبرئة حملتها على الجزائر من أي سبب ديني أو هدف لتنصير الجزائريين، إذ كـان العسـكريون هم من يتولّون تنفيذ هـذه المهـام إلى غاية تأسـيس أسـقفية الجزائر سنة 1838 وتعيين الأسقف دوبوش على رأسها الذي قــام بعمل كبــير نــذكر منه إنشــاء 60 كنيسة ومعبــدا و16 مؤسسة دينية ووضع الحجر الأساس لـدير الإخـوة "لاتـراب"

---

[1] - خديجة بقطاش. **الحركة التبشيرية الفرنسية بالجزائر 1830 – 1871**. (دبلوم دراسات عليا تحت إشراف الدكتور سعد الله). مطبوعة بالجزائر 1992. ص 23. ويفيدنا هذا المرجع ببعض الشروحات الهامة لأنواع الأوقاف المذكورة، فتشير الأستاذة بقطاش إلى أن أوقاف مكة والمدينة هي أهم الأوقاف على الإطلاق لأن دخلها يساوي ثلاثة أرباع كل مؤسسات الحبس. جزء منها يُبعث إلى فقراء مكة والمدينة وجزء آخر يوزع على شكل صدقات لفقراء مدينة الجزائر صباح كل خميس. أما سبل الخيرات فتأسّست سنة 1584 وهي عبارة عن هيئة دينية تشرف على ثمانية مساجد بمدينة الجزائر تابعة للمذهب الحنفي. أما أوقاف المسجد الكبير فيشرف عليها المفتي المالكي بمساعدة ثلاثة وكلاء. أما أوقاف الزوايا فهي كثيرة بمدينة الجزائر، وكل زاوية تحتضن ضريح وليّ صالح ويأتيها الزّوار من كل الجهات ليتبرّكوا بدفينها ويقدّموا لها الهبات المختلفة، وعددها 19 زاوية لكل منها ملكيات مختلفة. في حين تأسّست أوقاف الأندلس سنة 1601 لفائدة النازحين من الأندلس أيام ظهور حركة الاسترداد المسيحي بإسبانيا، وقد ساهم في تكوينها الأغنياء من المهاجرين لإغاثة مسلمي الأندلس. أما أوقاف الإنكشارية فتشير إلى أن الإنكشارية كانت تمتلك سبع ثكنات وكل ثكنة مقسّمة إلى 100 حجرة وكل حجرة تتكوّن من هيئة دينية بيدها ممتلكات يشرف عليها وكيل الحجرة. المرجع نفسه. ص 38 – 39.

[2] - إيفون تورين. **الصّراعات الثقافية بالجزائر المستعمرة**. *Yvonne Turin. **Affrontements culturelles dans L'Algérie coloniale. 1830 – 1880**. ENAL. 2eme édition. 1971. p 119.*

قرب سيدي فرج واسـطاوالي قبل أن يخلفه بـافي إلى غاية 1866 الـذي واصل ما بـدأه سـلفه وزاد عليه بـأن افتتح معبد سيدة الخلاص "حصن سانتا كروز" بوهران سنة 1850 ووضع الحجر الأسـاس لبنـاء كنيسة السـيدة الإفريقية سـنة 1854 وجعل أسـقفية الجزائر على نفس المكانة مع نظيرتها بباريس وعمل على إنجاز أسقفية بوهران.

أما ثالثة الأثافي على الجانب الديني في الجزائر فكان الكاردينال لافيجري الذي جاء مع سـنة 1867 متسـائلا " كيف تظل فرنسا في الجزائر قرابة أربعين سـنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين؟". وهو الشيء الـذي عمل من أجله طـول حياته بـالجزائر وأسس من أجله مؤسسة الآبـاء والأخـوات الـبيض، وجمع ما وصـلت إليه يـداه من اليتـامى الجزائـريين وعمّدهم وأقام حفلات زواج على شرف إقامة أسر من ذكور وإناث أولئك اليتامى مريـدا إنشـاء فئة سـكانية صـنعت على طريقته لتحفظ أهدافه بالجزائر.[1]

أما ما يخص القضـاء فلم تكن هنـاك "سياسة قانونية رسمية فرنسـية واحـدة في الجزائر خلال الفـترة الأولى من الاحتلال (إلى غاية 1834) حيث كـانت الجزائر تحت سـيطرة القائد العـام الـذي يسـيرها وفقا لقناعاته وأهوائه من دون الرجـوع إلى النصـوص القانونية سـواء الجزائرية أم الفرنسـية".[2] زاعمة أنها تـركت للقضـاة المسـلمين حرية معالجة كل القضايا وإصدار الأحكـام، ولكنها كـانت في إطـار التوجّه الـذي ترسـمه لهم، خلال العشـرية الأولى من الاحتلال،[3] فلم يكن ذلك إنصافا للجزائريين واحتراما للاتفـاق مـادام القضـاة الجزائريـون ملـتزمين بما تريـده الإدارة الاستعمارية، بقدر ما كان تجنّبا لصدام مع الأهالي فيما يتعلّق بمعتقـداتهم خوفا من إصـرارهم على التمسّـك بخيـار المقاومة.

---

[1] - للتوسع أكثر حول مضمون هذه الفقرة يرجى العودة إلى: سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج 6. مرجع سابق. ص 106 وما بعدها. وكذلك كتابه: الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. ق2. مرجع سابق. ص 400 وما بعدها.

[2] - احميدة عميراوي. **أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر وفلسطين)**.دار الهدى.عين مليلة. الجزائر 2003. ص 17.

[3] - سعد الله. خلاصة... . مرجع سابق. ص 75.

ونشير هنا إلى أنه في هذه الفترات أنشأت إدارة الاحتلال ثلاث محـاكم في عواصم الأقـاليم الثلاثة إثر صـدور قـرار الإلحـــاق في 22 جويلية 1834 والـــذي لم يلغ المحـــاكم الإسلامية.[1]

ولكن المتتبع للمراسيم والقرارات القضائية الصّـادرة فيما بين 1830 و 1870 يلاحظ وبوضوح التخوف الفرنسي من جهة، و العـزم على تحقيق الوثبة القانونية الـتي تسـيطر من خلالها فرنسا على المحـاكم من جهة أخـرى فتخضع بـذلك الجزائر بلدا وشعبا.وهذا ما يفسّر تغلغل القضـاء الفرنسي " حـتى زعـزع مكانة القضـاء الإسـلامي الـذي لم يبق له إلاّ الأحوال الشخصية مع شروط".[2]

الوضع الاجتماعي والاقتصادي:

إن الوضع الاجتماعي الجزائري مع نهاية الحكم العثماني وبداية عهد الاحتلال لم يكن يختلف عن بـــاقي الأوضـــاع، فالمجتمع ذو طـابع ريفي في الغـالب حيث يسـتقر أهل البلد (الجزائريون) وهم الأغلبية السـاحقة الـتي تتجـاوز الـ 95 % من إجمالي عدد السكان، أما الفئة الحضـرية فقد تمثّلت في الأتراك والكراغلة وقبائل المخـزن إضـافة إلى أهل الأنـدلس وأهل الذمة. ولكن الجـانب الـذي يهمنا الآن هو الوضع الـذي آلت إليه الحالة الاجتماعية مع بداية عهد الاحتلال. وفي ذلك نقول إن فئة الأتراك ومن سار في فلكهم من رجال المخزن كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة إذ سخّر الحكـام العثمـانيون " قوادا وشيوخا يعيّنهم الباي مباشرة ويخضعون لإرادته. وعلى أكـبر مسـتوى أي البايلك اعتمد البـاي على قبائل المخـزن المتحالفة مع الحكم المركزي مقابل حصولها على امتيـازات مالية وسياســـية لقمع كل ثـــائر ضد الحكم العثمـــاني في الجزائر". أما أهل الريف فكان عليهم السمع والطاعة للداي متـأثرين بـالمرابطين الـذين مثّلـوا لهم النزاهة والصـدق والجهـاد ومُتَّحِـدِين فيما بينهم بـالأعراف والتقاليد والاحتكـام إلى الجماعة الـتي تسـتمد سـلطانها من الـدين الإسـلامي الحنيف ومن العرف المحلي.

---

[1] - عميراوي. أبحاث... . مرجع سابق. ص 18 – 19.

[2] - سعد الله. خلاصة... . مرجع سابق. ص 76.

ونظرا لرد فعل الشعب الجزائري – بعد سقوط النظام العثماني- وتصاعد المقاومة سارعت الإدارة الاستعمارية إلى سياسة الترويع والإبادة فأبادت قبيلة العوفية في متيجة عن آخرها كما أبادت قبيلة أولاد رياح في الظهرة، وسلك قادة الاستعمار سياسة الأرض المحروقة.

ولاشك أن تنظيما اجتماعيا كهذا لا يخدم المصلحة الاستعمارية في شيء ولا يساعد على بناء الحاميات الاستعمارية الممهدة لبناء المستوطنات الأوربية على أرض الجزائر، فسارعت فرنسا إلى تشجيع الهجرة الأوربية تحت شعار " لابد أن تكون الهجرة أوربية فيما يكون الاستعمار فرنسيا" كما سيمر معنا في موضعه. ووصفت الكتابات الفرنسية تلك الأعداد المعتبرة من المهاجرين بـ"النسبة الكافية لإحداث تغييرات عميقة على المجتمع الجزائري"[1] حسب ما تمليه إدارة الاحتلال طبعا. وبالتالي يبدو رهان الإدارة الاستعمارية كبيرا على تأثيرات العنصر الأوربي وما يمكن أن يغرسه من خصوصيات الحضارة الغربية بالجزائر لطمس هوية الشعب التي كانت متأصلة . وقد صرّح أحد رجال البرلمان الفرنسي وهو السيد ديفيفيي" *Duvivier*" في إحدى الجلسات قائلا :" لقد ضحينا في الجزائر بنحو 100 ألف رجل فيما بين 1831 و 1848... قد نقول إننا ضحينا بهذا العدد الهائل دون تحقيق نتيجة هامة للاحتلال، ولكننا نقول إن هؤلاء الرجال استطاعوا أن يفتحوا بشمال إفريقيا فضاء فرنسيا... وهي قضية أساسية جدا... إن الأوربيين(يقصد المعمرين) مقبلون على جعل المنطقة منطقة أوربية".[2]

ولقد كان من نتائج سياسة تشجيع الهجرة والاستيطان التي انتهجتها فرنسا أن ارتفع عدد المعمرين بالجزائر فبلغوا سنة 1863 200 ألف أوربي منهم 120 ألف فرنسي، خاصة بعد أن وجدوا مختلف" التسهيلات لإقامة وبناء حياة جديدة في الجزائر، وجدوا الأرض والأمن والمعدّات، وكانت السلطة توفر لهم كل أسباب العمل في أول الأمر بأسلوب

---

[1] - كراسات الاحتفال المئوي. بالموقع الإلكتروني *Garcia* الكتاب الثاني:أ. ميينيي. ***تهدئة الصّحراء 1852 – 1930*** ***La pacification du sahara. O. Meynier 1852 – 1930.***.

[2] - المصدر نفسه.

مغر، فلمدة ثلاث سنوات لا يدفع المهاجر الضرائب ولا يردّ سُلَّفة نقدية، كما كان يجد الطرقات ممهدة والحماية من الاعتداءات عليه".[1]

ونظرا للرغبة الفرنسية في الاستيطان فقد سارعت إدارة الاحتلال منذ 1830 إلى توطين المعمرين على الأراضي الخصبة التي تصادرها من ملاّكها القانونيين بطرق تسمّيها قانونية مستغلة اختلاف أنماط الإرث بين فرنسا والجزائر، حيث كان يكفي الفرد الجزائري انتقال الملكية إليه أبا عن جد. وباعتبار أن الملكية كانت في غالبيتها المطلقة ذات طابع جماعي فقد نصت القوانين الفرنسية على مصادرتها من أصحابها إن هم لم يسوّوا وضعيتها القانونية في ظرف ثلاثة أشهر، في ظروف في غير صالح الجزائريين، فمنهم من لم يكن يدري أصلا ما الوثائق الإدارية والتسوية القانونية التي تطلبها فرنسا لجدّة الأمر عنه، ومنهم من لم يكن باستطاعته استحضار الوثائق المطلوبة في ظل البيروقراطية الإدارية المتعمّدة في ذلك، ومنهم من كان في حكم الغائب من المهاجرين أو الذين التحقوا بصفوف المقاومة... وكان أول قرار سنّته الإدارة الفرنسية للتمكن من الاستحواذ على أراضي الجزائريين هو قرار سبتمبر 1830 الذي ينتزع الأرض من أصحابها، وقرار الفاتح من أكتوبر 1844 الذي تولى الأوقاف والعقار، حيث اعتبر أن الأراضي غير المزروعة أو التي هي غير مسجلة في المصالح العقارية الفرنسية بعقد صريح تتحول مباشرة إلى مصلحة أملاك الدولة (الدومين) التي تصبح سيّدة في التصرف فيها. ولعل أخطر هذه القوانين جميعا هو ذلك القانون الذي أصدره الحاكم العام راندون في 16 جوان 1851، والذي يخوّل لفرنسا حق السيطرة وملكية أراضي العرش. وإذا كان راندون يتلذّذ بمحاصرة الجزائريين وحشدهم بالمحتشدات وإرغامهم على ترك الأرض، فإنه هذه المرة استجاب أيضا لمطالب المعمرين الذين قد طلبوا المحال من الطلب حين ضغطوا على الحكومة للتحديد للأعراش الأرض التي تكفيهم(؟) ثم جبرهم على التنازل عن الباقي ومحاصرتهم

---

[1] - سعد الله. خلاصة... . مرجع سابق. ص 80.

ودفعهم إلى التخلّي عن أراضيهم.[1] وهكذا صادرت الإدارة الفرنسية الأراضي الخصبة من أصحابها وألحقتها بمصالح الدومين أو وزعتها على المعمرين المستقدمين، كما رخّصت لمصالح الدومين أن تضم أملاك الأوقاف في سابقة خطرة "بدعوى أن الإسلام دين ودولة، وأن الدولة (فرنسا) هي التي لها حق صيانة وتسيير شؤون الوقف". وأصبح الجزائريون تبعا لهذه السياسة أجراء لدى المعمرين أو خمّاسين وحتى بطّالين أيضا".

وإذا كان هذا هو مجمل ما يتعلق بالأرض والوقف فإن الإدارة الاستعمارية، وبعد أن جعلت الفرد الجزائري غريبا على أرضه حينما حظرت عليه الرعي واستغلال الغابات، أرهقت أيضا كاهله بأنواع كثيرة من الضرائب، كان أبرزها الضريبة العربية وهي التي يدفعها الجزائريون دون غيرهم من المعمرين، وكانت الغاية منها إرهاق كاهل الجزائريين وتجريدهم من ثرواتهم بأساليب قانونية، فأضحوا يدفعون الضريبة الدينية من زكاة وعشور، ويزيدون عنها الضريبة عن الحيوانات التي تختلف حسب النوع وحسب ما تقدره مصالح المكاتب العربية فالجمل مثلا ضريبته أربع فرنكات وثلاثة عن البقر و0.15 فرنكا عن الماعز أما الخراف فالضريبة عنها 0.20 فرنكا. هذا إضافة إلى ضرائب الحكور (وهو العشر من مدخول الكراء من أرض الدولة (البايلك) بعد أن كانت أراضي عرشية تمت السيطرة عليها).كل ذلك مع ضريبة اللّزمة المطبّقة في منطقة القبائل كضريبة على الرأس، وفي الجنوب كضريبة عن كل نخلة بدلا عن كل رأس. مما اضطر الجزائريين إلى دفع أكثر من 18 مليون فرنك سنويا خلال الفترة الممتدة بين 1851 و 1866 مثلا.[2]

قدوم أوربان إلى الجزائر ونشاطاته بها

أوربان يلتحق بالجزائر خدمة للمشروع السانسيموني

في شهر ماي 1836 عاد أوربان خائبا من تجربته في مصر، ولكنه كان مغرما بحب الشرق وكيفية الوصول إلى

---

[1] - أبو القاسم سعد الله. **الحركة الوطنية الجزائرية. ج1 ق2. 1860 – 1900**. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 2000. ص 26 – 28.

[2] - المرجع نفسه. ص 76.

تحقيق التقارب بينه وبين الغرب. إلا أن قدرات أوربان كـانت دون ذلك بكثير، ولذا فكّر بأن يعود إلى أجـواء التشـرّد الأدبي من جديــد، وأن يمتهن التجــارة أو المســرح أو الصــحافة أو الرواية، فطلب من صديقه ديشتال أن يُعِينه في ذلك فجمعه بإحدى كبيرات المسرح آنذاك وهي "مـاري دورفـال" "*Marie Dorval*"، لكن هذا المشروع سرعان ما تبخّر،[1] فعاد أوربـان من جديد إلى الكتابة في صــحيفة "الــزمن" "*Le Temps*" و"مجلة القرن 19"ـ "*La revue de 19 siècle*"ـ وصحيفة " العالم" "*Le Monde*" إضافة إلى صحيفة "القانون" "*La Loi*" وصحيفة "دسـتور 1830"ـ "*La Charte de 1830*"ـ وصـحيفة " المخـزن العجيب" "*Le Magazin pittoresque*".[2]

وفي إطــار التهيئة للمشــروع الكبــير" المشــروع السانسيموني" وبتأثير من الصـديق ديشـتال الـذي يـرى في أوربـان الشخصـية المؤهلة للقيـام بهـذا الـدور في الشـرق، طلب أوربان من ديشـتال أن يتوسّـط له للتوظيف بالشـؤون الخارجية للعمل ككاتب عند ديفييريي إلا أنه أجابه بأن مكانته كبائس فقـير عَجَز عن تجديد القبعة أو الحـذاء، لا يتناسب مع الطموح الذي يصبو إليه في عـالم الرفاهية والغـنى، ونصـحه بـأن يتوجّه إلى الجزائر الـتي سـوف يحقق حلمه بهـا، خاصة وأن أوربــان كــان يتطلّع إلى اكتشــاف الشــرق انطلاقا من الجزائــر.فكــانت الجزائر إذا طموحا لــدى أوربــان ووجد من يدعّمه في ذلك "ديشتال" في الرسالة الهامة التي بعثها له،[3] والتي نبّهه فيها بألا يقبل الـذهاب إلى الجزائر فحسـب، وإنما لابد من العمل في الجيش، ومن اعتماده على حماية الوزراء له، لأن المستقبل بالجزائر للضباط الشـباب من أمثالـه، كما هو الشأن بالنسـبة للامورسـيير. وبـذلك يسـتطيع أن يفـرض وجوده ويمكّن لنفسه ويمحو عقدة ميلاده التي يعاني منها.

---

[1] - **رسائل ديفيريي إلى أوربان في 03، 28 أفريل ، 04 ماي 1836**. بـ ميشال لوفالّوا. مرجع سابق.ص 39.

[2] - المرجع نفسه. ص39 .

[3] - **رسالة ديشتال إلى أوربان في 15 أوت 1836**. بـ ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 34.

استغل السانسيمونيون تعيين الجنرال "بيجو"[1] بوهران سـنة 1837 فتوسـطوا لأوربـان عنـده، وعند وزير الحربية "البارون برنارد" "*Baron Bernard* "، الذي قدّم له أوربان نفسه كسانسـيموني يعـرف الشـرق جيـدا، من خلال تجربته في مصـر، ومخالطته العـرب والمسـلمين، واطّلاعه على الكثـير من عاداتهم وتقاليدهم، وأنه يفهم اللغة العربية جيـدا وخاصة اللهجة المصرية الـتي لا تختلف كثـيرا عن اللهجة الجزائريـة. وبيّن له أنه امتلك الشـجاعة الكافية حين اعتنق الإسـلام من أجل كسب ثقة العرب واكتشـاف أسـرارهم وحـتى لا يخفـوا عنه شـيئا. فـأعجب به بيجو وتمسّـك به ليعضـده في مهمّته بوهران، خاصّة وأن الجيش الفرنسي مقبل على استراتيجية جديدة وهي تعويض المترجمين الشـرقيين بـالمترجمين ذوي الأصل الفرنسـي،[2] كما لعب البرلمـان دورا مهما في تـدعيم المرشح أوربـــان لتـــولي دور الترجمـــة، وخاصة عن طريق "واران" "*Warein* "و"بييرون" "*Piéron* " و إيميل بارو بتوسّـط من " شارل بليشـون"" *Charles Plichon* "الـذي كتب أيضا إلى الـوزير تأييـده لأوربـان على أسـاس الصـفات المـذكورة سـابقا.أما بـارو فقد كتب رسـالة مطوّلة – على شـكل تزكية

---

[1] - الجنرال بيجو هو توماس روبير بيجو دو لا بيكونيري الملقّب بالدوق دي زلي. من مواليد 1784 رقّي إلى رتبة ماريشال فرنسا في 310جويلية 1843، حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في إسبانيا واشتهر بالعنف. تولى الحكم في الجزائر من 29 ديسمبر 1840 إلى 29 جوان 1847. تميّز بالقهر والبطش والإبادة والتدمير والتهجير فيما يعرف بالحرب الشاملة التي مارسها ضد الجزائريين. ولذلك أصدر عدة قوانين زجرية وقمعية كقانون مصادرة أراضي وأملاك الثوار، إجبارية عقد الأسواق للتبادل التجاري بين الجزائريين والأوربيين. كما عمد إلى قطع المدد عن الثوار من خلال حشد الجزائريين في المحتشدات ومحاصرتهم، وتجريد الجزائريين من أملاكهم ومحاصيلهم. توفي بفرنسا بمرض الكوليرا سنة 1849 .ينظر: بول آزان. **بيجو والجزائر**. بد ط. *Paule Azan. **Bugeaud et L'Algérie**. Préface André Maginot*. وكذلك المركز الوطني للدراسات والبحث. مرجع سابق.

[2] - ميشال لوفالّوا. لمرجع السابق. ص 40. ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن فرنسا اعتمدت في بداية احتلالها للجزائر على مترجمين من الشرق من أمثال "بنيامين فانسين"" *Benjamin Vincent* "و"أبراهام دانينون"ـ " *Abraham Daninos*" و الدمشقي " شارل زكّار" "*Charles Zeccar*"... لمزيد من المعلومات حول المترجمين وتعليم اللغة الأوربية للأوربيين يراجع: هنري ماسّي. مصدر سابق. ص 02.

شخصية – يدعّم فيها أوربان، ومما جاء فيها :" هيئة مشـرّفة وقلب طيب مع ذكاء متّقد، إنه جذاب لكل شيء".[1]

وبفعل هذه المحاولات كتبت الوزارة بتاريخ 18 مارس 1837 إلى المعنـيين الثلاثـة؛ أوربـان والحـاكم العـام وبيجو رسـالة جـاء فيهـا:" إن أوربـان قد تم تعيينه كمـترجم لجيش إفريقيا".[2]

ويبدو أن أول رد فعل لأوربـان حـول هـذا التعـيين هو قولـه:" يجب أن تكـون الجزائر المدرسة الـتي تحضّـر فيها فرنسا تدخّلها الواسع في الشرق، وأن الرجال الجدد سيتكونون في الجزائر وأنا مسرور باعتباري واحدا منهم".[3]

وفي إطار التحضيرات لالتحاقه بمهمته الجديدة بالجزائر، استُدعي إلى الوزارة بتاريخ 04 أفريل 1837 حيث تلقى الأمر بالـذهاب مع الجـنرال بيجو إلى وهـران، فـأبحر من مرسـيليا إلى تولـون يـوم 15 أفريـل، ثم انتقل على متن البـاخرة "النسر" "*Le Vautour*" إلى مـاهون" ومنها إلى الجزائر الـتي دخلها صباح يوم 22 أفريل 1837 حـاملا أمر تعيينه في رسـالة من "لامورسيير" إلى مدير المكاتب العربية"بيليسيي"، ومما جاء فيها:" ... عزيـزي بيليسـيي، شـاب سانسـيموني سـابق يسمى أوربان أُرسل كمترجم من قبل الجـنرال بيجـو، قضى عـدة سـنوات بمصـر، إنه لا يتقن اللغة العربية فحسب ولكنه مسلم أيضا، شارك العرب والمسـلمين ما عاشـوه، وهـذا ما جعله يتناول فكـرة الصـراع المسـيحي- الإسـلامي ويطرحها طرحا فلسفيا، وهو مثلك في فهمك لقضية الشـرق والغـرب ومستقبلهما، لقد قـرر أن يسـخّر حياته لإنجـاز الإتحـاد الـذي

[1] - رسالة أوربان إلى وزير الحربية. مصدر سابق.

[2] - ميشال لوفالّوا. المرجع السابق. 40. أما الحاكم العام آنذاك فهو شارل ماري دونيس دامريمون "*Damrémont*" من مواليد 1783 بفرنسا خرّيج مدرسة فونتان بلو. تولّى القيادة في جيش إفريقيا منذ 1830 وأصبح جنرالا ثم عيّن حاكما عاما لممتلكات فرنسا في شمال إفريقيا. قاد الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة في أكتوبر 1837 وحينما كان واقفا يعاين الأمور بواسطة منظار أصيب إصابة بليغة بطلقة مدفع فسقط ولفظ أنفاسه. ينظر: المركز الوطني للدراسات والبحث. مرجع سابق.

[3] - **رسالة أوربان إلى أونفونتان بتاريخ 01 أفريل 1837**. بـ ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 41.

أعلنته أنت، سيكون مفيدا لك في إفريقيا. إنه يسعى لأن يحافظ على وضعه كمسلم، يلبس اللباس ويمارس الشعائر حتى يبيّن للعرب أنه بالإمكان أن يكون فرنسيا ومسلما في آن واحد...ـ . وهو من أحسن ما أنجبت الحركة السانسيمونية من أمثال ميشال شوفاليي وديشتال... إنه يريد التعرّف عليك والتقرّب منك. متعوّد على الكتابة، حاول أن تتعرّف عليه وتسمع منه فيما يخص القضايا المصيرية... تحياتي الخالصة".لامورسيير.[1]

وجدير بالذكر هنا التذكير بأن لامورسيير لم يكن غريبا عن الفكر السانسيموني، بل كان أحد رواده في الجزائر، ومن أوائل من حاول تطبيق هذا الفكر كمشروع استعماري يربط الجزائر بفرنسا ويربط الشرق بالغرب. وكان قد رأى في أوربان الشخصية الملائمة لتحقيق هذا الهدف من خلال فهم أوربان للغة العربية عامية وفصحى، واقتناعه بالمنهج السانسيموني في بسط الاستيطان واعتناقه الإسلام ورفض التمييز بين أسود وأبيض، إلى جانب ثقافته الواسعة حيال قضايا الشرق عموما.

وبالتالي من الأصوب ألاّ نرى هذه الرسالة فقط على أنها رسالة حكومية تحمل تعيين المترجم أوربان بالجيش الفرنسي في الجزائر، وإنما لابد أن نراها أيضا على أنها وسيلة لبث الفكر السانسيموني في أوساط الأهالي والمعمّرين من خلال التمكين لشخصية أوربان.[2]

نشاطات أوربان بالجزائر

الترجمة : أفريل 1837 – جانفي 1845

أول ما التحق أوربان بالجزائر عيّن مترجما في اللغة العربية بجيش إفريقيا في فيفري 1837 كما مر بنا، ومن أجل ذلك حطّ الرحال بالجزائر في شهر أفريل الموالي، وتقلّد منصبه بصفة رسمية في الثاني والعشرين منه إلى جانب الجنرال بيجو الذي كان آنذاك يقود سياسة الأرض المحروقة. ومن الأحداث الهامة التي حضرها أوربان وهو

---

[1] - **رسالة لامورسيير إلى بيليسيي بتاريخ 07 أفريل 1837**. بـ ميشال لوفالّوا. المرجع نفسه. ص 29.

[2] - لمزيد من المعلومات حول منهج السانسيمونيين في الجزائر، ينظر كتاب: إيميريت. مصدر سابق. ص 135 وما بعدها.

في بداية عهده توقيع معاهـدة التافنة في 30 مـاي 1837 وقد يكـون هو من تـولّى عملية الترجمـة. لأنه يعـترف بأنه كـان يكتب رسائل الجنرال بيجو وغالبا ما يبقى في المعسكر حين يخــرج الجــنرال على رأس كتــائب جيشــه.[1] ولكنه لم يطل المكـوث بـوهران الـتي غادرها باتجـاه العاصـمة في فيفـري 1838 رفقة الجنرال أوفراي" *Auvray*" ومن ثم إلى تونس في مهمة لشـراء أنـواع من الخيـول الجيـدة مـرورا بعنابة الـتي قطن بها مدة قبل أن يعيّن رسميا بقسنطينة.

وخلال الفترة الممتدة بين فيفري 1838 و جـوان 1842 مـارس أوربـان مهـام الترجمة لـدى جـنرالات آخـرين وهم أوفــراي 1838 وأورليــان " 1839 *Orléans*" ورومينــيي جــانفي 1842، وقد يكونون هم الآخرون استفادوا من أفكاره، خاصة وأن أوربان بنباهته قد أصبح على دراية كبيرة بشؤون الأهالي وأصبح مترجما ومستشارا لمسؤوليه، هذا إضـافة إلى خوضه ميـدان الحــروب رغم قناعته بعــدم جــدوى سياسة السـيف ورفضه لها علانية. ورغم اهتمامه بمهمته الأساسـية المتمثلة في الترجمة إلا أنه شــارك في بعض المعــارك في كتــائب الجنرال بيجو ضد الأمير عبد القادر، وربما قام بـذلك ليحافظ على مكانته وهو حـديث عهد بـالجزائر لأنه يـؤمن أن المكانة بالجزائر للعسكريين. كما عاد أيضا لتدبير الحروب مع الدوق دورليـان في سـبتمبر 1839 ضد جيش الأمـير مما يؤكد لنا أن الأمير لم ينقض معاهدة التافنة وإنما فرنسا هي التي نقضتها بتدبير من أوربان، مما نتج عنه استئناف الأمير الجهاد في 28 أكتوبر 1839.قبل أن يعـود إلى قسـنطينة في 20 نوفمـبر من السـنة نفسـها، إلا أن قيـادة الأركـان العامة بقيـادة الـدوق دورليان أمرته أن يغادر قسنطينة فورا للالتحاق بالحملة التي يعدّها أورليان نفسه على المدية، ورغم تنفيذ أوربان الأمر إلا أنه تعــذر عليه المشــاركة في أحــداثها، إذ أنه لم يتمكّن من إدراك الغزاة فانتظر عـودتهم وشـرح للـدوق أسـباب التـأخر فقبل عــذره وعرّفه بالــدوق دومــال "*Aumale*" ثم ســمح له بالعودة إلى قسنطينة بتاريخ 29 ماي 1840.

---

[1] - أوربان. السيرة الذاتية. مصدر سابق. ص 105.ومفيد أن نذكر هنا أن بيجو قد استخدم في مفاوضاته مع الأمير كلاً من المترجمين علي الفدّا والسوري إبراهيم السفل حسب ما ذكره أوربان نفسه في هذا الموضع من الكتاب.

واصل أوربان حملاته وهو بقسنطينة فشارك مع الجنرال (غـالبوا) في إخضـاع القبائل الثـائرة في منطقة سـطيف والحراكتة واسـتكمل مهمته هـذه مع خلفـاء غـالبوا وهما الجنرال نيغريي ومن بعـده الجـنرال روميـنيي، قبل أن يكـفّ عن المشاركة في العمليات العسكرية ويلتزم مهمة الترجمة حين عُيّن إلى جانب الجنرال شانغاريي بالبليدة.

بعد فترة 1840 – 1843 التي اضطر فيها أوربـان إلى التنقل بين المدية والبليـدة ووهـران عـاد من جديد إلى قسنطينة في مهمة الترجمة لدى الماريشال فالي الذي كـان قد عيّن لتوّه واليا عليها من أجل تنظيم الإدارة بها وهو العمل الذي شاركه فيه أوربان، وواصله مع الجنرال غالبوا من بعده كما رأينا منذ قليل.

ويتضح لنا من خلال هذه التنقلات، أن الأوامر الكثيرة التي كان أوربان يتلقاها والـتي جعلته في هـذا التنقل الـدؤوب من إقليم إلى آخر، ماهي إلا دليل على أن أوربـان لم يكن مجـرّد مـترجم بل مستشـارا أيضا وخبـيرا بطـرق إخضـاع الشـعب الجزائـري، وهـذا ربما دليل أيضا على دهائه السياسي الـذي جعل مسؤوليه يرتاحون للدور الذي كان يقوم بـه، ولـذا كتب يقـول عن تعيينه إلى جـانب الـدوق دومـال بقسـنطينة في نوفمـبر 1843 ما يلي:" عيّنت مترجما لديه (أومـال) وأنبـأني بحمـاس شـديد عن رغبته في تنظيم وتهدئة الإقليم" ثم أضاف "... وأصبح يستشيرني ويأخذ برأيي".[1] ولاشك في أن هذه الاستشارة هي دليل على رغبة الدوق في الاستفادة من أراء مترجمه التي رآها تخدم مشروع الاحتلال وتسهّل عملية تنفيـذه خاصة وأن الأنظـار متّجهة إلى الحملة على بسـكرة والعمل على فتح جبهة الصـحراء، كيف لا ودور أوربـان في الحملة على زمالة الأمـير قبل نحو ثلاثة أسـابيع وتخطيطه لإخضـاع منطقة سـطيف والحراكتة غـير بعيـد، وذلك ما أهّله لينال رتبة مترجم رئيسي مكافأة له.[2]

ترقى أوربان إذا في مهنة الترجمة هـذه فبعد أن دخل الجزائر مترجما من الدرجة الثانية نـال الدرجة الأولى بعد نجاح العمليات العسكرية سنة 1839 ثم مترجما رئيسيا سـنة

---

[1] - المصدر نفسه.ص 111.

[2] - المصدر نفسه.ص 111.

1843 بعد الحملة على الزمالة ممّا يوحي أن هـذه التتويجـات ليست عفوية ولا بمحض الصدفة وإنما نظير دور خطـير قـام به لإنجـاح هـذه الحملات الإبادية حـتى ولو عمل أوربـان على تبرئة ســـاحته من المجـــازر الـــتي ارتكبتها فرنسا في حق الأبريـاء خلال حملات جيشـها على المدية والبليـدة... والـتي كان بيجو ودينيغريي أبطالا لها ضد العزّل والنسـاء والولـدان. ويبـدو تـبرير أوربـان حين يخـبر على اسـتحياء أنه أخذ عطلة نقاهة مع نهاية سنة 1838 كما أخذ عطلة طويلة المــدى على مدار سنة 1841. ولم تتوقف تتويجـات أوربـان فقد نـال أيضا وســـام الشـــرف في 30 جـــوان 1844 بعد احتلال بســـكرة ومنطقة الزيبان.[1]

ولا يمكن أن نتكلم عن الترجمة دون الإشارة إلى علاقتها في ربط الصلة بين أوربـان والمجتمع الجزائـري، إذ أن هـذه المهنة مكّنته من التعرّف على السّيّدة المطلّقة جرمونة بنت مسعود الزبـيري ليربط معها ميثاقا غليظا حين اتخـذها زوجة له، ولعل ذلك يدلّنا على أن أسرة جرمونة كانت، على الأقل، تعرف شيئا ما عن شخص أوربان، ولا نظن أن عائلة محترمة ترضى بتزويج ابنتها من " كافر" مراعاة لعدة اعتبارات دينية وحضـارية ووطنية واجتماعيـة، ممّا يـرجح فرضـية علم عائلة جرمونة بإسـلام أوربـان، خاصة وأنه رجل اجتمـاعي نشـيط لتحقيق فكرة التقارب بين الشـرق والغـرب ومرتـدٍ اللبـاس العربي الإسلامي.[2]

---

[1] - المصدر نفسه.ص 36 – 37.

[2] - تزوج أوربان من جرمونة زواجا إسلاميا أبرم عقده القاضي المسلم بقسنطينة في 28 مارس 1840 وأنجبا بنتا سمّاها باية، ولدت أثناء عمليات إخضاع متيجة وضواحيها ولذا كان مسقط رأسها بالبليدة بتاريخ 19 جانفي 1843. أصيبت الزوجة بمرض جلدي عضال انتهى بها إلى الوفاة بعد ذلك في 10 جانفي 1864. أما باية فتزوجت من السيد إيفيس شاريي "*Yves Charrier*" ابن رئيس بلدية سكيكدة آنذاك الذي كان صديقا لأوربان في 27 سبتمبر 1866 وأنجبت منه هي الأخرى بنتا في 06 جويلية 1867. ويبدو أنها عاشت مسيحية وعاقّة لوالديها اللذين يريدانها حنيفية مسلمة، لأن أوربان أبدى اشمئزازه منها في بعض كتاباته بالسيرة الذاتية بسبب صدامها معه حول تلك النصائح التي كان يقدمها لها. وبعد وفاة جرمونة تزوج أوربان ثانية من الآنسة لويز لوراس " *Louise Lauras*" المسيحية في 08 أوت 1867 وهي أستاذة ابنته باية ولا تكبرها إلاّ بسنة واحدة وأبرم معها زواجا مدنيا ببلدية باريس ثم عقدا بالكنيسة الكاثوليكية بتاريخ 28 أكتوبر، عقدا قال عنه أوربان إنه تعبير منه على التسامح بين الأديان، وأن ذلك لا يمسّ إسلامه بشيء وتلبية

الشؤون الأهلية : مارس 1845 – ديسمبر 1860

توطّدت العلاقات بين أوربان والأسرة الحاكمة بفرنسا منذ 1843 حين تناول أوربان وجبة غداء في البلاط الملكي، ففتح له ذلك مجال ترسيخ علاقاته أكثر مع كبار العسكريين خاصة بعد أن أصبح على دراية كبيرة بشؤون الجزائر المستعمرة، وعرف مفاصل تمرير المشروع الاستيطاني الذي كان يشترك فيه مع الإدارة حتى ولو اختلفت الأساليب في كيفية التعامل مع الجزائريين، وكان تمكّنه هذا قد جعله محل استشارة مسؤوليه، كما مرّ بنا، وها هو الجنرال بيدو يستفيد من خبرة أوربان الذي كان من مقربي الدّوق دومال ومترجمه بل مستشاره غير الرّسمي، فكتب أوربان حول الحملة على بسكرة مايلي:" وقد كنت أشرح له (بيدو) الأفكار التي تحدد السياسة العامة للدوق دومال (حاكم قسنطينة والقائد العام للحملة) لتنظيم القبائل الأهلية" مع العلم أن هذه الأفكار كانت وليدة اقتراحات أوربان باعتبار أن أومال كان يستشير مترجمه في كيفية إخضاع الأعراش (القبائل الأهلية).[1]

ونظرا لحاجة العسكريين الفرنسيين والحكومة العامة إلى أفكار أوربان ذات الأثر الفعّال في التمكين للاحتلال أسندوا له في جانفي 1845 مهمة العمل بمديرية الشؤون الأهلية بوزارة الحربية بباريس، وباشر مهامه بها رسميا في 18 مارس من السنة نفسها، وكتب أوربان عن ذلك فقال:"... ولذا (الدراية الكبيرة بشؤون الأهالي) تبوّأت فيما بعد مكانة هامّة في إدارة الشؤون الأهلية، إذ لم أكن مجرد مترجم كبقية زملائي وإنّما عُيّنت رسميا مع نهاية شهر جانفي 1845 بمديرية الشؤون الأهلية بباريس".[2]

لرغبة زوجته المسيحية وإسكاتا لأصوات ماكماهون المتحرشة به لكونه مسلما. أنجب أوربان من لوراس هذه ولدا سمّاه " أوفيد" في 17 فيفري 1871 لم يعمّر طويلا حيث توفي بعد مرض في 15 نوفمبر 1882 فترك شرخا كبيرا لم ينفع والدَه معه إلا إيمانه بالله كما جاء على لسان أوربان نفسه.هذه المعلومات استخلصناها من مضمون كتاب السيرة الذاتية وكذا الأحداث الكرونولوجية التي جعلتها آن لوفالّوا في نهاية كتابها المذكور.

[1] - المصدر نفسه. ص 111 – 112.

[2] - المصدر نفسه. ص 112.

وخلال هذه المرحلة أصبح أوربان ذا نشاط ميداني محتك بالشــؤون الأهلية مباشــرة، وبــأمر من وزارة الحربية قــام أوربان بزيـارات تفقّديّة لمعاينة أوضـاع الأسـرى الجزائـريين والعـرب بصـفة عامـة، الـذين كـانت قد حكمت عليهم إدارة الاحتلال، طغيانا وظلما، بالنفي والتشريد. فزار مركزي سان مـارغريت وحصن بريسـكو خلال سـبتمبر 1846، كما عـاود زيارة سان مارغريت في جوان 1847 بأمر من الدوق دومال، وأخــرى ثالثة في 19 أوت 1853. وممّا لاشك فيه أن غايــات أوربــان من وراء الاحتلال تجد في مهمته في إدارة شــؤون الأهـالي فرصة أكـبر لتجسـيدها مقارنة بمهمة الترجمة الـتي تحدّ من دوره في تحقيق طموحاته هذه. ولـذا يشـير أوربـان إلى أن نجاح الجمهورية الثانية سنة 1848 كـان صـدمة لآماله وهو (أوربــان) الــذي يمقت النزعة الليبرالية للجمهــوريين والمتخــوف قطعا من انفلات الأمــور من أيــدي العســكريين فتضيع مكانته بالخصوص. ولكننا ننبّه إلى أن أوربــان لم يتخذ موقف معارضة من الجمهوريين في وقت كان يســتطيع ذلك حينما انقسم تيــار السانســيمونيين على نفسه إلى تيــارين أحــدهما يريد الســلطة بــالتمكين للعنف والقــوة بفرنســا، والثــاني يطمح إلى التركــيز على العمل القاعــدي واحــترام الحرية والسـلم والهـدوء مع تشـجيع الكفـاءات على العطـاء ودعم مبادراتها الفردية وتوظيفهــا، وهو التيــار الــذي التزمه أوربان.[1]

و إذا كان أوربان قد اهتم بالمنافي والمنفيين فإن زيارة كبير المنفيين الجزائـريين آنـذاك الأمـير عبد القـادر كـان من أوجب الواجبــات عليــه، ولــذا تكــرّرت زياراته إليه بداية من جوان 1849 وتبادل معه الرسائل، بل وأصــبح على قسط من المــودة خاصّــة وأن الضــابط المكلّف بحراسة الأمــير وهو النقيب بواصّونييه " *Boissonnet* "[2] كان صديقا لأوربان.

أشار أوربان إلى بعض زياراته إلى الأمـير (يطلق عليه اسم الحــاج عبد القــادر) ولكن دون أن يطلعنا على محتــوى المحادثات، ومنها زيارة تمت خلال شـهر مـاي 1850 وأخـرى

---

[1] - ميشال لوفالّوا. مرجع سابق. ص 45 – 46.

[2] - لمزيد من الاطّلاع على هذه الشخصية ينظر لاحقا.

في شهر أوت من السنة نفسها.[1] ولكننا إذا عدنا إلى ظروف الحكم في فرنسا مع بداية الخمسينات نجد أن الجمهورية الفرنسية كانت قاب قوسين أو أدنى من التحوّل إلى الإمبراطورية (التي أعلن عنها في ديسمبر 1851)، ولذا يمكن أن نستنتج أن اتصالات أوربان بالأمير لعل الهدف من ورائها كان العمل على إقامة مملكة عربية بالجزائر يحكمها الأمير عبد القادر تحت سلطة الإمبراطور نابليون الثالث، وهي الفكرة التي أثيرت فيما بعد من طرف غلاة المعمرين رابطين ذلك بقرار الإمبراطور إطلاق سراح الأمير عبد القادر في 16 أكتوبر 1852، وما لذلك من علاقة بالزيارة التي قام بها أوربان رفقة الجنرال دوماس " *Daumas*" إلى الجزائر للاطّلاع على أوضاع الشؤون الأهلية بها في 09 و 10 سبتمبر 1851، ثم العودة بعدها مباشرة لزيارة الأمير بأمبواز.[2]

ومع تأسيس وزارة الجزائر والمستعمرات في جوان 1858 واصل أوربان مهامه المتعلقة بالشؤون الأهلية، إذ عُيّن في الفاتح من سبتمبر رئيسا لمكتب الشؤون الأهلية مقابل أجرة قُدِّرت بـ 6000 فرنك فرنسي، تحت الإدارة المباشرة للكولونيل فرانكونيار" *Franconière*"الذي تربطه بأوربان علاقات حميمية،[3] انتهت إلى رفع قيمة الأجرة إلى 6500 فرنك مع غرّة سنة 1860. وقد وصفه أوربان بقوله:" كنت معجبا بالكولونيل فرانكونيار فهو قائد محترم، اتخذ منّي صديقا وعملت معه من كل أعماق قلبي". وذلك على عكس علاقاته مع الجنرال دوماس الذي كان من المفروض أن يكون على علاقات طيبة معه لضمان السير الحسن لشؤون الأهلية، فقد وصفه أوربان بقوله:" عملت مدة سبع سنوات تحت إمرته (دوماس) ولم تجمعني به صداقة ولم يكافئني يوما".[4] ولعل ذلك ما جعلنا لا نرى كبير أثر لأوربان في فترة إدارة دوماس للشؤون الأهلية، فربما كان أوربان فاعلا بينما كان دوماس مستأثرا بكل ما نُسب إليه تاريخيا من أعمال خلال إدارته تلك، ولكننا لم نتمكّن من إثبات رأينا هذا لعدم

---

[1] - أوربان. السيرة الذاتية. مصدر سابق. ص 113.
[2] - المصدر نفسه. ص 47- 48.
[3] - المصدر نفسه. ص 54.
[4] - المصدر نفسه. ص 116.

إشارة أوربان إليها في كتاباته. وقد استمرّ أوربان في مهمته هــذه إلى غاية حــلّ وزارة الجزائر والمســتعمرات رســميا وإعادة تأسيس الحكومة العامة في 24 نوفمبر 1860.

وفي هذه المرحلة الأخيرة، وهو رئيس لمكتب الشؤون الأهلية أخذ أوربان عطلة قضاها في نويي " *Neuilly* " بضواحي باريس، وهنـاك ألّف كتابه الهـام " الجزائر للجزائـريين" وهو الكتــاب الــذي خــرج إلى الســوق في نوفمــبر 1860 وتلاه مباشرة نهاية عهد وزارة الجزائر والمستعمرات ونهاية مهمة أوربــان بهــا، وتحوّله إلى الاستشــارة بالحكومة العامة مكلّفا بالشؤون الأهليـة. وقد يجعلنا هـذا نسـتنتج أن كتـاب الجزائر للجزائريين قد يكـون أثّر على الإمـبراطور فأصـدر قـرار حل الوزارة، وهي التي كـانت تمكّن للمـدنيين الـذين هم خصـوم أوربــان وأطروحــات نــابليون في سياسة المملكة العربيــة، وهذا ما ذهب إليه أوربان نفسه حين كتب:" حصل لي شرف الالتقاء بالأمير جيروم مـرة أو مـرّتين حين كـان مسـؤولا عن وزارة الجزائــر، وقد تميّز بفتح الحرية أمــام الجميــع، فكنت أدلي بـرأيي بحرية تامة ولكن سـرعان ما أنفّذ قراراته بوفـاء كبــير، وهي القــرارات الــتي كــانت تتنــاقض مع أفكــاري الشخصـية".[1] ولعلّه مما يـبيّن دور كتـاب أوربــان في إنهــاء وزارة الجزائر والمستعمرات وعودة الحكومة العامة، إضافة إلى ما ذكرنـا، هي قناعة الإمـبراطور بالأفكـار الـتي جـاء بها والتي هي متناقضة مع أطروحات الوزارة، ثم تقريبه لأوربان منه شخصـيا واعتمـاد أفكـاره في مراسـلاته الرّسـمية إلى حكــام الجزائر كما حصل في رســالتي 1863 و 1865، بل والدفاع عن بقاء أوربان بالجزائر.

الاستشــارة بالحكومة العامة : ديســمبر 1860 – أكتوبر 1870

ربما نـرى أنه من المفيد الإشـارة إلى أن عهد أوربـان بالاستشارة بهرم السلطة ولو بصفة غير رسمية لم يكن وليد أواخر 1860، وإنما كــان بتــاريخ 28 ســبتمبر 1847 على إثر

---

[1] - المصدر نفسه. ص 60. وتشير آن لوفالّوا إلى أن أوربان التقى الأمير جيروم مرّتين كانت الأولى في جوان 1858، أما الثانية فكانت في 07 مارس 1859 أي قبل أن يُعوّض جيروم بشاس لوبا. المصدر نفسه. ص 59. الهامش 109.

تعيين الدوق دومال حاكما عاما للجزائـر، وهو الـذي اسـتعان بأوربــان وجعله من مقرّبيــه، والهــدف واضح وهو الترجمة والاستشارة، خاصة وأن الـرجلين يعرفـان بعضـهما بعضا من خلال المهام التي مارساها معا حينما كـان أومـال على رأس ولاية قسـنطينة بداية الأربعينيـات، وكـان قد اسـتفاد من آراء مترجمه المستشار، ولذا كافأ أومـال مترجمه في الفـاتح من سنة 1847 بالتوسّط له لنيل وسام الشــرف التونسي وهو ما تم فعلا.[1]

ولعل أول حدث هـام شـهده أوربـان وهو بـالقرب من الحاكم العـام أومـال هو استسـلام الأمـير عبد القـادر في 24 ديسمبر 1847، وربما كان أوربان فـاعلا في العمليـة، أو على الأقل كان مترجما لأنه كان حاضرا أثناء عملية الاستسلام.

وكان التعيين الرّسمي لأوربـان في مهمة الاستشـارة بتاريخ 16 ديسمبر 1860، حين عُيّن مستشارا مقرّرا بمجلس الحكومة العامـــة، الـــتي عـــادت من جديد لتعلن تمكّن العسـكريين من زمـام الحكم في الجزائر وتحت حـاكم جديد هو الماريشال بيليسيي المعيّن بتـاريخ 24 نوفمـبر 1860. وقد قـال أوربـان عن ذلـك:" قضـيت مع السـيد مارسـيي (مـدير الشــؤون الأهلية بالحكومة العامــة) وقتا طــويلا في مناقشة كيفية تمدين الأهالي، وطلبت منه تعييني مستشارا بالحكومة العامة فأنشأ لي مديرية الشــؤون الأهلية تلبية لطلــبي وذلك بقــرار 16 ديســمبر 1860، وبــأجرة 1200 فرنك مع التنقلات المجانية.[2]

وإذا كان أوربـان قد أدار مكتب الشـؤون الأهلية بمقر وزارة الحربية بباريس، فإن مهمته الجديـدة بالحكومة العامة فرضت عليه الــدخول إلى الجزائر والاســتقرار بها بداية من 28 جانفي 1861، ففتح بـذلك عهـدا جديـدا كله حيوية وعـزم على ضــرورة تحقيق أهدافه بتنفيذ ما رآه مشــروع الاحتلال، فسعى جاهـدا لبث أفكـاره من خلال الرسـالتين اللـتين بعث بهما الإمبراطور سنتي 1863 و 1865 ومن خلال الأفكار الــتي قدّمها كمستشار ومن خلال الكتـابين الهـامّين اللـذين ألّفهما

---

[1] - المصدر نفسه. ص 43.

[2] - المصدر نفسه. ص 56.

أو التقارير التي كتبها لكبار المسؤولين العسكريين في كيفية إدارة الحكم بالجزائر.

وكشف أوربان عن اختلاف كان قائما بين الإمبراطور نابليون الثالث وبين الحاكم العام راندون حول كيفية تسيير الشؤون الأهلية، كما كشف عن انسداد كان حاصلا في مجلس الحكومة بالجزائر، فأما الاختلاف فكان حول فكرة حشد الجزائريين (القبائل العربية) وتفتيت ممتلكاتهم وهي السياسة التي طرحها راندون فيما رفضها الإمبراطور، وأما الانسداد فكان نتيجة لهذا الاختلاف. وقد ساهم أوربان كمقرر للمجلس في الوصول إلى فكرة معتدلة تحول دون تطبيق أفكار غير راض عنها شخصيا ولم يكن ليرضى عنها الإمبراطور، وتجنبا في الوقت نفسه، لأي تصادم قد يحدث مع الحاكم العام نفسه، وتمثّلت هذه الفكرة في إصدار إجراءات تقتصر على تسهيل انتقال ملكية الغابات من الأهالي إلى المعمرين دون تعميمها على مختلف الأملاك كما كان يريد راندون.

لعبت هذه الاختلافات دورا كبيرا، فيما يبدو، في التأثير على أوربان فجعلته يبحث عن أسباب لعدم حضور اجتماعات المجلس، كما كانت له دافعا قويا للإقبال على تأليف كتابه الثاني " الجزائر الفرنسية"، ونترك القاريء أمام صورة بليغة من تعبير أوربان شخصيا حين قال:" أثناء انعقاد المجلس الحكومي طلبت فترة للراحة لنقل باية (ابنته) إلى أمها بقسنطينة، وهناك حررت كتابي " الأهالي والمعمرون"".[1] ويبدو واضحا أن الأسباب التي قدّمها تبريرا لغيابه غير مقنعة أصلا، ثم ارتبطت بالمبادرة إلى تأليف كتابه" الجزائر الفرنسية" الذي اعتبره وسيلة لتوضيح الرؤية وإزالة الغموض بشأن الوضع الجزائري.

وتتويجا لنضال أوربان في ميدان الشؤون الأهلية جاءت قرارات الإمبراطور في رسالة 1863 التي تدعو إلى تشارك الأهالي والمعمرين من أجل بناء الجزائر وهي من أفكار أوربان شخصيا. كما قرر الإمبراطور أيضا الإعلان عن

---

[1] - المصدر نفسه. ص 64 – 65.

المملكة العربية بالجزائر بغية حفظ بعض حقوق الجزائـريين على الطريقة التي يراها أوربان واقتنع بها الإمبراطور.[1]

وإذا كان الإمبراطور قد أجزل العطاء لأوربان مكافأة له عن تضلّعه في معالجة شؤون الأهـالي فيما يخـدم المصـلحة الفرنسية بسديد رأي وتفانٍ كبير، فإن أوربان كـان قد عـانى كثـيرا من تهجّمـات منتقديه على شخصه بسـبب آرائه تلك لأنهم اعتبروها " ضجّة ضد الاسـتعمار الأوربي، خاصة بعد أن ساندهم بعض ضباط المكاتب العربية خدمة لمصالحهم، وهم الذين كـان الـواجب عليهم الوقـوف إلى جـانب صف أوربـان باعتبارهم في نفس السبيل.[2]

هذه الضجّة جعلت الحـاكم العـام بيليسـيي يطلب من أوربـان الاسـتجابة لآراء غلاة المـدنيين ويغـادر الجزائـر، هـذا ظاهريـا، أما الأصل فـإن بيليسـيي هو الآخر كـان يـرى أن أوربان شخص غير مرغوب فيه، ولا يشـاطره أفكـاره. إلا أن تدخّل الإمبراطور شخصيا حال دون التحاق أوربـان بفرنسـا، فراجع بيليسيي نفسه وطلب من الإمـبراطور تعـيين أوربـان قنصلا بإحـدى الـدول الإسـلامية، فـرفض الإمـبراطور ذلك بشدّة وأجابه :" أن تطلب أن يكون أوربـان واليا على إحـدى ولايـات الجزائر فلا، كُـفْ عن مزيد من التهجّم على أوربـان. إن أوربـان لابد أن يكـون على الأقل إلى جـانب جنرالاتنا بالجزائر وبصفة دائمة".[3]

---

[1] - المصدر نفسه. ص 67. أما مصطلح المملكة العربية فقد استعمله الإمبراطور أول مرة في رسالته التي وجهها إلى الماريشال بيليسيي نفسه بتاريخ 01 نوفمبر 1861. وتعني المملكة العربية سياسة نابليون الثالث في الجزائر بدعم من أوربان والمدافعين عن بعض مصالح الأهالي. وقد أطلق هذا المصطلح غلاة المعمرين بقيادة الدكتور وارني للطعن في سياسة واستراتيجية الإمبراطور وأفكار مستشاره أوربان، رابطين العلاقة بين رسالة الإمبراطور هذه وبين ما كان يتردّد من عودة الأمير عبد القادر إلى الجزائر وإمكانية إدارته لها تحت سلطة الإمبراطور. ينظر: مؤسسة أصدقاء إسماعيل أوربان والدراسات السانسيمونية. **السانسيمونيون والجزائر**. يوم دراسي. ميشال لوفالّوا. الجزائر الفرنسية كما يراها إسماعيل أوربان وبعض المعرّبين. *Société des amis d'Ismayl Urbain et d'études Saint- Simoniennes.* ***Les Saint- Simoniens et L'Algérie****. Journée d'études du 25 janvier 2003. Michel Levallois.* ***L'Algérie française d'Ismayl Urbain et des arabophiles****. P 63 – 65.*

[2] - أوربان. السيرة الذاتية. مصدر سابق. ص 67.

[3] - المصدر نفسه. ص 67 – 68.

وإذا كانت هذه التهجّمات كلها لم تصدّ أوربان عن عزمه في مواصلة التّمكين لأفكاره التي آمن بها، إلاّ أن مجيء ماكماهون على رأس الحكومة العامة ورانـــدون وزيـــرا للحربية قد أثّـــرا على الإمـبراطور من خلال فكرتهما القائلة بضـرورة تجنّب الصّـدام مع الـرّأي العـام للمعمـرين وتجنّب حـالات الغضب الـتي تثيرها أفكـار أوربان الذي قال بهذا الصّدد :" حاولت أن أقوم بشيء يخدم الأهالي ويقـرّبهم من نيل حقـوقهم" ثم أضـاف :"... وفي ظل ذلك (التـأثير على الإمبراطور) لم أستطع فعل أي شيء"[1]

ولم يكن أوربان يعلم أن هذه هي آخر محطّة له مع الإمبراطور ونظامه على حدّ سواء، حيث استمر في مهمة الاستشـارة هـذه إلى غاية هزيمة فرنسا أمام بروسـيا الـتي أدّت إلى حل مجلس الحكومة الـذي كـان أوربـان يعمل مستشـارا به وذلك في 30 أكتـوبر 1870. الشـيء الـذي جعل أوربـان يغـادر الجزائر في 08 نوفمـبر المـوالي باتجـاه فرنسـا. ولم يعد إلى الجزائر إلا في 17 ديسـمبر 1882 رفقة زوجته الثانية (لـــويز) وقد اســـتقرّ فيها إلى غاية وفاته بها في 28 جـانفي 1884. كما أن هزيمة فرنسا أمـام بروسـيا أدّت إلى سـقوط الإمبراطورية الثانية وقيام الجمهورية الثالثة سنة 1871.

وفاة أوربان

من الأحداث الهامّة التي أفادتنا بها لوفالّوا في تحقيقها لكتاب السيرة الذاتية إلقـاء الضـوء على وفـاة أوربـان. فقد علمنا أن نهاية المســؤوليات الإدارية لأوربـــان بـــالجزائر إنما كـــانت مع ســـقوط الإمبراطورية سـنة 1870 فغـادر الجزائر كما سـبقت الإشـارة. وقد بقي أوربان يكتب في الصحف الفرنسية التي كان يكتب لها من قبل ردحا من الـزمن إلى أن اشـتدّ عليه الحـزن وضـاق عليه العـالم بما رحب بعد أن فقد ابنه (أوفيــد)، فرجع إلى الجزائر في ديســمبر من ســنة 1882 أي بعد حــوالي شــهر من وفــاة الابن. وظل على تلك الحالة المعنوية المنهارة إلى أن وافته المنية بالجزائر في 28 جانفي 1884.[2]ودفن بالمقبرة المسيحية بسانت أوجان (بولوغين حاليا) في

---

[1] - المصدر نفسه. ص 72.

[2] - المقبرة المسيحية. **سجل الوفيات المتواجدة جثامينهم بالمقبرة**.ويشير هذا السجل إلى أن أوربان توفي بمدينة الجزائر في التاريخ المذكور ودفن على الساعة التاسعة صباحا من اليوم الموالي. أما المدفونون في هذا القبر من خلال ما كُتب عليه فهم: الزوجة لوراس، الابن أوفيد، إسماعيل أوربان باسمه الوارد في سجل الحالة المدنية: أوربان أبّولين توماس إسماعيل، لوراس لويز لور "*L.L. Laure*"(لا نعلم عنها شيئا حاليا). ولكننا عملنا ما في وسعنا لنتحرى صدق إسلام أوربان، واقتنعنا بأنه كان صادقا في ذلك من خلال ما حملته كتاباته إلى آخر أيامه مثلا يقول عن إحباطه بعد وفاة ابنه أوفيد أنه تأثر تأثرا بليغا ولكن كان سنده في ذلك وعونه على الصبر إيمانه بالله تعالى. ولكننا في الوقت نفسه سجلنا، من خلال البحث، أن

قبر جماعي لعائلة أوربان، على قطعة أرضية كان قد اشتراها أوربان نفسه، وهي الآن تضم رفاة توماس إسماعيل أوربان وأمه أبّولين وابنه أوفيد وزوجته الثانية لويز لوراس. في حين دفنت زوجته الأولى جرمونة في مقبرة عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر دوما. في جنازة مهيبة.[1]

الفصل الثّاني

كتابات أوربان المتعلّقة بالجزائر

1- الكتب

1-1- الجزائر للجزائريين

أوربان كان بسيط العقيدة و شديد التسامح في علاقة الإسلام بالمسيحية فقال لقد اعتنقت الإسلام دون الخروج عن المسيحية كما مر بنا وقال أيضا أنا مسيحي ومسلم لأنني فرنسي، وقال لقد سمحت بتسجيل عقد الزواج مع زوجتي لوراس بالكنيسة لأنني لا أرى في ذلك تعارضا مع الإسلام وتلبية لرغبة زوجتي المسيحية. كل ذلك، ربما، جعل أوربان لا يوصي بدفنه في مقابر المسلمين.

[1]-أوربان. السيرة... مصدر سابق. ص 69.

2-1- الجزائر الفرنسية

2- الرّسائل

2-1-رسـالة نـابليون الثـالث إلى الماريشـال بيليسيي 06 فيفري 1863

2-2-رسـالة نـابليون الثـالث إلى الماريشـال ماكماهون 20 جوان 1865

3- البحوث

3-1-نبذة عن إقليم قسنطينة

3-2-نبذة عن إقليم التّيطري

4- التقارير

تقرير آنجلي حول حكم وإدارة القبائل العربية بالجزائر

1-الكتب

1-1- الجزائر للجزائريين *L'Algérie pour Les Algériens*

صدر كتاب الجزائر لجزائـريين سـنة 1861[1] تحت اسم مستعار هو جورج فوازين "*Georges Voisin*"، وقد تناول أوربان فيه نظرته الخاصة لمختلف ميـــادين الواقع الجزائـــري الحضـارية والاقتصـادية والثقافية والاجتماعيـة. فقسّـم كتابه هذا إلى مقدمة ومدخل (بين يدي الموضوع) وأربعة فصـول تميّزت بالاختصار مقارنة بثراء التـاريخ الجزائـري سـواء قبل

[1] - صدر الكتاب عن مطبعة الإخوة ليفي في 163 صفحة من الحجم الصغير 19 × 14 سم بخط متوسّط. وأعاد ميشال لوفالّوا طبعه سنة 2000 بنفس المقاييس.جورج فوازين. **الجزائر للجزائريين**. *Georges Voisin. **L'Algérie pour les Algériens**. Michel Lévy frères. Paris. 1861.*

الاحتلال أو بما أبداه الشعب الجزائري من مقاومة للاحتلال الذي تميّزت إدارته بسعة وعمق برنامجها الاستيطاني.

خصص أوربان المقدمة لإبراز أهداف الاحتلال، وتناول في المدخل لمحة عن الواقع الجزائر من جميع الجوانب المذكورة آنفا، أما الفصل الأول فخصصه للناحيتين الاجتماعية والثقافية قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية صدور الكتاب سنة 1861. في حين خصص الفصل الثاني للواقع الإداري والعسكري بالجزائر، أما الفصل الثالث فتناول فيه التطور الاقتصادي والصّحّي ودور فرنسا في ذلك. أما الفصل الرابع فاختار أوربان أن يكون على شكل خاتمة للكتاب مبديا فيه خلاصة عن واقع السكان الأهالي والمعمرين، مسديا بنظرته في كيفية التسيير مبرزا إياها في شكل نقد بنّاء لمراجعة النفس واستدراك الأخطاء.

أما المقدمة فقد أراد أن يقنع من خلالها قرّاء كتابه أن الاحتلال الفرنسي للجزائر قضاء وقدر، وهو تنفيذ للإرادة الإلهية التي اختارت فرنسا لتحضير الشعب الجزائري المتخلّف(؟) في إعادة لفكرة ممضوغة طالما رفضها أحرار الجزائر وحرائرها. وقد بين أوربان في ذلك معنى الحضارة التي يسعى لنشرها بقوله:" هي العمل على رفع المستوى المعنوي إلى أقصى حد ممكن مع غرس الكرامة (؟) في أوساط العرب (الأهالي) عن طريق التعليم، واحترام عقيدتهم وتوحيد قدراتهم على العمل لاستخراج كنوز هذه الأرض التي خبأتها لنا العناية الإلهية، بعد أن تركتها الحكومة (يقصد الحكومات السابقة) جدباء قاحلة. هذه هي مهمتنا، ونحن لسنا مفلسين".[1]

كما أشار أوربان في مقدمته هذه إلى قضية هامة حين قال بصريح العبارة " إن هذه الأرض الجزائرية لم تكن يوما أرضا فرنسية"،[2] ولا أريد الإطالة في التعليق على هذه الفكرة، وإنما أكتفي بالقول إن الادعاء الفرنسي بفرنسية الجزائر قد أبطله شاهد من أهلها، بل من كبار مستشاريها ومنظري سياستها الاستعمارية. ولكن أوربان أراد احتفاظ فرنسا بالجزائر في إطار مشروع منظّم، وهو المشروع

[1] - المصدر نفسه. ص 01 – 02.

[2] - المصدر نفسه. ص 02.

الـذي سـنبين أهم أفكـاره في هـذه الدراسـة. إذ أنه دعا إلى ذلك بوضوح حين كتب :" فهل أنا بحاجة إلى القول أن حماية الوطن الأم (فرنسـا) تقتضي عـدم التفريط في الجزائر إلى الأبد؟".[1]

أما المدخل أو بين يدي الموضوع كما سـمّاه، فقد بيّن أسس فلسفة أوربـان وتنظـيره لإقامة سياسة الدولة وأهمها مايلي:

1-التأكيد على التنافر الحاصل بين الأهالي والمعمرين، وعلى الإدارة الاستعمارية السّعي إلى إقامة التجانس بينهما لتجنب المقاومة والثـــورات لأن الأمن ركن من أركـــان تـــوطين المستعمرات وتثبيت الاستعمار.

2- من أكبر مصـالح فرنسا كسب ود الأهـالي وثقتهم والعمل على استبدال شعورهم بالكراهية والعداء لكل مـاهو فرنسي إلى شـعور بالوحـدة والتعـايش بين الأهـالي والمعمـرين مع احترام عادات الأهالي وتقاليدهم.

3- إشارة أوربان على أنه لا يدعو إلى تمسيح الجزائريين، ولا يـرى ذلك من الأولويـات. ويمكن اعتبـار ذلك صـحيحا حين تأليف الكتاب سنة 1861 إذا اعتبرنا أن أخطر حملات التنصير كـــانت مع الكاردينـــال لافيجـــري بداية من 1868 إذا قارنّاها بسابقاتها.بل ويعتـبر أنه من بين أكـبر الأخطـاء الاسـتراتيجية أن تتوجه فرنسا إلى التنصـــير (التبشـــير كما يســـمّيه) لأن القضـية قضـية سياسـية، ولابد أن يتوجّه الفرنسي إلى أداء دوره كل من موقعه لإنجـــاح مشـــروع الاحتلال في إطـــار مضمون الشراكة التي تعني عنـده " التعـايش والتعـاون بين الأهـــالي والمعمـــرين في ظل اختلاف العـــادات والتقاليد والدين". والتي يحدد هدفها الأسمى في " التقدم والازدهـار، وأن تحقيق هـذا الهـدف لا يعـني دمج أحد في الآخـر، وإنما يتحقق بتنمية القـــــدرات المادية والمعنوية للجميع من أجل وحدة المباديء والأهداف وليس وحدة الأجساد".[2]

4- يعتـبر أوربـان التقـدم مطمح الإنسـانية جميعا شـرقها وغربهـا، وأن الإنسـان الأهلي يحمل أسـباب التقـدم وخاصة الجودة والإتقان، إلا أن ظروفه حـالت دون ذلـك، في إشـارة

---

[1] - المصدر نفسه. ص 02.

[2] - المصدر نفسه. ص 12.

منه إلى الوهن الذي ضـرب الأمة الإسـلامية بما فيها الجزائر مثلما تعلّم ذلك من تجربته في المشرق.
5- دعوة فرنسا إلى تفعيل حركية الأهالي وتثمين مجهوداتهم للمضي قدما بعد فـترة الفـراغ والتخلف الـتي مر بها العـالم الإسلامي. وأن تستفيد من تجارب الأهـالي بـدلا عن النظـرة الاسـتعلائية الاحتقارية لهم، مـذكرا إياها أن التّطـورات الـتي حصــلت على أرض الجزائر المســلمة لم تحصل على أرض فرنسا ذاتها.
6- يحذر أوربـان الفرنسـيين خصوصا والمعمـرين عموما من التقــاعس عن القيــام بــواجب نشر الحضــارة والعمل بين الأهــالي، ويــدعوهم إلى الظهــور بمظهر القــدوة من حيث التطـور والازدهـار أمـام الأهـالي، لأن الفشل في ذلك يعـني تمـرّد الأهـالي عن التشـبّه بـالمعمرين بالتشـبّث بخصـائص آبائهم وأجدادهم وعاداتهم وتقاليدهم. وهو يعلن ذلك صراحة على لسان الإنسـان الأهلي:" لن أتبع هـذه الوجهـة"، الوجهة الـتي تريـدها له فرنسـا. ويواصل على لسـان الأهلي دومـا:" إنني أريد أن أكون في الجماعة كتلميذ متمسّك بمعلّمه، على شرط الاحتفاظ بماضيّ، ولن أخالف نمط حياتي.[1]
7- إن أكـبر غايـات فرنسا هي الوصـول إلى تكـوين شـعب متقن ومتقــدم، ولا يكفي الاعتمــاد على إصــلاح الأفــراد فحسب، بل إصلاح الجماهير والحياة السياسية للوصـول إلى قمة الفعالية من أجل تحقيق الغاية الكبرى الـتي هي التقـدم والازدهار.
أما الفصل الأول فتناول فيه إطلالة على المجتمع والثقافة في الجزائر قبل وأثنـاء الاحتلال الفرنسـي، اسـتهلّه بالتـأريخ للمجتمع الجزائــري وتشــكّله بإفريقيا الشــمالية. فــرأى أن تواجد العــرب بالمنطقة يعــود إلى القــرن الســابع الميلادي قادمين من مصر في مهمة نشر الإســلام، أما الغاية فيتمثلها جمع الغنائم، مشيرا إلى أن هـؤلاء الفـاتحين وجـدوا الاحتلال البيزنطي بالمنطقة وقد لاقوا مقاومة شديدة.[2]

---

[1] - المصدر نفسه. ص 16.
[2] - المصدر نفسه. ص 20. من المفيد هنا أن نشير إلى أن الحقيقة مجانبة لما ذكر أوربان تحت تأثير النظرة الصليبية سواء بقصد أو بغير قصد، وهو الرجل الذي اعتنق الإسلام، لأن السيطرة الرومانية قد اهتزت أركانها، وأن نوميديا

والمتتبع لكتاب الجزائر للجزائريين يتبيّن له أن أوربان أرّخ للجزائر تأريخا عاما منذ القــديم، ولكنه متــأثر بــالنظرة الاستعمارية المتعالية والمجانبة للحقيقة في كثير من طرحها فهو يقول :" يجب أن نعرف أن القبائل الأهلية (الأمــازيغ) لم تقبل أبدا بالدخول تحت راية الإسلام عن طواعية، وانتصــرت في كثير من الأحيان على الغزاة"،[1] قبل أن يعود ويشــير إلى تمكن العرب من المنطقة في غضون عشرين سنة واعتنــاق الأمازيغ الدين الإسلامي فرارا من أوامر الوندال والبيزنطيين مشــكلين بــذلك كيانا عربيا أسّسه بداية عقبة بن نــافع ومن بعده حسان بن النعمان.

ويشير أوربان باهتمام إلى مرحلة الاستنجاد الجزائري بــالإخوة بربــروس، معتــبرا أن منطقة شــمال إفريقيا كــانت صــعبة بفعل التّشــتت ووجــود الأسر الثلاثة الحاكمة وهي

التي هي الجزائر حاليا كانت آنذاك مستقلّة. ينظر: موسى لقبال. **تاريخ المغرب الإسلامي**. دار هومة الجزائر. 2002. بد ط.(يشير إلى أنها منقحة).ص 16. كما أن تصريحا كهذا من طرف مستشار في هرم سلطة الإمبراطورية الفرنسية هو تصريح في غاية الخطورة لأنه لا يشير إلى أن السكان الأوائل للمنطقة هم من الأصل الأمازيغي كما تتفق في ذلك الدراسات المتعددة، وإنما يركز على التواجد البيزنطي، وأن المقاومة تمّت تحت شعار بيزنطة مما يعني أن المنطقة كانت مسيحية، وأن الإسلام دخيل عليها وأن المسيحيين أولى بها، إلى غير ذلك من المخططات الرامية إلى سلخ الجزائر من هويتها الحضارية التي لا تزال بعض الأصوات متمسكة بها إلى غاية اليوم. رغم أن أوربان يصرّح في نهاية المطاف أن المنطقة كانت موطنا للقبائل البربرية (الأمازيغية) التي شكلت الجزائر منذ القرن السادس عشر الميلادي على الحدود التي ورثتها فرنسا. وأن القبائل البربرية رفضت الدخول طواعية تحت راية الإسلام. وحجته في ذلك هي المقاومة التي أبدوها ضد العرب الفاتحين. ولكن يبدو أن أوربان كان يريد، من خلال هذا الطرح، تمهيد الشرعية للوجود الفرنسي كما تواجد غيره من قبل، تماما مثلما أراد أونفونتان قبله كما مر معنا.

[1] - أوربان. الجزائر للجزائريين.مصدر سابق. ص 22. إضافة إلى تأثر أوربان بالنظرة الاستعمارية في كتابة تاريخ الجزائر وفهم أحداثه، نجده يستعمل عبارات منافية له كمسلم حين يصف المجاهدين الفاتحين بالغزاة وأن هدفهم هو جمع الغنائم (؟). وقد يكون السبب الذي جعل أوربان يكتب بهذه العبارات (الغزاة، جمع الغنائم) هو أنه لم يتعمق في دراسة التاريخ الإسلامي، وربما كان سبب أحكامه هذه هي حملة الفتح المعروفة باسم " حملة العبادلة" التي انطلقت من مصر بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي قضى على البطريق جرجير الثاني قائد جيوش الروم، الذي كان ثائرا ضد الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية، ثم سرعان ما استبدل ابن أبي سرح انتصاراته المحققة بالغنائم والمال المعروض عليه وعلى جنده.

الحفصـية والزيانية والمرينية مـذكّرا بالاعتـداءات الصـليبية الإسبانية والبرتغالية الـتي جعلت سـكان السـاحل الجزائـري يجـدون الحل في الاسـتنجاد بـالإخوة بربـروس وفي الأخـير بالسلطان العثماني.

ويعتبر أوربان أن الوجود العثماني بالجزائر كان سلبيا في عمومه لمساهمته في تخلّف العالم الإسلامي مع وجود نتـائج إيجابية، أهمها أن العثمانيين تمكنوا من القضاء على كثير من أسـباب الفرقة بين العـرب والـبربر على الـرغم من أنهم عجزوا، حسـبه، عن القضـاء عليهـا، مما جعلهم يعجـزون عن تكوين أمة موحّدة مختلفة الأعراق.[1]

ويصل أوربان إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي الذي يعتبره انتصـارا أنه جعل الجزائر ملكا لفرنسا وأصـبح العنصـران العـربي والأمـازيغي خلاله على مكانة هامة في تـاريخ البلد (؟). وهو في ذلك يـأتي بعكس الحقيقـة، لأن الكل يعلم تلك الجهـود الجبـارة الـتي بـذلتها فرنسا من أجل إنجـاح سياسة فرّق تسد بين العرب والأمازيغ في الجزائر خدمة لمشروعها الاستيطاني.

ويأتي أوربان إلى ما يتعلق بـالمجتمع الجزائـري، ففي دراسـته للسـكان رأى أن الأمـازيغ مربو مـواش، متمسّـكون بالسكن بالجبال، هزيلو الثقافة، وليس لهم باع في الصـناعة، إلا أنه بالإمكان الوصـول بهم إلى حضـارة راقيـة. أما العـرب فوصـفهم بالرحل والتجـار ومـربي المواشي خصوصا الإبـل، مبينا اهتمامه بهـذا الجـانب من الدراسة لأنها ذات قيمة في التمكين لدراسة المجتمع الجزائري من أجل إخضاعه، خاصة وأن الطـرق المتبعة في الإخضـاع لابد أن تختلف من عـرق لآخر، حسب خصائص كل عرق. وفي ذلك قال :" إن النظـام الـذي نتّبعه يختلف من عـرق لآخـر، لأن عَمَلَنا من أجل الوصـول إلى مسـتقبل مشـترك (بين الأهـالي والمعمـرين) يتطلّب منا تطبيق استراتيجية مختلفة بـاختلاف العـرقين، مع مراعاة درجة التقوى والـورع المختلف بينهمـا، فـالبربر أكـثر تعصّبا للدين من العـرب، وأهل الريف وسـكان الجبـال أشـدّ

---

[1] - المصدر نفسه. ص 23 – 24.

تمسّكا بالملكية الفردية وبمصالحهم المرتبطة بـالأرض وأقل تقوى وورع".[1]

كتب أوربان عن الأسرة الجزائرية أيضا ونالت حظها من انتقاداته، فثار على النمط الأسري بالجزائر، واعتـبر الأسـرة الجزائرية أسرة أبوية بعيدة عن التفتح والاستقلالية الفرديـة، مفتقــدة للحالة المدنية الأســاس ســواء لما تعلق بالمواليد والوفيات أو الزواج والطلاق، واعتبر ذلك عاملا مساعدا على الانحلال والمشاكل الأسـرية خاصة في ظل تعـدد الزوجـات، وانعــدام الألقــاب العائليــة.[2] ولكنــه، في المقابــل، ســجل إيجابيات لهـذه الأسـرة حين اعتبرها أسـرة متلاحمة الروابط وشديدة الاحـترام للوالـدين، كما تتمتع بمزايا أخـرى كتوقـير الكبــير والتضــامن مع المــريض وزيارته والتصــدّق على المحتاجين، وخلق الإحسـان الـذي يطبع المعـاملات...ـ . إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة التي جعلت أوربــان يخلص إلى أن الكرامة الإنسانية محترمة إلى أقصى حد حتى أنها مسّت الفقراء والمساكين، ما دفعه إلى مدح الديانة الإسلامية على حســاب المســيحية الــتي قــال عنها إنها أهملت كل هــذه الجوانب.

ولم يمدح أوربان العقيدة الإسلامية فحسب وإنما مدح أيضا تمسّك الأهالي بها ووصفهم بأنهم " متمسـكون بـدينهم إلى درجة الاستشــهاد من أجلــه".[3] معتـبرا ذلك عائقا أمــام إدمــاجهم في المجتمع الأوربي. ولــذلك دعا إلى ضــرورة العمل بســرعة، مســتغلا درايته بــالتنظيم الاجتمــاعي وبنية الجزائريين، من أجل تجسيد مهمة فرنسا التمدينية للجزائــر، التي عليها أن تهتم بالتالي:

1- تــرويض كل القــوى الأهلية الحية وخاصة رجــال الــدين والقضاة لتقبّل السيطرة الفرنسية شاءوا أم أبـوا باعتبـارهم قادة للمقاومة وأشد الحاقدين على فرنسا بالجزائر.

2- فصل الدين عن الدولة بفصل الشؤون الدينية عن العدالة الفرنسية

---

[1] - المصدر نفسه. ص 27.

[2] - المصدر نفسه. ص 32 – 33.

[3] - المصدر نفسه. ص 36.

3- القضـــاء على التكامل بين المدرسة والمســـجد، والعمل على تحرير التعليم من التـــأثير الـــديني، في رفضه للطـــابع الديني للتعليم الابتدائي.
4- تحرير المـــــرأة والخـــــروج بها إلى العمل معتـــــبرا إياها مستعدّة لأعمال كثيرة كالدراسة والخياطة.

أما القضاء الإسلامي فلم يسلم هو الآخر من انتقادات أوربـــان، فحكم عليه بالبســـاطة، داعيا إلى إصـــلاحه فأســـند للمخـــابرات العامة والعدالة والقضـــاة الفرنســـيين مـــدنيين وعسكريين مسؤولية مكافحة الجريمة، وعلى رأس الجـــرائم طبعا تهديد المقاومين لأمن المستوطنات، داعيا إلى ضرورة عـــدم التســـامح مع كل الأفكـــار الداعية إلى الجريمـــة. أما القضايا المدنية فأسندها للقاضي المسلم لارتباطها بالأحوال الشخصية للأهالي ودعا إلى احترامها.

وفي الفصل الثاني من الكتاب تطرق أوربـان للتنظيم الإداري القـــائم على ثلاث إيـــالات : وهـــران وقســـنطينة والتيطري وإسناد كل إيالة إلى باي يقيم في عاصمة الإقليم.

ويرى أوربان أن البايلك مكوّن من قبائل عربية (*Tribus*)، تنقسم كل قبيلة إلى فرق، جمع فرقة (*Fraction*)، وكل فرقة إلى دواويـر، جمع دوار (*Rond , Cercle*)، ويتكـون الـدوار من حـوالي 20 خيمـة، وهي السـكن الغـالب على القبائل الرّحّل آنذاك، أما (البربر) فكانوا يسكنون الأكواخ.

وإذا كان أوربان قد حكم ببعد الدوار عن التنظيم على عكس القـــرى أو البلـــديات بفرنســـا، فإنه حكم في الـــوقت نفســـه،بتميّز كل فرقة عن الفـــرق الأخـــرى، منوّها بطاعتها لقائـدها أو لشـيخها. مسـتدلا بـالأمير عبد القـادر حين بايعه قومه بالســـمع والطاعة وهو ابن الأربعة والعشـــرين ســـنة، مبـديا انبهـاره بتنظيمـات الأمـير فقـال :" لقّب نفسه بـأمير المؤمـنين، وحكم طبقا لتعـاليم الشـريعة الإسـلامية وسـخّر رجـــالا للإدارة والقضـــاء ونظّم كتـــائب الجيش من فرســـان ومشـاة، وأقـام ترسـانة قويـة، فأنشأ بـذلك حكومة منظّمة وأحـيى الوطنية الجزائريـة".[1] مشـيدا ببطـولات الأمـير رغم الحصار الذي كانت تفرضه عليه فرنسا.

---

[1] - المصدر نفسه. ص 70.

أما مع العهد الاستعماري فقد أبقت فرنسا على الولايات الثلاث أيضا وجعلت على رأس كل ولاية حاكما عسكريا وقسّمت الولاية إلى مقاطعات (*Subdivisions*) وكل مقاطعة إلى دواوير.

وأشار أوربان إلى عزم الإدارة الاستعمارية على إنجاز مشاريعها المسطّرة من أجل تحقيق التقدّم المرجو. فمن أجل التحسين والتنظيم صدر منشور 30 جويلية 1855 معلنا ميلاد صندوق هام للاشتراك الإرادي للجزائريين توفيرا لمناصب الشغل لهم وحفظا لكرامتهم سمّي بـ"صندوق ميزانية السنتيمات الإضافية"(*Budget du Centimes additionnelles*). ونظرا لأهدافه المذكورة حاربه المعمرون وخاصة من أصحاب النفوذ، من خلال تقديم القروض المعتبرة التي كانت تعود بالفائدة المباشرة على الأوربيين والأهالي المستفيدين على حد سواء. أما أموال الصندوق المذكور فكانوا يعملون على تبذيرها والحيلولة دون وصولها إلى مستحقّيها.[1]

وخصص أوربان الفصل الثالث من كتابه هذا إلى موضوعين هامين وهما الصحة والفلاحة. فرأى أن الوضع الصحي للأهالي ومحيطهم الحظري كانا بعيدين عن طابع التمدن. ولإضفاء هذا الطابع حسّنت الإدارة من تعاملها مع الأهالي ووفّرت لهم شروط المعالجة الصحية، فأنشأت المستوصفات في كثير من الدواوير وربطت عملها بالمكاتب العربية وفتحت المستشفيات العسكرية بمناطق الحكم العسكري لتقديم الفحوصات الطّبّيّة المجّانية للأهالي. ووصل الأمر بتجول الأطباء الفرنسيين في الأسواق لمعالجة المرضى الذين لم يتقدّموا لإجراء الفحوصات الطّبّيّة.

وفي كل ذلك بين أوربان أن الأهالي كانوا يعاملون باحترام حيث تخصص لهم القاعات ويقدّم لهم العلاج الضروري. وأن الأهالي كانوا يكنون للأطباء الفرنسيين كل الاحترام ويلقبونهم بالحكماء، جمع حكيم،[2] بل "كان الجزائريون يرون أن كل فرنسيّ طبيب".[3]

---

[1] - المصدر نفسه. ص 38.

[2] - المصدر نفسه. ص 101 – 102.

[3] - سعد الله. الحركة... ج1 ق2. المرجع السابق. ص 50.

أما من حيث المحيط الحضـري الـذي كـان يعيش به الأهالي، فـرأى أوربـان أنه لم يكن صـحيا لافتقـاده الشـروط الضرورية. ووضّح جهود الحكومة الفرنسية في ذلك فقال :" ففي المـدن أقيمت قنـوات الصـرف الصّـحّي الـتي لم تكن موجـودة مع احتلالنا للجزائـر، وأنشـأنا الحنفيـات والإضـاءة العمومية وآلات رصف الشوارع وكنسها مع مراقبة الأسـواق والمحلاّت التجارية وإبعاد المقـابر عن المـدن، بعد أن كـانت المــدن غــير منظّفة ومن دون إضــاءة عمومية مع ضــيق شوارعها وتعرّجها بهدف مقاومة الحرارة، ولكنها كانت بذلك معرقلة للتهوية".[1]

ووضح أوربان أن الهدف من تحقيق هذا التقدم هو تمدين الأهالي وجلبهم إلى الحضـارة الفرنسـية، وكتب في ذلك "... وفي كل مستعمرتنا يتوجه أطبّاؤنا إلى معالجة المرضى دون تمييز لسنّ أو جنس من أجل توطيد الاستعمار وربط الأهالي بنــا".[2] ومن أجل الغــرض نفسه أنشــأت إحــدى القــابلات الفرنسـيات مركـزا لتعليم النسـاء الجزائريـات ضـروريات المهنة (القابلـــــة)، كما خصصت مقاعد بيداغوجية للتلاميذ الأهالي بمدرسة الطّب بالعاصمة.

ويعتبر أوربان -رغم اعتناقه الإسلام- من أنصار فكـرة غرس الأفكار المسيحية في أذهان أطفـال الجزائر ومعوزيها التي سار عليها الكاردينال لافيجري، والـتي من أجلها خصص الإمــبراطور جــزءا من وقته للاطلاع على الحالة الصــحية

---

[1] - أوربان. الجزائر للجزائريين. المصدر السابق. 102. لا شك أن القارىء يلاحظ هذا التصوير الرائع للاحتلال الذي أراد أوربان أن يقنع به قرّاء كتاباته بنبل المهمة الحضارية التي جاءت بها فرنسا، ولكن الحقيقة التي أريد أن أردّ بها على هذا التصوير هي ما سجّله الأستاذ تركي رابح بقوله:" لقد تعرّضت الجزائر في بداية الاحتلال إلى نوعين من الجيوش هجما عليها في وقت واحد، أحدهما جيش مسلح بالبنادق والمدافع والسيوف والآخر لا يملك سلاحا ولا يلبس دروعا، بل جاء في شكل حمامة سلام وهو أخطر من الأول، ونعني به جيش المبشّرين المسيحيين. لقد كان الجيش الأول يقوم بتخريب قرية أو دوّار ويفتك بالرجال والنساء ويذبح الصبيان والشيوخ، ويأتي بعد ذلك الجيش الثاني حاملا الخبز والدواء والكساء في يد والصليب والإنجيل في اليد الأخرى". ينظر: تركي رابح. **<u>عبد الحميد بن باديس. فلسفته وجهوده في التربية والتعليم</u>**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.بد ت. ص 42.

[2] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 104.

المزرية لهم. نقــول هــذا بعد أن دعا أوربــان إلى إنشــاء الملاجيء للعجـزة وأصـحاب الأمـراض المزمنة والمعتـوهين واليتامى، هذه الفئة الأخيرة الـتي قـال عنها :" تتكفّل الإدارة بمنحهم دروسا دينيــة- مسـيحية طبعا – باعتبــارهم صــفحة بيضاء نكتب عليها ما نشاء".[1]

أما ما يتعلّق بالزراعة فيعـرّج أوربـان على مختلف التحسينات التي أدخلتها فرنسا والتي رآها قد مسّـت الـثروة الحيوانية بالاعتماد على التهجين من الأنـواع العالمية الجيـدة ويشيد بالأغنام الإسبانية الجيدة وكذا بخراف نهر الـرّون. كما اهتمت فرنسا أيضا بعملية جز الأغنام والماعز للاستفادة من أصــوافها وجلودها وأشــعارها، لأن الــثروة الحيوانية تمثّل مصدرا هاما للتجارة والصناعة.

أما الفصل الرابع والأخير فجعله أوربان خاتمة الكتاب. فطـرح فيه جملة من الأسـئلة حـول مـدى نجـاح فرنسا في مهمتها الأساسية، مهمة نشر الحضارة على حد تعبـيره، وفي ذلك يجيب بالإيجاب حين يرى :" أن نشر الحضـارة قد تحقق بشــكل كبــير من خلال اســتفادة الأهــالي من الصــناعات التجارية وخـروجهم من بسـاطة الحيـاة إلى اسـتخدام الغـاز الطـبيعي في الإنـارة والتدفئة وتـزوّدهم بالكهربـاء ووسـائل النقل وعلى رأسها السكة الحديديـة". ورغم إشـارته إلى أن هناك بعض النقـائص إلا أنه رأى أن الأهـالي قد اسـتفادوا من الثورة الصناعية المنقولة إليهم من أوربا استفادة موجّهة تبعا لإملاءات أفكاره.

وخلص أوربان في الختام إلى جملة من الاقتراحات على شــكل توصــيّات من أجل إنجــاح المشــروع الاســتعماري بالجزائر، وأهمها مايلي:

1- الأمن والسلم هما أرضية تحقيق أي تطوّر.

2- تحرير المــــرأة الجزائرية على الطريقة الأوربية بإخراجها من حالتها الـتي هي عليها آنـذاك والـتي يصـفها بأنها حالة " الأمَّة".

3- الاهتمـام بـالتعليم بما يخـدم المصـلحة الفرنسـية وخاصة العلــــوم التقنية لما لها من دور في تحصــــيل التكنولوجيا وتحقيق التطور.

---

[1] - المصدر نفسه. ص 103.

4- الاهتمام بنوع المنتوج لا كميّته.
5- إنشاء سجل الحالة المدنية للجزائريين واحـترام التشـريع الإسلامي فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية.
6- تأسـيس مستوصـفات للجزائـريين بالمنـاطق الـتي تفتقد المستشفيات، وجعل الأطباء في خدمة الجزائريين في إطار المكاتب العربية.

ومن المفيد القول أنّه إذا قارنّا محتوى الكتاب بما ذكرناه فيما يتعلّق بالأيديولوجية السانسيمونية في الفصل الأول من هذه المـذكرة، فـإن أيديولوجية أوربـان السانسـيمونية تبـدو واضحة من خلال دعوته إلى إقامة مجتمع متشارك يجمع بين الأهـــالي والمعمـــرين تتحقق فيه في النهاية المصـــلحة الفرنسية، مركـزا على الاهتمـام بتحسـين الناحية الاجتماعية في إطـار المبـاديء الإنسـانية السـامية الـتي كـان يعتنقهـا، وعلى بنـــاء اقتصـــاد مزدهر تكـــون الزراعة فيه للأهـــالي والصـناعة للمعمـرين على أن تتـولى الدولة ورجـال المـال الناحية التجارية.

2-1- الجزائر الفرنســـــية

L'Algérie Française

يعتبر كتاب أوربان هذا كتابا مهما لما احتواه من أفكار هـذه الشخصـية الـتي طالما أثّـرت على السياسة الفرنسـية بـالجزائر منذ حلوله بها سـنة 1837 إلى غاية انتهـاء تـأثيره بسقوط نظام الإمبراطورية الثانية عام 1870. ولم يكن كتابه هـــذا كتابا ظرفيا وإنما كـــان صـــرخة من أجل نمـــوذج آخر للاحتلال الفرنسي بالجزائر.[1]

ويبدو أن أهم من تناول هذا الكتاب بالدراسة هو مارسيل إيمـــيرت في كتابه الســـابق الـــذكر " السانســـيمونيون في الجزائر " حين أجمل محتوياته في 21 فكـرة رئيسـية،[2] وهي نفسـها، على العمـوم، الـتي استخلصـناها نحن والـتي تـدور حولها دراستنا هذه.

---

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. المرجع السابق. ص 11. صدر كتاب الجزائر الفرنسية أول مرة بتاريخ 08 نوفمبر 1862 عن مطبعة " شالامال آني" " *Challamel aîné*" لمؤلف مجهول تبيّن من خلال الأفكار التي حملها أنه لإسماعيل أوربان، قبل أن يؤكد ذلك كتاب السيرة لأوربان. وأعاد ميشال لوفالّوا نشره سنة 2002 بمطبعة "سيغويي" "*Séguier*".

[2] - إيميريت. مصدر سابق. ص 270 – 273.

قسّم أوربان كتابه هذا إلى مقدمة (بين يدي الموضوع) وثلاثة عشر فصلا، ويمكن اعتباره تكملة لما توقف عنـده في كتاب الجزائر للجزائريين. اتسـمت مقدمته بأسـلوبها الأكـثر صـــراحة في الإعلان عن رفضه للمطـــالب المنادية بنفـــوذ المعمـــرين حـــتى ولو اســـتعملوا البطش والإبـــادة ضد الجزائريين، فأشار بجرأة كبيرة إلى أن كتابه هـذا هو محاولة للكشف عن أصـوات جديـدة للجزائـر، أصـوات الـدفاع عن حقوق الأهالي كما يسميها مشيرا إلى أن محتويات الكتـاب " تمس البعض أو تمس مؤلّفـــاتهم، فقد تضع اليد على موضع الألم".[1]

ويمكن أن نعتبر الفصول الثلاثة الأولى تذكيرا عاما بمهمة فرنسا في الجزائر وكيفية نجاحهـا، حيث أشـار إلى أنه " بعد تثبيت فرنسة الجزائر من خلال القرارات الرسـمية وسياسة الإلحـاق حـان الـوقت لجعل الجزائر القلب النـابض لفرنسا وأساسا لتحقيق مصـالحها"، وسـتكون إذا ما طُبقت أفكـاره ورؤاه نموذجا لحضـارة صـنعها الفرنسـيون. معلنا أن تحقيق ذلك يتطلب سياسة التهدئة وتـرويض الأهـالي لا اسـتعمال القمع والإبـادة معهم، مع مراقبة العناصر الخطـرة وإخمـاد المقاومات وفصل قواعدها الشعبية عنها.

وكرّر أوربان أن الأهالي هم أصحاب الأرض، فهم أولى إذا بنشر الحضـارة الـتي هي، تبعا لـذلك، واجب على فرنسـا، خاصة وأن الأهالي يتمتعون بخصائص البنـاء الحضـاري، وهي الخصـائص الـتي كـان قد ذكرها في كتابه السـابق: الإتقـان والنزاهة والكرامة والـثروة. أي أن أوربـان قد نص صـراحة على قابلية المجتمع الجزائـــري للتطـــور والحضـــارة، على عكس التّشـدّق الرسـمي الفرنسي الـذي يصف الجزائـريين بالبـداوة والتـوحش، وهـذا وإن جعله يـرى أن نشر الحضـارة الفرنسية يتطلب تغيـير الأوضـاع إلى النمط الفرنسـي، فإنه تسـاءل حـول إمكانية قبـول الأهـالي هـذا التغيـير. فنصح بضرورة احترام الدين والعادات وعدم المسـاس بمقدسـات الأهـــالي وحريـــاتهم، مع حفظ الحد الأدنى من الاحـــترام للوصول إلى التأثير فيهم. مركّزا على أن مفهوم الاحتلال قد تطور من" استعباد الشعوب كما كـان عليه في السـابق إلى

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 47.

تغيير الحياة السياسية للحكومـات دون المسـاس بالمصـالح الخاصة"[1].مشيرا إلى " أن احترام الأهالي سـينتهي بهم حتما إلى اقتفاء الحضارة الفرنسية".[2]

أما الفصل الرابع فخصصه لنظرته إلى رسـالة فرنسا لتمــدين الأهــالي، ناصــحا إياها بـــ"إنشــاء القــرى الفلاحية للمعمـرين وتنظيم المسـتوطنات الأوربية وإلى دفع الأهـالي إلى الانتظــام في مراكز ســكانية متقاربة مع المســتوطنات بغية التأثر بالحضارة الفرنسية وتحقيقا للتعايش والتشارك". منتقــدا تحويل الحكم العســكري إلى أداة لإبــادة الأهــالي وإفقارهم بحجة قمع المقاومـة، وكـذا تحويل الحكم المـدني لخدمة مصـالح المعمـرين وزيـادة ثـرائهم. ومركـزا على أن "الشــعب الحقيقي في الجزائــر، هو ذلك الشــعب الخــادم للأرض، الدؤوب في عمله، المنتج، الدافع للضـريبة، الطّـامح لخدمة الراية الفرنسية".[3]

وخصص أوربـان الفصل الخـامس لنقطة هامة طالما شـكلت لغـزا في شخصـية أوربـان، وهي قضـية دفاعه عن مصـالح الأهـالي، ونسـرد هنا رأيه بوضـوح:" لابد لفرنسا أن تعمل على تحقيق الأهــداف المادية (الأشــغال العموميــة، التعليم الموجّـه، القـروض، الفلاحـة، السـكة الحديديـة...) لا المعنوية وعليها أن تضع مصالح الأهالي في الدرجة الثانية".[4]

أما الفصـلان السـادس والسـابع فخصّصـهما أوربـان للفلاحة، حيث أشاد بالمحاصـيل الزراعية الجزائرية واعتبرها وفـيرة، منتقـدا الـدور السـلبي للمعمـرين الـذين لم يثبتـوا كفــاءاتهم الفلاحية الــتي وصــفها بالكارثية باســتثناء القليل منهم. ووصف عمومهم بقوله :"... ولم يضيفوا شيئا لــروتين الأهالي".[5]

كما أكد أوربان مرة أخرى على ارتباط التقدم الفلاحي والصناعي بتحقيق الأمن والاستقرار للسـكان ووفـرة الميـاه لمعالجة مشــكلة الجفــاف، داعيا إلى اســتغلال الــثروة

---

[1] - المصدر نفسه. ص 55 – 56.
[2] - المصدر نفسه. ص 57 – 59.
[3] - المصدر نفسه. ص 66.
[4] - المصدر نفسه. ص 68.
[5] - المصدر نفسه. ص 80 – 82.

الخشـبية. وهي العوامل الـتي أصر على ضـرورة اهتمـام الحكومة بها فتجسـدت من خلال اسـتغلال الغابـات وبنـاء السـدود وشق القنـوات واعتمـاد أسـلوب الـرّي وحفر الآبـار الارتوازية وفتح طـرق السـكة الحديدية وإقامة الجسـور من أجل توفـير عوامل الإنتـاج والتسـويق.[1]مشـيدا بـالفلاح الجزائـري الـذي وصـفه بقوله :" إن الفلاح الحقيقي هو ذلك الفلاح الأهلي الذي يمثّل القاعدة الأكثر قوة والأكثر صلابة".[2]

أما الفصول الأربعة من الثامن إلى الحادي عشر فقد ركّز فيها أوربـان على ضـرورة الاهتمـام بالصـناعة من خلال الاهتمـام بالمنـاجم وصـناعة الملابس، مع توظيف الإنسـان الأهلي حسب قدراته سـواء في النشـاط الـزراعي أو الصناعي.[3]

وخلص أوربان إلى الاقتراحات التالية:

1- منح الجزائر نوعا من الاسـتقلالية مع قيـام الحكومة بـدور المراقبة.

2- العمل على تحقيق الرعاية الاجتماعية للأهـالي ودفعهم إلى الاندماج بالمعمرين طواعية.

3- العمل على تطوير وازدهار الصناعة بسواعد المهاجرين.

4- تجنيد الأهالي في صفوف الجيش الفرنسي.

وفي الفصل الثـاني عشر تنـاول أوربـان قضـية هامة وحسّاسة في آن واحـد، وهي قضـية اعتبـار الإسـلام أسـاس تأخر المسلمين. فسـارع أوربـان إلى الإجابة بـالنفي معتـبرا ذلك من أكـبر الأكـاذيب المسـجّلة في التـاريخ. و اعتـبر ذلك حجة على الجهل، ووصف مروّجي هذه الفكرة بقوله :" إنهم واقعـون تحت تـأثير بربرية أوربا الكاثوليكيـة". مـذكرا بـأن " التاريخ الإسلامي ثري بالبطولات والـروح الإنسـانية السـامية والتسامح والاحترام للآخر، وتاريخ الأندلس شاهد على ذلك". واصفا المسلمين بحبهم للعلم والعلماء وبكونهم روادا للإنتاج الأدبي والعلمي فطالما أنـاروا العقـول الأوربية بـالطب

---

[1] - المصدر نفسه. ص 82.

[2] - المصدر نفسه. ص 83.

[3] - المصدر نفسه. ص 86 – 87.

والرياضـيات وعلم الفلك والفلسـفة وطـرق الفلاحة مـذكرا بالدّقّة والإتقان اللذين واكبا العلوم المختلفة.[1]

ونـوّه أوربـان بالأمة الجزائرية الـتي انبهر بمقاومتها للاحتلال فقال :" إن الأمة الـتي قـاومت الاحتلال الفرنسـي، القـــوة العســـكرية الأولى في العـــالم، لهيَ أمة جـــديرة بـالاحترام".[2] رابطا تأخرها بالتواجد العثمـاني الـذي وصـفه بالظــالم والمســتبد والقاضي على عناصر القــوة والتطــور الحضاري. مما جعل فرنسا، حسـبه، تجد في الجزائر ظروفا بعيدة عن الحضارة. وهي نفسها الأكذوبة الـتي كـانت ترددها فرنسا.

أما الفصل الثالث عشر والأخير فقد جاء خاتمة للكتاب، واعتبر فيه أوربان أن الاحتلال الفرنسي للجزائر يتجاوز كونه قضـية حكم وإدارة إلى كونه قضـية نشر للحضـارة، مشـيرا إلى العوائق العويصة التي تعيق تحقيق الـثراء والازدهـار وما يتعلق به من تقسيم للأدوار بين الأهالي والمعمـرين، وتوفـير العوامل المادية والمعنوية الـتي من شـأنها المسـاعدة على نشر الحضـارة الـتي وصـفها بأنها " إنـارة للعقـول وتوسـعة للقلوب".[3]

---

[1] - المصدر نفسه.ص 123. وأراد أوربان من خلال ذلك الإشارة إلى الدرجة الكبيرة التي أثّر بها المسلمون على أوربا، إذ أن الكثير من أسباب يقظتها تعود إلى العلوم التي انتقلت إليها من العالم الإسلامي وخصوصا من الأندلس. فكُتُب ابن سينا لم تكفّ جامعة مونبيليي عن تدريسـها إلا مع بداية القرن العشرين. كما أن ملوك أوربا بعثوا موفديهم بل وأبناءهم أيضا للتزوّد بالثقافة الإسلامية ونظم الحكم، كما هو الشأن بالنسبة للملك الألماني ونظيره الإنجليزي. ووصل الأمر بأحد مفكّري إيطاليا وهو بيترارك إلى المناداة بمايلي:"... لقد أدركنا الإغريق وجميع الشعوب وسبقناها في بعض الأحيان ماعدا العرب (المسلمين). فيا للحماقة والجهل للعبقرية الإيطالية الخامدة". دون أن ننسى الإشارة إلى دور الترجمة الكبير في نقل التراث الإسلامي إلى أوربا. ينظر: يحيى بوعزيز. **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1999. ص 13 وما بعدها.

[2] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 123.

[3] - المصدر نفسه. ص 127.

2 - الرّسائل

2-1-رسالة نابليون الثالث إلى الماريشال بيليسيي

06 فيفري 1863:

بعث الإمبراطور هذه الرسالة إلى الحاكم العام بالجزائر الماريشال بيليسيي الملقّب (منذ مشاركته في حرب القرم) بالدوق مالاكوف "*Malakoff*" بتاريخ 06 فيفـري 1863، نشـرتها الجريدة الرسمية للإمبراطورية الفرنسية " المرشد العـام"" *Le Moniteur Universel*"،[1] التي كانت تصدر بالجزائر، في اليوم المـوالي بالعـدد 58، والملاحظ أنها لم تعلق عن محتوياتهـا، كما يبدو أن بيليسيي هو الآخر لم يهتم بها.

وكتب أوربان حول هذه الرسالة :" بعث الإمبراطور إلى الماريشـال بيليسـيي في شـهر فيفـري 1863 رسـالة حملت أفكاري بصفة مباشرة".[2] كما خاطب الإمبراطور مستشـاره أوربان في 23 جوان 1865 أثناء مأدبة غداء :" السيد أوربـان،

---

[1] - وردت الرسالة في عمودين من الصفحة الأولى وقليل من العمود الثالث، بحجم 52.5 × 07 سم. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرسالة نشرت مترجمة للغة العربية أيضا، وهي موجودة بالأرشيف الوطني التونسي تحت رقم : *ANT. Dos. 384 bis. Cart. 233*. وقد كتب عليها مايلي: الوثيقة مترجمة من الفرنسية إلى العربية، كتبت على صفحة واحدة من الحجم الكبير وبخط رقعي وبأسلوب عربي تتداخل فيه الدارجة الجزائرية، من غير المستبعد أم يكون مترجمها أحد الشوام العاملين في جيش الاحتلال. ينظر: احميدة عميراوي. **من تاريخ الجزائر الحديث**. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. ط 2. 2004. ص 76. أما نحن فقد اطلعنا على النسخة الأصلية بـ : جريدة المرشد العام. ع 58. بتاريخ السبت 07 فيفري 1863. *Le Moniteur Universel*.

[2] - أوربان. السيرة... .مصدر سابق. ص 67.

لقد استوليت على كتابك من أجل كتابة رسالة السّـادس من فيفري".[1]

حملت رسـالة 1863 عنـوان المملكة العربيـة، ويمكن تقسيم محتواها إلى ثلاثة أقسام:

1- عموميــات : تتمحــور حــول التــذكير بمهــام فرنسا الاستعمارية في الجزائر.

2- حول الجزائريين.

3- حول واجبات الحكومة العامة.

تبدو الرسالة منذ البداية متفقة مع أفكار أوربان الذي كان يلح على ضــرورة احــترام الأهــالي واحــترام ممتلكــاتهم ومقدســاتهم. وفي ذلك جــاءت الرســالة بتــذكير أول من الإمبراطور إلى الماريشـال بيليسـيي مفـاده أن فرنسا " قد وعـدت الأهـالي أثنـاء حملة 1830 على العاصـمة أنها سـوف تحترم عقيدتهم وممتلكاتهم".

أما التذكير الثاني فبيّن فيه الإمبراطور " أن درجة اهتمام الإدارة الفرنســية بملكية الأهــالي يعد من أكــبر العوامل الخادمة للمصلحة الفرنسـية بـالجزائر من خلال تحويل جـزء هام منها إلى ملكية المعمـرين". وهي الفكـرة الـتي كـان قد دعا إليها أوربان أيضا.

وجاء التذكير الثالث متفقا أيضا مع أفكار أوربـان حين اعتـبر أن " مهمة فرنسا بـالجزائر هي نشر الحضـارة وليس نشر الظلم والاســتبداد"، فأما نفي صــبغة الاســتبداد عن طبيعة مهمتها فيبدو جليا في رفع شعار القضـاء على سـلطة الداي حسين المستبد حسب زعمهـا، وأما رفع الظلم فيتضح في البند الخــامس من اتفاقية حســين – بورمــون في 05 جويلية 1830 والــذي ينص صــراحة على :" ســيظل العمل بالــدين الإســلامي حــرا، كما أن حرية السـكان مهما كـانت طبقتهم ودينهم وأملاكهم وتجارتهم وصـناعتهم لن يلحقها أي ضرر، وستكون نساؤهم محل احترام"ـ[2]

أما القسم الثـاني من الرسـالة وهو الأهم في نظرنـا، فيبحث عن صيغة قانونية لتسهيل انتقال الملكية من الأهالي

---

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 29.

[2] - حمدان خوجة. **المرآة**. تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري. الجزائر. ط2. 1982. ص 195 – 196.

إلى المعمرين، وقد حملت الرسالة تساؤلات الإمبراطور " عن كيفية تهدئة الأهالي الذين سيتصدّون بقوة للقرارات الفرنسية من أجل المحافظة على ممتلكاتهم". كما تساءل عن :" كيفية التحسين والازدهار في ظل غالبية ممتلكات أهلية لا تؤجّر ولا تباع".

رأى الإمبراطور في ذلك " أن فرنسا قد تأخرت في السيطرة على ملكية الأهالي وتحويلها بصفة دائمة إلى المعمرين والتمتع بها ملكا أبديا خلافا لما كانت عليه منذ 1830 حيث كان التمتع مؤقتا سواء عن طريق الإيجار أو الاستغلال عن طريق القوة". فأعلن صراحة " تحويل أراضي العرب (الأهالي) إلى المعمرين"، واهتدى بفضل أوربان إلى أن أحسن طريقة لتحقيق ذلك تتمثل في تطبيق الإجراءات الأساسية التي سنعود إليها في الفصل الثالث وهي كالآتي:

1- تقسيم القبائل إلى دواوير.
2- تفتيت الأسر العريقة.
3- تأسيس المحتشدات (الكانتونات).
4- دحر الأهالي لكي يتراجعوا إلى الصحراء.

وعبّرت الرسالة عن أهمية الجزائر لفرنسا من خلال الإشارة إلى إحصائيات حول عدد السكان واستغلال المساحات التي نعتتها بأنها واسعة، فذكرت أن " عدد الأهالي يقدر بثلاثة ملايين نسمة، في حين يقدر عدد الأوربيين بـ 200 ألف أوربي منهم 120 ألف فرنسي. وتبدي نظرة سريعة حول المعطيات أن من جملة 14 مليون هكتار التي هي مساحة التل الجزائري، يستغل منها الأهالي 02 مليون هكتار فقط، في حين تسيطر مصلحة أملاك الدولة(الدومين) على 2.69 مليون هكتار".

واعتبر الإمبراطور الجزائر مملكة عربية فهي " ليست مستعمرة بمعنى الكلمة، ولكنها مملكة عربية، فالأهالي كالمعمرين لهم نفس الحقوق تجاه حمايتي، وإنني إمبراطور العرب كما إنني إمبراطور الفرنسيين".

أما القسم الثالث والأخير من رسالة نابليون فيتمحور حول واجبات الحكومة العامة، فقد بيّنت الرسالة المطلوب منها، و إن مهمتها " الأساسية هي نشر الحضارة في أوساط المجتمع الأهلي بعيدا عن الظلم والاستبداد" في إشارة إلى

" التزام فرنسا ببنود اتفاقية حسين – بورمـون، كما عليها أن تقضي على الأفكار البدائية (؟) للمجتمع الأهلي، وفتح البـاب واسعا أمام تحرر الأهالي وتفتّحهم أكـثر". وهو نفس التعبـير الذي استعمله أوربان من قبل.

وختم نابليون رسالته بتوصية لبيليسيي بألا يدخر أي جهد فيه المصلحة العامة التي حددتها الرسالة طبعا.

إلا أنه من دواعي العجب أن نابليون، وبعد كل ما ألح على القيـــام به تجـــاه الأهـــالي عبّر عن أنه " على ثقة تامة بالمستقبل الجيد للعرب". وهنا أشار إلى "تكليف الماريشال رانـدون بتحضـير مشـروع سـيناتوس كونسـيلت " مشـروع الملكية "". فلا نـــدري أيّ مســـتقبل جيد لأمّة لم يمنع من إبادتها نهائيا إلاّ، ربما، الروح الإنسانية والـرأي العـام الـدولي فقــط؟، ولا نــدري أي مســتقبل جيد لأمّة طُـرد أبناؤها إلى الصحراء والمنـافي، وانـتزعت أراضـيهم منهم غصـبا بطـرق تسمّى " قانونية " لمعمّرين اسـتقدموا من وراء البحـر؟، ولا ندري أي مستقبل جيّد لمواطنين باتوا عبيـدا على أراضـيهم، وماتوا صبرا في المغارات؟.

2- 2 -رسـالة نـابليون الثـالث إلى الماريشـال ماكماهون 20 جوان 1865

جاءت هذه الرسالة على شكل كتيب من ثمان وثمـانين (88) صـــفحة من الحجم المتوسط تحت عنـــوان " رســـالة الإمـبراطور إلى الماريشـال ماكمـاهون (الـدوق دو ماجينطا *Duc de MAGENTA*) الحـاكم العـام للجزائـر، حـول السياسة الفرنسـية في الجزائـر". تحمل تـاريخ 20 جـوان 1865 بقصر التويلوري بباريس.[1]

ونريد أن نوضح، وهو أننا نظرنا إلى رسالة الإمبراطور هـذه من ضـمن كتابـات أوربـان، لأن أوربـان اعـترف بـذلك بنفسه حين كتب يقــول :" اتصل بي الإمــبراطور بخصــوص

---

[1] - نابليون الثالث. **رسالة حول السياسة الفرنسية في الجزائر**. رسالة موجّهة إلى الماريشال ماكماهون (الدوق دو ماجينطا). *Napoléon* ***Lettre sur la politique de la France en Algérie****. Adressé au Maréchal De Mac Mahon duc de Magenta gouverneur général de l'Algérie. Imprimerie Impériale. Paris. 20 juin 1865.*

رسـالة 20 جـوان المتعلّقة بالبرنـامج السياسي لفرنسا بالجزائر، فألقيت محاضرات عديدة بإقامته، وقدّم لي تقريرا مع السيد روهر *Rouher* وزير الدولة باروش *Baroch* وزير العدل والسـيد ديـريي *Duruy* وزير التعليم العـام، وكـان معي السـيد دولانغل *Delangle* مقـرر مجلس الشـيوخ حـول تجـنيس الأهالي". [1]" وهناك (بقصر التويلـوري) قَـدَّمت نسـختين مما اتفق على تسميته رسالة 20 جوان إلى الدوق ماجينطا".[2]

ويشـير ماكمـاهون أنه تلقى هـذه الرسـالة بعد عـودة الإمـبراطور إلى فرنسـا، وأنها جـاءت في سـبع نسخ فقـط، إحـداها موجّهة له شخصـيا، وأخـرى إلى نائبه الجـنرال دوفو *Desvaux*، وواحدة إلى مدير الشؤون العربية (الأهلية)، وأخرى إلى مـدير الشـؤون المدنيـة، والثلاثة الباقية إلى الجـنرالات الثلاثة حكـام الولايـات. وأوضح ماكمـاهون أنه تعمّد عـدم نشـرها لإدراكه بما تثـيره من رد فعل عـنيف من غلاة المعمرين، وهو ما حدث فعلا بعدما تـداولتها الصـحف. ولكنه يبـدو أنه لم يكن مقتنعا بما جـاءت به من طـرح قد يخـدم الأهالي في نهاية المطاف،[3] كما مرّ بنا في الفصل الأول.

جـاءت الرسـالة في مقدمة وأربعة فصـول، تنـاولت مقدمتها أفكارا عامة حول الجزائر، فاعتبر الإمـبراطور هـذه الرسـالة هي خلاصة نظرته السياسـية الـتي يجب اتّباعها في الجزائر بعد السّفرية التي قام بهـا، ومعلـوم أن أوربـان كـان مترجمه الشخصي خلالها. وصـرح الإمـبراطور على أن هـذه المحتويـات " هي اقتراحـات من أجل الوصـول بـالإداريين الفرنسـيين إلى التّحكّم التـام في الجزائـر، وليست نظاما جديدا".

وإذ يقدّم الإمبراطور اقتراحاته هذه، فذلك لأنه يرى أنها تجلب النفع للمصـلحة الفرنسـية، إذ تُمكّن من كسب مـودة الأهالي واسـتقطاب المعمـرين، واسـتغلال الـثروات المادية والمعنوية للجزائـر. ولـذا ركّز على حثّ الأهـالي والمعمـرين على التعاون من أجل تطبيق محتوى رسالة 06 فيفـري 1863 خاصة فيما يتعلق بـدخول الأهـالي عـالم الشـغل من تجـارة

---

[1] - أوربان. السيرة... .مصدر سابق. ص 77.
[2] - المصدر نفسه. ص 119.
[3] - ماكماهون. مصدر سابق. ص 212 – 213.

وغابـات ومنـاجم وريّ وقطن وتبـغ... وتوجّه المعمـرين إلى القيادة والإشراف.

وإذا كـانت رسـالة 1863 قد اعتـبرت " الجزائر ليست مسـتعمرة بمعـنى الكلمة ولكنها مملكة عربيـة" فـإن هـذه الرسالة اعتـبرت " الجزائر مملكة عربية ومسـتعمرة أوربية وفضاء فرنسيّا، ولذلك فهي جديرة بالاهتمام". والملاحظ هنا هو إن هـذه الأفكـار هي أفكـار أوربـان ومن قبله أونفونتـان، فكلاهما كان يرى أن الهجرة لابد أن تكـون أوربية فيما يكـون الاحتلال فرنسيا كما مر بنا.[1]

كما أن رسالة 1863 قد أشـارت إلى أن عـدد السـكان الأهالي ثلاثة ملايين نسمة، فإنه من العار على الفرنسيين أن رسالة 1865 هذه نصّت على أن عدد السكان الأهالي يقدّر بـ 2.580.267 نسمة.[2] ولاشك أن هذا التناقص في عدد السـكان دلالة على الأسـلوب الوحشي للاحتلال الفرنسي من خلال المجـازر المرتكبة وطريقة تصـفية الوطنـيين والمقاومة الشعبية والهجرة والتهجير.

أما الفصل الأول من الرسـالة (الكـتيّب) فقد خُصّـص للعرب (الأهالي) الذين وصفهم نابليون بأوصاف حميدة، ولم يهوّن من شـأنهم، فقد وصـفهم بـالثورة والحركية إيجابـا، أما سلبا فوصفهم بأنهم طيّعـون للحكم المطلق في إشـارة إلى انقيـادهم للدولة العثمانية الـتي كـان يراها مسـتبدة. وهي الأوصاف نفسها التي قال بها أوربان في كتابه السالف الذكر الجزائر للجزائريين.

ونصّت الرسـالة كسـابقتها سـنة 1863 على أن فرنسا بالنسـبة للأهـالي لن تكـون كأمريكا بالنسـبة للهنـود الحمـر، فعليها إقامة التعـايش معهم مع سـلطتها عليهم، باعتمـاد المنشآت لا الأسلحة فقـط، معتـبرا " كسب ودّ الأهـالي يعـدّ نجاحا سياسيا يخدم المصلحة الفرنسـية".خاصّـة وأنها تعتـبر الإنسـان الأهلي إنسـانا بـدائيا وسـيتأثّر حتما بـالمعمّرين

---

[1] - وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الرأي لم يمر مرور الكرام على غلاة المعمرين الذين استغلوا وسائل الإعلام، وعبّأوا الرأي العام الفرنسي وأوساط المعمرين بأن هناك اتفاقا بين الإمبراطور والأمير عبد القادر لاسترجاع سيادته على الجزائر، في إشارة إلى مصطلح المملكة العربية. يراجع في هذا مذكرات الماريشال ماكماهون.

[2] - رسالة 1865. مصدر سابق. ص10.

المتحضّـرين بشـرط التظـاهر بـالحب والإنسـانية بـدلا من اسـتعمال القـوة. وفي ذلك دعـوة للاسـتعمار بالأسـلوب الحضاري والوقوف ضد سياسة السيف وهي مواقف أوربـان نفسها.

عالجت الرسالة أيضا ما يتعلق بأراضي العزل والضريبة العربية،[1] فدعت إلى تأجير أراضي العـزل للأهـالي بقـرارات من المحكمة رغم أنها ملك لهم أبا عن جد، في حين رأت بأن الضـريبة العربية المقـرّرة " باهضة ومرهقة ومعيقة للقـوى الفعّالة في المجتمع الأهلي" ودعت إلى إيقـــاف العمل بها لأنها في نظرها " خطأ كبـيرا من حيث آثارها السـلبية على الأراضي الفلاحية والمواشي والأشجار المثمرة".[2]

وخلصت الرسالة في نهاية هذا الفصل إلى اقتراح جملة من الإجراءات تجعل المتفحص لها يضعها في مصاف الأوامر والتشريعات لا الاقتراحات. كما يتبين له أيضا أنها تمثل زبـدة أفكار أوربان بعدما نادت بمايلي:

1- باعتبـــار أن الجزائر مقاطعة فرنســـية، فالأهـــالي هم فرنسـيون تبعـاً. ولكنهم إذا أرادوا الاسـتفادة من الحقـوق الفرنسية فعليهم أن يتخلّـوا عن أحـوالهم الشخصـية. أي أن الجزائـريين لم يبق لهم من خيـار فإما التخلّي عن الإسـلام وإما الاستعمار والحرمان.

2- السهر على تنفيذ قرارات سيناتوس كونسـيلت 1863 وهو المتعلّق بالملكية كما علمنا.

3- إنشاء سـجل الحالة المدنية لتنظيم الـدواوير والأعـراش. بما يحمله ذلـك، طبعـا، من انـدثار للأنسـاب و بنـاء لأسس البلدية التي تقـوم محل القـرى و الـدواوير.وسـيادة الأنظمة الفرنسية تسهيلا للتحكم في حركية المجتمع.

---

[1] - أراضي العزل أو العزلة هي أراضي البايلك التي تستغل عن طريق الكراء أو الخَمَاسةَ لأن العامل المستأجَر يأخذ خمس المحصول فيما تعود أربعة أخماس إلى مالك الأرض الذي عليه أن يقوم بكل التكاليف من حرث وحصد وحبوب. يراجع : ناصر الدين سعيدوني. **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر.(العهد العثماني)**. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. ص 344.أما ما يتعلّق بالضريبة العربية فيمكن العودة إليه في موضعه بالفصل الأول من هذه المذكرة.

[2] - رسالة 1865. مصدر سابق. ص25.

4- إعادة تنظيم المـدارس الإسـلامية العليا خاصة فيما يخص أعـوان القضـاء الإسـلامي وكتّـاب اللغة العربيـة. مع تطـوير التعليم الإسلامي العام في بلديات الحكم المدني.
5- إنشاء مراكز للتكفل باليتامى المسـلمين إناثا وذكـورا في كل مقاطعة.

أما الفصل الثاني من الرسـالة فقد جـاء تحت عنـوان الاستعمار " *La Colonisation* " وفيه ذكّرت الرسالة بـأن فرنسا عملت الكثير منذ 1830، إلا أن الاستعمار لا يزال يراوح مكانه ولم يجد الطريق الرّشيد الذي يسلكه بسبب غياب المبـاديء الحقيقية للاقتصـاد السياسي كالحرية في إبـرام الصّـفقات التجارية وتنظيم القرض من أجل إقامة المشاريع الاقتصادية المختلفة التي تتطلّب سـيولة نقديـة، مع بنـاء المسـتوطنات في الأماكن الاستيراتيجية ومنح الامتيازات للأوربيين تشـجيعا لهم على القــدوم. وفي هــذا تبــدو أفكــار أوربــان واضــحة وجليــة.خاصة حين نصّــت الرســالة: " وعلى أمل الرّفع من عــدد المعمــرين بــالجزائر لابد من التركــيز على قضــيتين أساســيتين، وهما تأســيس المســتوطنات الأوربية وإنشــاء الاســتثمار المجّــاني، ومن دون ذلك لا يمكن الوعد بــأي شــيء". منبّهة في ذلــك، إلى أن المعمــرين القــادمين إلى الجزائر يتميّز أغلبهم " بفقــدان الــثروة، ولن يتمكّنــوا من كسبها إلا بعد مرور سنوات، ولذا على الحكومة أن تـوفّر لهم مختلف المشاريع المحقّقة لذلك".

وفي الفصل الثالث تناولت الرسالة الاحتلال العسكري. معتبرة أن الأولوية الأساسـية للحكومة هي تخفيف التكـاليف على فرنسا وتوفـير الأمن لممتلكاتها في الجزائـر، بالاعتمـاد على المكاتب العربية الـتي اعتبرتها الرسـالة " قنـاة اتّصـال بين المعمـــــــــــــــرين والأهـــــــــــــــالي "، ولـــذا لابد أن تكـــون على درجة كبـــيرة من الحنكة في التعامل للتمكين للتهدئة".[1]

[1] - ترجع الاهتمامات الفرنسية الأولى بتأسيس هيئة إدارية تتحكم من خلالها في إدارة الأهالي إلى بداية الاحتلال والتي تجسدت بصفة خاصة في المكتب الذي أحدثه الدوق دو روفيقو"*Duc de Rovigo*" الحاكم العام للجزائر سنة 1833 بمكتبه الخاص تحت اسم " المكتب العربي"، الذي أعطيت صلاحيات إدارته إلى النقيب لامورسيير في السنة نفسها. وأصبح هذا المكتب يحمل اسم " مصلحة الشؤون الأهلية" التي أصبح بيليسيي على رأسها فيما بين 15

أما الفصل الرابع فكــان خلاصة للرســالة، دعا فيه الإمـبراطور إلى اسـتغلال ما وصـفه ببسـالة وفقر الأهـالي لخدمة المصـالح الاسـتعمارية وتحويل المعمـرين إلى أغنيـاء مزدهرين. مشـيرا إلى أنه يحـدوه أمل كبـير لتحقيق التهدئة في الجزائر والنفع لفرنسا. معتبرا أن الجزائر لن تكون لغـير فرنسا في إشـارة للطـابع الاسـتيطاني للاسـتعمار الفرنسي بالجزائر.مـذكّرا الحـاكم العـام ماكمـاهون أن فطنته ونباهته تدفعانه إلى التطــبيق الأحسن لمحتــوى الرســالة من أجل المصلحة الفرنسية حاضرا ومستقبلا.[1]

أفريل 1839 ومطلع سنة 1840 قبل أن يخلفه على رأسها النقيب آلونفيل " *Allonville*". وبعد مجيء الجنرال بيجو حاكما عاما على الجزائر في 22 فيفري 1841 أسندت إدارة الشؤون الأهلية إلى الجنرال دوماس في 16 أوت من السنة نفسها. ومع توسع الاحتلال وتزايد الحاجة الاستعمارية إلى مزيد من التحكم في الجزائريين تم ترسيم هذه الهيئة نهائيا تحت اسم "المكاتب العربية" بمرسوم وزاري مؤرخ في 01 فيفري 1844. وتكونت الهيئة الإدارية للمكتب العربي من ضباط مرسّمين وآخرين متربصين ومترجمين وأطباء وكتّاب وقضاة وشواش وفرسان من كتائب الخيالة أو الصبايحية. ينظر: جاك فريمو. **المكاتب العربية بالجزائر منذ الاحتلال**. *J. Fremaux**. Les Bureaux Arabes dans l'Algérie de la conquête**. Edition denoél. Paris. 1993.* وكذلك : غزافي ياكونو. **المكاتب العربية وتطور أنماط حياة الأهالي في الجزء الغربي من التل العاصمي**. *Xavier yacono .**Les Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'Ouest du tell algérois (Dahra, Chélif, Ouarsenis, Sersou)**.édition larose. Paris. 1953. .*

[1] - رسالة 1865. مصدر سابق. ص 72 – 75.

3 - البحوث

3-1- نبـذة عن إقليم قسـنطينة *Notice sur la province de Constantine*

حرر أوربان هذه النبذة رفقة الدكتور وارني سنة 1841 حينما كان أوربان يشـغل منصب مـترجم من الدرجة الأولى، أما وارني فكـان عضـوا باللجنة العلمية لاكتشـاف الجزائـر.[1] ويقول عنها أوربان :" في سنة 1841 وخلال الأشـهر العشـرة التي قضيتها بباريس حرّرت نبذة عن إقليم قسنطينة نُشـرت في سجل المنشآت الفرنسية بشـمال إفريقيـا، الـذي تطبعه وزارة الحربية".[2]

قبل أن يبدأ أوربان دراسته هـذه فضل التمهيد لها في حدود نصف صـفحة مبينا فيها الهـدف من دراسـته هـذه وهو التعـــــرّف على التنظيم الإداري والوضع المـــــادي لبايلك قســـــــنطينة إلى غاية وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي في أكتوبر 1837.

ففيما يخص الجانب الإداري ذكر أوربان الحدود الجغرافية لهـذا الإقليم، إذ يحـده شـمالا البحر المتوسط ومن الغـرب قرية أولاد منصور ببجايـة، ومن الشـرق مـدن حدودية كثـيرة أهمها تقـرت وتبسـة والكـاف إلى غاية طبرقة داخل الحـدود التونسية ،[3] وفي أقصى الجنوب الغربي

---

[1] - أوربان و وارني. **سجل المنشآت الفرنسية بالجزائر**. وزارة الحربية. *Ministère de la guerre.* ***Tableau de la situation des Etablissement français dans l'Algérie****. Urbain et Warnier.* ***نبذة حول إقليم قسنطينة*** ***Notice sur la province de Constantine*** *Organisation et situation à l'époque de l'occupation .1841.p 307. .* جاءت هذه الدراسة عن قسنطينة في اثنتين وخمسين (52) صفحة من صفحات السجل، من الصفحة 307 إلى الصفحة 358 تحت عنوان " نبذة عن إقليم قسنطينة، التنظيم والأوضاع"، متناولا ما يتعلّق بالحكومة والإدارة وتعداد القبائل والقوى الشعبية والمصادر المالية وأخيرا إدارة مدينة قسنطينة.

[2] - أوربان. السيرة... مصدر سابق. ص 81.

[3] - لعلّ كتابات أوربان هذه تساعد على نفي دعوى تونس بأن لها جزءا من الأراضي داخل حدود الجزائر كتبسة. إذ لولا القوانين الدولية القائلة باحترام الحدود الموروثة عن الاستعمار، والتي تبقي الجزائر وتونس على حدودهما الحالية، لكان من حق الجزائر ربّما المطالبة بجزء من الأراضي الموجودة بتونس كمدينة الكاف .

تحدها بعض المدن الصغيرة كسيدي هجرس، وسيدي عيسى التي تقتسمها مع إقليم التيطري.[1]

ومن الجانب البشري رأى أوربان أن الإقليم يتكون من ثلاث إثنيات مختلفة العادات والتقاليد وأنماط العيش واللغة، هـذه الإثنيـات هي العـرب المنتشـرون على جنـوب الإقليم والشاوية على المنطقة الوسطى منه والقبائل على الساحل في شمال الإقليم.

رأى أوربان أن عرب الإقليم مربو مواشي وخاصة الأغنام والإبـــل، ويعيشـــون على الفلاحة خاصة النخيل وقليل من الأشجار المثمـرة ولا ينتجـون الحبـوب إلا قليلا. أما الشـاوية فهم أيضا مربو مواش كالأبقار والأغنام ويعيشون على زراعة الحبـوب على الخصـوص، ينتشر بعضـهم على السـهول بينما البعض الآخر مستقر بجبال الأوراس وبلّزمة، وتشتبه عاداتهم إلى حد كبير مع عادات القبائل، يتكلمون العربية على عكس العـــرب الـــذين لا يتكلمـــون الشـــاوية. أما القبائل فـــأهم محاصيلهم الزراعية الزيتون والحمضيات. وهو في ذلك يكرّر كلية ما ذكرنـــــاه في كتابيه الجزائر للجزائـــــريين والجزائر الفرنسية.

ورأى أوربان أن السكان ينتسبون إلى العـرش حسب أصـولهم، مشـيرا إلى أن العـرش ينقسم بـدوره إلى فـرق مشـتركة في النسب والروابط القويـة. أما الفرقة فتنقسم إلى دواوير وينقسم الدّوار إلى دُشُر (جمع دَشْرَة) أي قرية.[2]

ففيما يخص تعداد القبائل (*Les Tribus*) أشار أوربان إلى عشـرة قبائل كـبرى، تتفـرع عن كل منها مجموعة هامة من الفـرق والـدواوير، وأهم هـذه القبائل هي : الحنانشـة، قبائل الصـــحراء بفرعيها (الرّحل والقـــاطنين قـــرب الواحـــات)، الحراكتة، بلّزمة، البرّانية، عـامر الشـراقة، أولاد دريـد، قبائل

---

[1] - مثّلت مدينة سيدي هجرس أقصى حدود إقليم قسنطينة بجنوبه الغربي في حدوده مع إقليم التيطري الذي يبدأ مجاله الجغرافي بعرش السلامات، مدينة عين الحجل حاليا التابعة إداريا لولاية المسيلة.

[2] - وزارة الحربية. السجل. مصدر سابق. ص 313 – 317.

الســاحل الــتي قسّــمها إلى ثلاث قواعد كــبرى هي (أولاد براهم، ساحل سكيكدة، ساحل زردازة)، زواغة، فرجيوة.[1]

ومن جانب آخر أشار أوربان إلى "الميليشيات" وحصر مهمتها في نقطـتين اثنـتين، تتمثل الأولى في تنفيذ قـرارات البـاي، فيما تتمثل الثانية في العمل على توحيد الجهـود فيما يخدم الإقليم. وفصّل أوربان في ذلك من خلال الأمثلة كقبيلة الحنانشة التي تزوّد القوى العسكرية بألف فارس مثلا.[2]

أما المصادر المالية للمدينة فبيّن أوربان أنها كانت من مداخيل الضرائب النقديـة، وما يجمع عن طريق العشـور، أو الغرامـات، أو إسـهامات المنـاطق الصـحراوية. إضـافة إلى أملاك البايلك ســـواء منها ما تـــرتّب عن الملكية العامة أو الخاصّــة كــالحُبُس " الأوقــاف" مثلا، أو الضــرائب المتعلقة بقطعان الماشية أو الأشجار المثمرة.[3]

وفي الأخير يشير أوربـان إلى الطـاقم الإداري لمدينة قســنطينة فيلخّصه في الــرتب التالية : قايد الــدار، مقــدم اليهود، أمين الجماعة (*corporation*)، موظفو البلديـة، النـاظر المكلّف بالأوقــاف، شــيخ البلاد المكلّف بــالتعليم والأوقــاف سواء ما تعلّق منها بالمدارس أو المساجد...[4]

2-3- نبذة عن إقليم التّيطري [5] *Notice sur la province de Titteri*

أعدّ أوربان هذه النبذة سنة 1843 حينما كان يشغل منصب مترجم رئيسي لجيش إفريقيا، وقـال عنها كما مـرّ بنا " وخلال الأشـهر العشـرة الـتي قضـيتها بببـاريس حررت نبذة عن إقليم قسنطينة نُشرت في سجل المنشــآت الفرنسية بشمال إفريقيا، الــذي تطبعه وزارة الحربيـة، وفي العدد الموالي نشرت عملا جديـدا في شـكل نبـذة عن إقليم التيطري".[6]

تناول أوربان ابتداء تنظيم الإقليم تحت الحكم العثماني موضحا حدوده بين سلسلتي الأطلسـين التلي والصـحراوي،

[1] - المصدر نفسه. ص 328 – 329.
[2] - المصدر نفسه. ص 334 وما بعدها.
[3] - المصدر نفسه. ص 340 وما بعدها.
[4] - المصدر نفسه. ص 356 – 358.
[5] - وزارة الحربية. السجل . 1844. أوربان. **نبذة حول إقليم التيطري**. *Notice sur L'ancienne province de Titteri*. P 307.
[6] - أوربان. السيرة... .مصدر سابق. ص81.

أما من الغـرب إلى الشـرق فيمتد من ضـواحي حجـوط إلى غاية شرق عريب (عين بسام بولاية البويرة حاليا).

ورأى أوربـان أن هـذا الإقليم هو الأقل أهمية مقارنة بـإقليمي الجزائر وقسـنطينة، ولـذا نجد بعض قبائله ملحقة مباشرة بآغا الجزائر وتمدّه بفرسان الصبايحية كقبيلـتي بـني سـليمان وموزايـة. وتتمـيز الإدارة به بإحكامها وأسـلوبها المباشر في التعامل مع القبائل الـذين شـعروا بالطمأنينة والاحترام. مشيرا إلى وجود بعض القبائل القوية التي عرفت باسم " الأوطـان" ويحكم كـلَّ وطن منها قائد معين من طرف الباي.[1]

أما من حيث السكان، فـبيّن أوربـان أنهم يتـألفون من القبائل والعرب، مشيرا إلى وجود روابط قوية بينهم. وأوضح أن المهنة الرئيسية للقبائل هي زراعة التين والزيتون إضـافة إلى امتهانهم الصناعة ومنهم من هو تـاجر. مؤكـدا أن فرنسا باسـتطاعتها تـوظيفهم في الميـدان الصـناعي الـذي تريـده بـالجزائر. أما العنصر العـربي فأوضح أوربـان أنه يعيش على الزراعة وخاصة الحبوب (القمح والشعير) وتربية المواشي.[2]

وفيما يتعلق بالإدارة بيّن أوربان أن الطاقم الإداري هو نفسه من حيث الرّتب بين الأقاليم الثلاثة، وهي الـرتب الـتي كان قد ذكرها في دراسـته عن إقليم قسـنطينة، باسـتثناء أن سلطة إقليم التيطري تخضع مباشـرة لآغا الجزائر الـذي من مهامه تعيين حاكم تركي (عثماني) على الإقليم.

وبين أوربـان أيضا أن المـوظفين الـذين أخـذوا اسم المخازنية والمكاحلية أو زمالة القايد في إقليم قسـنطينة عُرفوا بإقليم الـتيطري باسم " القـوم" " *goum*". أما القاضي فيشـكل مع القايد ما يشـبه محكمة لمعالجة قضـايا القبائل الـتي تعمل إما تحت سـلطة البـاي أو مجلس المدية للفصل فيها وإلا ترفع للـداي ومجلس العاصـمة للفصل فيها بصـفة نهائية فيما يشبه المحكمة العليا.[3]

وقبل أن يتطرق أوربان إلى تنظيم الإقليم تحت إدارة الأمير عبد القادر،عرّج باختصـار على وقـوع عاصـمة الإقليم،

---

[1] - السجل. 1844. مصدر سابق. ص 397 – 399.

[2] - المصدر نفسه. ص 398 – 399.

[3] - المصدر نفسه. ص 400.

المديـة، تحت الاحتلال الفرنسـي، منبها إلى أن حكم الأمـير بالمنطقة لم يسـتقر إلا بعد معاهـدة التافنة وقيـام الأمـير بزيـارة المدية ثانية بعد تلك الـتي كـانت في 22 أفريل 1837. مركّـزا على أن الأمـير حافظ على النمط الاجتمـاعي القـائم فـــأبقى على القبيلة تحت حكم قائد معيّن من أحد خلفائه وقسّم كل قبيلة إلى فرق وكل فرقة إلى دواوير.[1]

ولم يتجاهل أوربان الإشارة إلى القبائـل(*Tribus*) الـتي تسكن الإقليم، فتطرّق إليها بإسهاب مبينا مواقعها وحـدودها وفروعها، وقسّمها إلى :

1- قبائل التـــل: وأحصى بها أربع عشـــرة قبيلة وهي : بنو حسّـان، حسـان بن علي، بنو بويعقـوب، وزرة، العمـري(*Ouamri*)، عمورة، ريغـا، هـوارة، أولاد عنـتر، أولاد هلال، أولاد لعور، عريب، الحناشة، موزاية.

2- قبائل شرق الإقليم: وأحصى بها ثماني عشرة قبيلة وهي: الربايعـة، أولاد علان، الصـحاري (*Sahri* واسـمها مشـتق من الصحراء على لسان أوربـان)، العـذاورة، أولاد سي احمد بن يوسـف، جـوّاب، أولاد فـاهرة، أولاد بوعريـف، أولاد دريس، أولاد سي عـامر، أولاد بركـات، أولاد سـلامة، أولاد عبد اللـه، أولاد سي موســـى، أولاد سي علي بن داود، أولاد ســـيدي هجرس، أولاد سيدي عيسى.

3- قبائل القبلة: وعدّ بها أربع عشـرة قبيلة وهي: أولاد هـديم (*Hédim*)، أولاد حمزة، امفاطة (*Emfata*)، أولاد مَعْـرَف، دايمة السواري (*Déimat souari*)، التيطري (قبيلة)، أولاد دعيّد (*Daid*)، الزنـاخرة (*Zenakhera*)، أولاد أحمـد، العبادلية (أولاد سي عبد الله)، الرحامنية، أولاد مختار، المويعدات.

4- قبائل المخزن: وتضم قبيلتين هما الدوابر والعبيدات.[2]

---

[1] - المصدر نفسه. ص 404 – 406.

[2] - المصدر نفسه. ص 406. ينبغي أن نذكر هنا أن أسماء هذه القبائل هي ترجمة لما ورد في كتابات أوربان، ولذلك قد تحتمل بعض الأخطاء من حيث نطقها ومن ثمة كتابتها ربما كتابة غير صحيحة، باستثناء ما ورد منها في كتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر للدكتور سعيدوني أو بعض ما توصلنا إلى تسميته الصحيحة عن طريق بعض أصدقائنا من أبناء تلك المناطق.

4 - التقارير

علمنا أن أوربان كان قد كتب لمسؤوليه الذين نشروا ذلك تحت أسـمائهم الخاصّـة، وقد انتهى بنا البحث إلى اكتشـاف ثلاثة تقارير، وكم سعينا جاهدين للعثـور عليها ولكننا لم نصل إلا إلى تقرير واحـد، وهو تقرير كتبه أوربـان ونشـره وزير الحربية السيد "رونو دو سان جون دانجلي" " *Renaud de saint-jean D'angely*" بجريـدة المرشد بتـاريخ 25 جـانفي 1851 تحت عنـوان "تقرير آنجلي حـول حكم وإدارة القبائل العربية بالجزائر " *Rapport sur le gouvernement et l'administration des tribus arabes de l'Algérie*." [1] وكان أوربـان قد أخبرنا بأنه هو صـاحب هذا التقرير بقوله : " وأود أن أشـير إلى التقـارير الـتي كنت أحرّرها والـتي تمضى باسم وزراء الحربيـة، كـالتقرير الـذي أمضاه آنجلي والذي يوضّح الصورة حول القبائل بالجزائر، أو التقرير الذي أمضاه راندون حول العمليات العسـكرية لسـنة 1851 في شرق منطقة القبائل، وتقرير ثالث أمضاه فايان".[2]

والعناوين الأصلية لتلك التقارير هي كالآتي:

1- آنجلي. تقرير حـول حكم وإدارة القبائل العربية بـالجزائر *Rapport sur le gouvernement et l'administration des tribus arabes de l'Algérie*

---

[1] - آنجلي. **<u>تقرير حكم وإدارة القبائل العربية بالجزائر</u>**. صادر عن وزارة الحربية بباريس. 1851. *Ministère de la guerre. Angely.* ***<u>Rapport sur le gouvernement et l'administration des tribus arabes de l'Algérie</u>***.. وقد جاءت النسخة الأصلية لهذا التقرير في 91 صفحة. ينظر: أوربان. السيرة... مصدر سابق. ص 49.

[2] - الماريشال فايان هو جون بابتيست فيليبار فايان "*Jean-Baptiste Philibert Vaillant*" من مواليد 1790 عمل في ظل الإمبراطورية الثانية في رتبة ماريشال وعيّن وزيرا للحربية بين 11 مارس 1854 و05 ماي 1859 كما عمل إلى جوار الإمبراطور في غرفته خلال السنوات العشر الأخيرة من عمر الإمبراطورية أي بين 1860 و 1870. وبعد سقوطها نفي إلى إسبانيا. توفي سنة 1872.

2- راندون. تقرير حول العمليات العسكرية لسنة 1851 في شرق منطقة القبائل *Randon. Les Opération militaires dans la Kabylie Orientale en 1851.*

3- تقرير أمضاه الماريشال فايان " *Vaillant*" لم يذكر أوربان عنوانه.

وقد جاء تقرير آنجلي على ست صفحات من الجريدة المذكورة بداية من صفحتها الأولى، أمضاه وزير الحربية آنجلي كما علمنا. وهو موجّه إلى رئيس الجمهورية لويس نابليون بونابرت لوضعه في الصورة تجاه كيفية التعامل مع القبائل العربية حكما وإدارة، وقد أشار المتن إلى أن هذا التقرير تم تحريره بباريس في 23 جانفي 1851.

حمل هذا التقرير صبغة وصفية لبعض ما تعلّق بشؤون حكم وإدارة القبائل الجزائرية (الأهلية) منذ الاحتلال وإلى غاية 1851، ووجدناه شبيها إلى حد بعيد بما أشار إليه أوربان في كتاباته التي أشرنا إليها سابقا، ولذا رأينا تجنّب التكرار إلا فيما نرى ضرورة لذكره. وأول ما ركّز عنه هو دعوة رئيس الجمهورية إلى وضع القبائل الأهلية تحت الحكم المباشر للسلطة الفرنسية بواسطة مسؤولين فرنسيين أو بعض الجزائريين الذين هم في خدمة الإدارة الفرنسية.[1]

ودلنا هذا التقرير على مساحة الجزائر التي قدرها بـ 390.9 ألف كلم^2، تبلغ مساحة التل منها 137.9 ألف كلم^2 أما الصحراء على مساحة 253 ألف كلم^2. مشيرا إلى أن عدد سكان الجزائر يقدر بـ 03 ملايين نسمة. موزّعة على الشكل التالي:

1- ولاية الجزائر: تتشكل من 290 قبيلة على مساحة 113 ألف كلم^2 وبتعداد سكاني بلغ 900 ألف نسمة.

2- ولاية وهران: تتشكل من 275 قبيلة على مساحة 102 ألف كلم^2 وبتعداد سكاني يضم 600 ألف نسمة.

3- ولاية قسنطينة: تتشكل من 580 قبيلة على مساحة 175 ألف كلم^2 وبتعداد سكاني بلغ 1.3مليون نسمة.

وقد أشاد التقرير بصورة غير معلنة بالجهود التي تبذلها المكاتب العربية في الجزائر فهي التي تراقب تحرّكات الأهالي لا سيما رجال الدين منهم،كما تقوم أيضا بجباية

[1]- أوربان. تقرير 1851 بإمضاء آنجلي. ص 01.

الضرائب " وتسهر على السّير الحسن للإدارة وتزود الحـاكم العـام بتقاريرها الشـاملة حـول مختلف الجـوانب السياسـية والإدارية وقضـــــــــايا الحكم والإدارة العليا للقبائل الأهلية بـــالجزائر".[1] كما يستشف من التقرير أن المكـــاتب العربية هــذه قد أحكمت ســيطرتها على القبائل في الجزائــر، ففي ولاية وهران بيّن أن فرنسا قد وضـعت يـدها على كل القبائل فيها حين ربطتها بالمكـــاتب العربية الـــتي قـــدّرها التقرير بعشـــــرة مكـــــاتب، أربعة منها من الدرجة الأولى أي تلك المنتشـــرة بالقســـمات، وأربعة من الدرجة الثانية أي تلك المتواجــدة بالــدوائر. أما ولاية الجزائر فتضم هي الأخــرى عشـرة مكـاتب عربية شـطرها من الدرجة الأولى وشـطرها الثـــاني من الدرجة الثانيـــة. كما أطلعنا التقرير على تسع مكـاتب عربية بولاية قسـنطينة ثلاث منها من الدرجة الأولى وستة من الدرجة الثانية. وكل تلك المكاتب مرتبطة بمديرية الشــؤون الأهلية وهي الإدارة المركزية أو المكتب السياسي الموجود بالجزائر.[2]

ويمكن أن نحدد تنظيم تلك المكاتب على الشكل التالي:

مديرية الشــؤون الأهلية والــتي هي الإدارة المركزية أو المكتب السياسي (الجزائر)		
إدارة الشـــؤون العربية العاصمة	إدارة الشـــــؤون العربية قسنطينة	إدارة الشـــؤون العربية وهران

[1] - المصدر نفسه. ص 02. ومن الذين وجدت فيهم فرنسا القابلية للعمل معها، إضافة لبعض القبائل الجزائرية المنضوية تحت لواء فرق جيش الاحتلال كالصبايحية مثلا... ، نجد الموظفين في وظيفة آغا العرب ومنهم على سبيل المثال حمدان بن أمين السكة الذي عمل مع الجنرال بورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 وهو ما جعله في أعين الجزائريين رجلا حقيرا. ولما أصبح قليل التأثير أنهت الإدارة الفرنسية مهامه وعوضته بأحد الفرنسيين الذي هو المقدم ماراي مونج "*Marey Monge*" في منصب آغا العرب، فكان بذلك أول فرنسي يتولى إدارة القبائل الجزائرية بصفة مباشرة. وهذا النمط هو الذي أراد أوربان العودة إلى توظيفه. يراجع في ذلك: صالح فركوس. **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد. 1844 – 1871**. منشورات جامعة باجي مختار. عنابة. الجزائر. 2006. ص 13 – 14.

[2] - أوربان. التقرير. ص 02 – 03.

مكـــــاتب عربية من الدرجة الأولى بالقسمات ↓	مكــاتب عربية من الدرجة الأولى بالقسمات ↓	مكـــــاتب عربية من الدرجة الأولى بالقسمات ↓
مكـــــاتب عربية من الدرجة الثانية بالدوائر	مكــاتب عربية من الدرجة الثانية بالدوائر	مكـــــاتب عربية من الدرجة الثانية بالدوائر

السّـــــلّم الإداري لهيكلة هيئة المكـــــاتب العربية الفرنسية بالجزئر.[3]

[3] - اعتمدنا هذا الجدول من كتاب الدكتور فركوس السالف الذكر مع تصحيح بعض الأخطاء المطبعية. مع الإشارة إلى أن صالح فركوس ينسب هذا التقرير إلى آنجلي طبعا. ومن خلال بحثنا هذا تبيّن أن هذا العمل هو في حقيقة الأمر من إعداد أوربان بينما اكتفى آنجلي بإمضائه فقط.

الفصل الثّالث

دراسة أفكـــار أوربـــان (تحليل واستنتاج)

1- إدارة وفهم المجتمع الجزائري.
2- ملكية الأرض أو قانون سيناتوس كونسيلت 22 أفريل 1863
3- الأحـــوال الشخصـــية أو قـــانون ســـيناتوس كونسيلت 14 جويلية 1865
4- في الجانب الزراعي
5- في المواصلات
6- في الجانب الثقافي

إن التّطرّق إلى مثل هـذه الأفكـار وما تـرتّب عنها من أعمـال من الصـعوبة بمكـان، ذلك أنه لا يمكن حصـرها مهما حاولنا جاهــدين في ذلك لأننا لا نمتلك الوثــائق الــتي يمكننا الاعتمــاد عليها في نسب ما أمكن من الأعمــال إلى أوربــان نســبا لا يعتريه شــك، هــذا من جهــة، ومن جهة أخــرى نــودّ الإشارة هنا إلى أن الاسترسـال في جمع الأعمـال الفرنسـية بالجزائر خلال الفترة المدروسة هذه يجعلنا أقرب إلى نسب لأوربــان ما ليس من حقه الاســتئثار بــه، باعتبــار أن التيــار السانسـيموني لعب دورا مهما آنـذاك وأن أوربـان كـان أحد رواده. ولذا حاولنا الاقتصـار على ما رأينـاه من أعمـال ناتجة عن اقتراحـات أوربـان شخصـيا والـتي تركـزت حـول كيفية تثبيت إدارة الاحتلال.

1- إدارة وفهم المجتمع الجزائري:

الملاحظ على أوربان من خلال كتاباته أنه لا يعترف بوجود مجتمع جزائـري فيصـفه تـارة بـالجبليين وتـارة بالرّحّل ومـرة

أخرى بالعرب والبربر،[1] وحكم عليه حكما قاسيا تمهيدا لمدح الاحتلال الفرنسي على ما أنعم عليه من نعمة الحضارة ، على حد قوله. ذلك أنه حكم على المجتمع الجزائري بأنه متخلف عن الحضارة بقرون، داعيا المعمرين إلى التأثير والحذر من التأثّر، من خلال ما يتميّزون به من خصائص تبرز تفوقهم كالفوارق الكبيرة بين حالتهم الاجتماعية وبين الحالة الاجتماعية للأهالي. ولذلك تساءل أوربان عن الكيفية التي يُخرج بها الجزائر (المتخلفة بقرون) من خطر الوقوع في التوحش والبدائية ثانية فقال :" كيف يمكننا أن نُلحق هذا المجتمع المسلم بالحضارة؟... وكيف يمكن أن نبعد إفريقيا (الجزائر) المتخلفة بقرون عن خطر الوقوع في البدائية ثانية؟ فلنفهم الواقع جيدا لنبحث عن طبيعة المجتمع المسلم الذي نريده".[2]

ففي هرم السلطة رفض أوربان تقليد الحكم العثماني بالجزائر الذي يراه كغيره من أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية، حكما تيوقراطيا يتمتع فيه الحاكم بالسيادة المطلقة، والإرادة التنفيذية والساهر الأول على تطبيق تعاليم الشرع، والقرآن الكريم فيه هو مصدر التشريع وعلى ضوئه تبنى السياسة فقال في ذلك :" ... الحكومات التيوقراطية هي النموذج الذي تتبعه الدول الإسلامية في حياتها السياسية فشيخ الإسلام هو الحاكم وهو الذي بيده السلطة المطلقة وبالتالي التصرف المطلق في شؤون الدولة، كما أنه الساهر الأول على ترجمة تعاليم القرآن الكريم على أرض الواقع".[3]

كما انتقد أوربان، في الوقت نفسه، إدارة الاحتلال بشدّة معتبرا إياها قد عجزت عن تغيير الكثير من هذه الخصائص.

---

[1] - كان وارني قد سار في مثل هذا الطرح حين اعتبر أن الجزائريين (الأهالي كما يسميهم) كانوا على شكل قبائل ولم يتمكنوا من إنشاء وطن لهم، ومن ثمة ينطلق في محاربة الوطنية لديهم. إلى هنا يتفق مع أوربان ثم يختلفان حين يرى وارني أن سياسة المملكة العربية أو المكاتب العربية هي حرية إدارية للأهالي وأداة هامة لتحقيق الجزائر الجزائرية. كما رأى أن المملكة العربية تخدم العسكريين وموظفي المكاتب العربية ولا تخدم المصلحة الفرنسية. يراجع في ذلك: وارني. **الجزائر أمام الإمبراطور**. *Warnier. **L'Algérie devant L'Empereur**. Librairie challamel. Aîné. Paris. 1865. p05.*

[2] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 28.

[3] - المصدر نفسه. ص 28.

فأشار إلى " إن شـرف فرنسا ليس في مزيد من الهـدم ولا في
مصادرة ممتلكات الأهالي وإنما في الإرادة المثلى وإلحـاقهم بالمدنية من خلالنـا". داعيا فرنسـا، من أجل ذلـك، إلى أخذ هـذه المهمة مأخذ الجد والاسـتعداد لها اسـتعدادا بليغا حين ضمّن ذلك في قولـه:" وبفعل عـدم التنظيم الـذي كـان عليه الغـزاة الفـاتحون (الفتوحـات الإسـلامية) كسب الأهـالي الرهان في العديد من المرّات".[1]

كما رفض أوربان أن تقلّد فرنسا جانب القوة والبطش الإداري العثماني الذي كان سائدا بـالجزائر من خلال القومية وقبائل المخـزن حسب رأيـه. فقـال حين أشـار إلى مجـزرة العوفية التي ارتكبتها فرنسا:" إن فرنسا ليست مسـتعدة أن تنجر وراء الأتـراك لأخذ كيفية الحكم".[2] في إشـارة منه إلى اتفاق ذلك التنظيم (العثماني) مع النظرة الفرنسية المطبّقة في بداية الاحتلال والـتي كـان أوربـان يـدعو إلى ضـرورة تغييرها بنوع من رد الاعتبـار للجزائـريين. إذ أن فرنسا كـانت قد سـارعت مع بداية الاحتلال إلى إنشـاء الكتـائب الأهلية الخادمة لها على إثر قـرار الجـنرال كلوزيل في 01 أكتـوبر 1830، وهو ما يعود إليه أوربان ويؤكّده بنفسه فقـال :" كـان النظـام العثمـاني يعتمد على قبائل المخـزن، في حين اعتمد الأمير عبد القادر على تنظيم القبائل وجعلها في صفّه وكذلك فعل أحمد بـاي، أما نحن فلابد أن نعتمد على تكـوين الفيـالق الأهلية المجنـدة لخـدمتنا بصـفة رسـمية".[3] ثم يؤكد ذلك فيقـول:" وكـان علينا إحيـاء نظـام الأتـراك المتمثل في استغلال القبائل العسكرية للقبائل الأخرى".[4] وكـان من ذلك أن ظهر أول فيلق للـزواف وتلاه فيلق القناصة الجزائـريين *Chasseurs Algériens* وفِـرق " درك المـور(الأهـالي)"، والصبايحية.[5] ويمكن استخلاص دورها مما كتبه أوربان :" لقد

---

[11]- أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 59.

[2] - أوربان. الجزائر الجزائرية. مصدر سابق. ص 37.

[3] - المصدر نفسه. ص 83.

[4] - المصدر نفسه. ص 83.

[5] - كان فيلق الزواف فيلقا جزائريا بحتا ثم مختلطا على عهد النقيب لامورسيير سنة 1833 حيث ضم فرقتين من الفرنسيين وثماني فرق من الأهالي. وفي 20 مارس 1837 أنشئت الفرقة الفرنسية الثالثة. وابتداء من

أعطينا للرمـاة الأهـالي وفـرق الصـبايحية دورا هاما من أجل تثــبيت ســيطرتنا بــالجزائر. لا نتكلم عن دورهم في ســاحة المعركة أو ككتـائب منظمة فحسـب، بل كـان لهم دور كبـير في حملتنا على القــرم وإيطاليــا،[1] كما أبــدعوا في الحــروب بأوربـا... وكـان نفعهم بـالجزائر مستفيضا دوما حيث شـكلوا الصــفوف الأولى في كل المعــارك الحرجة الــتي أحــاطت بالجنود الفرنسيين".[2] و" كثيرا ما حققت هـذه الفيـالق تحت

1841 أصبحت فيالق الزواف فرنسية بحتة. أما جيش القناصة الجزائريين فتأسس في 07 ديسمبر 1841 بمعدل جيش في كل مقاطعة، وأصبح يضم سنة 1852 08 كتائب ثم ما فتيء أن ارتفع عدده في 09 جانفي 1855 إلى جيشين في كل مقاطعة يضم كل واحد 08 كتائب. وفي الأخير استقر العدد عند ثلاث كتائب بوهران وأربع بالعاصمة ومثلها بقسنطينة. أم الدرك فكان في باديء الأمر فرنسيا بحتا حين نزل 113 دركيا مع الحملة سنة 1830 وارتفع عددهم إلى 193 سنة 1835 لا سيما على الساحل في الجزائر وبجاية ووهران. أما فرقة درك المور وهي الخاصة بالجزائريين فأنشئت في 31 أوت 1839 بأربع فيالق بها 708 من ضباط ودركيين (كان الضباط فرنسيين)، ومع 03 أكتوبر 1860 صدر في شأنهم قرار ينص على توظيف مساعدين من الأهالي بهذه الفيالق على ألا يتجاوز عددهم الاثنين في كل كتيبة. أما الصبايحية فهي القبائل التركية والعربية التي خدمت الإدارة العثمانية واعتمدت عليها إدارة الاحتلال في بسط سيطرتها. لمزيد من الاطّلاع ينظر: الحكومة العامة بالجزائر. **جيش إفريقيا 1830 – 1930. التطور والأزياء**. تقديم الماريشال فرانشي ديسبيري (المحافظ العام للاحتفالات المئوية بالجزائر). *Gouvernement général de l'Algérie.* ***L'Armée d'Afrique 1830 – 1930 son évolution, ses uniformes****. Préface du Maréchal Franchet-D'Esperey.*

[1] - معلوم أن القارة الأوربية قد شهدت ثورات عديدة منذ أن شعرت شعوبها باستبداد ملوكهم، بعد تفتحها على الديمقراطية وحقوق الإنسان التي انتقلت إليها من فرنسا بعد نجاح ثورتها سنة 1789، والتي كانت تحمل شعار المباديء الحرّة: حرية، أخوة، مساواة. وقد عرفت تلك الثورات بثورات 1830 و 1848 في أوربا. وحين هدد البابا الثوار الجمهوريين برفضه الحرب ضد النمسا التي تحتل بعض الولايات الإيطالية خوفا من انفصال النمسا عن كنيسة روما الكاثوليكية خاصة وأنه الساهر على وحدة المسيحيين، اضطر البابا إلى الاستنجاد بفرنسا مستغلا استعداد رئيس الجمهورية الفرنسية لويس نابليون لدعم الكاثوليكيين المؤيدين لحكمه " فجهزت فرنسا جيشا أرسلته إلى إيطاليا فاحتل مدينة روما في جوان 1849 وأعاد البابا إلى عرشه بعد طرد الجمهوريين". ينظر كتاب: عبد العزيز نوار وعبد المجيد النعنعي. التاريخ المعاصر. **أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**. دار النهضة العربية. 1973. ص 223. كما أن فرنسا قد شاركت في حرب القرم 1854 – 1856 حين اندلعت الحرب بين روسيا الطامحة إلى مزيد من التوسّع والبحث عن الوصول إلى البحر المتوسط وبالتالي تهديد سواحل

قادتنا انتصـارات لصـالحنا على حسـاب القبائل الأهلية دون مشاركة كتائبنا إطلاقا".[1]

دعا أوربـان إلى تحقيق التعـايش بين الجزائـريين والمعمـرين لإقامة شـعب واحد متشـارك تحت السـيادة الفرنسية، فصرّح أن الجزائر شهدت قبل الفتح تعددا عقائديا من مسـيحيين أرثـوذكس، ويهـود، وأغلبية وثنيـة، إلا أنهم اعتنقوا الإسلام جميعـا، في الـوقت الـذي لم يريـدوا اعتنـاق الحضـارة الفرنسـية اليـوم. والسـبب في ذلك هو أن المسلمين آنذاك " نجحوا لأنهم أرادوا النجاح (أي أنهم كانوا قـدوة)، فكل المسـلمين سـواء القـادة منهم أو الجنـود كـان طموحهم واحدا هو تحقيق انتصار الدين الجديـد".[2] وفي ذلك دعوة إلى إقناع الجميع أهـالي ومعمـرين إلى ضـرورة العمل من أجل هدف واحد هو تحقيق الازدهار في حضارة بخصائص فرنسية. مذكّرا أن عـدم تمكّن فرنسا من تحقيق الكثـير في الجزائر يعـود أساسا إلى أن " الفرنسـيين بـالجزائر غـير مهتمّين بمهمة التمدين التي يقومون بها، ويعـاملون الأهـالي كمنهزمين واقعين تحت الضـغط والسـيطرة، ولم يعـاملوهم كمواطـنين ملحقين بفرنسـا".[3] فـدعا الحكومة إلى الحكمة والتبصّـر والاسـتفادة من تجـارب الآخـرين مشـيرا إلى إن المنهج الأجـدى لبسط الحضـارة الفرنسـية هو " أن نحبهم (الجزائريين) ونقدرهم ونحفظ كرامتهم وعـاداتهم ولا نطعن في دينهم ولا في مقدسـاتهم فنصل إلى كسب ثقتهم

شمال إفريقيا مما يهدد مصالح فرنسا وبريطانيا بالمنطقة وبين الدولة العثمانية الضعيفة. ومع حسم روسيا المعارك الأولى لصالحها اضطرت فرنسا وبريطانيا إلى نجدة الدولة العثمانية، فهُزمت روسيا في معركة سيباستوبول (ميناء بالبحر الأسود) في سبتمبر 1855، وفرض عليها المنتصرون التزام حدودها. وإننا لا ندري الآن دور الجزائريين في تحقيق هذا الانتصار الفرنسي الذي أشار إليه أوربان، وهو أكيد موضوع جدير بالدراسة والبحث لما يخدم به تاريخنا الوطني. معلومات هذه الفقرة عن نوار ونعنعي. المرجع نفسه. ص 237 – 238.

[2] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 84 – 85.

[1] - المصدر نفسه. ص 88.

[2] - المصدر نفسه. ص 125.

[3] - المصدر نفسه. ص 125.

فيسـمعونا ويقلّـدونا" وذلك بعد أن اعـترف بـأن الأهـالي يكرهون الحضارة الفرنسية كرها شديدا.[1]

وحفاظا على الجزائر فرنسية جاءت اقتراحات أوربان الـتي يـدعو الإدارة فيها إلى ضـرورة التحكّم في الأهـالي (الجزائريين) واضحة في مختلف كتاباته لا سيما حين كتب:" إن هـذه الدراسة (الخصـائص الـتي يقـدمها عن المجتمع الجزائـري) أريـدها حصـانة لنا من السـقوط في المطبّـات، فالنظام الذي نتبعه ليس نفسه مع كل الإثنيـات (الجزائريـة) إذ لا نصل إلى تحقيق أهـــدافنا مع الجميع بتطـــبيق نفس الاستراتيجية"[2]. ولذلك نصح بتطبيق الإجراءات التالية:

أ-*- تقسـيم القبائل إلى دواويـر: وذلك حـتى تتمكّن الإدارة الفرنسـية من الوصـول إلى الملكية الفردية الـتي اسـتحدثتها، ومن ثمة تسـهيل عملية تحويلها إلى المعمـرين، ولا نجد هنا أحسن ما نستدل به من مقولة الإمـبراطور نفسه في رسالة 1863 والتي هي من أفكـار أوربـان كما رأينا " إننا قد تأخرنا، ولا بد أن نقسّم القبائل إلى دواوير لتمكين الإدارة من الوصول إلى الملكية الفردية".[3]

ويمكن اعتبار أهم ما صدر في مجال تفكيك الملكية من جماعية إلى فردية هو ما صـرّح به الإمـبراطور بنفسه في خاتمة رسـالة 1863 بقوله :" ... إنـني أكلّف الماريشـال رانـدون بتحضـير مشـروع سـيناتوس كونسـيلت فيما يخص الجـزء الأساسي الـذي سـوف يعيد القبائل إلى شـتات وإلى ملاّك ظـاهريين لأراض كـانوا يملكونها بتـوطّنهم عليها واستقرارهم المتوارث بها".[4]

ب-*- تفتيت الأسر العريقة: نصّـت كتابـات أوربـان على وضع العناصر الخطرة تحت الرقابة الأمنية لأجهـزة المكـاتب العربية فقـال :" كل القـوى الحيّة في المجتمع لابد أن نروّضها لتقبّل سيطرتنا شاءت ذلك أم أبت من رجـال الـدين الـذين يشـكّلون فئـات المقاومة أو المحـافظين الحاقـدين

---

[1] - المصدر نفسه. ص 125.
[2] - المصدر نفسه. ص 27.
[3] - رسالة 1863. مصدر سابق.
[4] - المصدر نفسه.

علينـا".[1] مقلّـدا العثمـانيين فقـال :" وكل الضـربات الـتي وجّهناها لهم (الأهـالي) منذ الاحتلال كـانت ترويضا لهم على تقبّل القوّة مثلما خضعوا لها تحت سلطة الأتـراك".[2] كما دعا إلى دحر السكان إلى الصـحراء إبعـادا لزعمـائهم عن التـأثير على عامة الشــعب حــتى تتجنب فرنسا المقاومــات الــتي أرهقت كاهلهـا. وهي الأفكـار الـتي دعّمتها فرنسا بمزيد من الإذلال والتبعية على الجزائريين بالإفقار عن طريق مصـادرة الأرضي وفــرض الضــرائب العربية المرهقــة. وكل ذلك من أفكــار أوربــان كما مر بنــا. وقد خصّ أوربــان تفــتيت الأسر النافذة من أرسـتقراطيين وعسـكريين وأسر عريقة سـابقة، وذلك بتعويضها بشيوخ وقبائل أخـرى من اختيـار فرنسا بنـاء على مدى الإخلاص في خدمتها فقال :" إن الحياة العسـكرية في إطار الفيالق المنضوية رسميا تحت الإدارة الاســتعمارية تشكّل محطة تجريب لاختيار شيوخ القبائل والقياد والأعــوان الأكفــاء الــتي تحكم الكتــائب الأهليــة... فنقلّص بــذلك نفــوذ الأرســتقراطيين العســكريين بنفس الــدور الــذي قلّصت به الإصلاحات في مجال التعليم خطر رجال الدين".[3]

ومن أمثلة الأسر الـتي تشـتتت تلك الـتي تـؤول إليها مشيخة القبيلة، والأمثلة في ذلك كثيرة " فقد تـدهورت حالة عـائلات كـانت قبل 1830 غنية برجوازيـة، ومن ذلك العـائلات التاليــة: آل يحــيى آغــا، وآل الكبــابطي، وآل الســاجي، وآل الجيّـار، وآل بن قشـوط، وآل عمر القـبي، وآل بن سيسـني، وآل العمــالي، وآل ابن العنــابي، ويمكن أن نضـيف إليهم آل خوجة وآل ابن مرابط، وآل مصطفى باشا،...".[4]

ما يهمّنا من ذلك الآن هو ضرب الملكية الجماعية والعمل على تحويلها إلى ملكية فردية فتســـــــــهل عملية انتقالها للمعمـــرين وخاصة الفرنســيين منهم، ومن ذلك ما ورد في رســـــالة 1863 :" يجب أخذ أرض القبيلة وتقســـــيمها على شعوبها (الفرق والدواوير) على أن يتـدرج الـولاة في عملية

---

[1] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 38.

[2] - المصدر نفسه. ص 86.

[3] - المصدر نفسه. ص 89 – 90.

[4] - سعد الله. الحركة ج1 ق1. المرجع السابق. ص 93. اعتمادا على أوغسطين بيرك " البرجوازية الجزائرية" بمجلة هيسبرس. 1948. ص 17 – 18.

تقســيمها على كل الأفــراد وتمليكها إيــاهم ملكية مطلقة فيتصرفوا فيها بحرية كما يشاءون ".[1]

وقد تركت هذه السياسة آثارا وخيمة، فمن جـرّاء هـذا التفكك أصـبح أحفـاد العـائلات الأرسـتقراطية المشـار إليها سـابقا في أمسّ الحاجة إلى المسـاعدة بعد فقـدان الأرض والثروة وتعمّد إدارة الاحتلال إفقارها وإذلالهـا، فتحـوّلت إلى عائلات يمدّ أبناؤها أيـديهم إلى المسـتعمِر بغية المسـاعدة " فهـذا حمـودة الفكّـون (بن شـيخ الإسـلام) بقسـنطينة الـذي كانت لعائلته أموال طائلة تضرب بها الأمثال كتب سـنة 1852 إلى الحــاكم العــام رانــدون يلفت نظــره إلى وضع عائلته السّيّء، وهذا حسن بن الباي السابق لقسنطينة علي إنكلـيز يطلب أيضا من رانـــدون أن يعيّن له معاشا يعيش بـــه... . ونفس الطّلبات والشـكاوى قـدمها بعض كبـار الأمس أمثـال علي بن عيسى (قائد جيش أحمد بـــاي) ومحمد مـــزوار الشــرفاء في مدينة الجزائر ومــرابطي وأشــراف بجايــة.... وزوجتَيْ أحمـد، بـاي قسـنطينة تطلبـان سـنة 1851 الإنعـام عليهما براتب من السلطات الفرنسية".[2]

جـ-*- تأسيس المحتشدات (الكانتونات): لا نــدّعي هنا بأن أوربان كان وراء سياسة المحتشدات وإنما يستشـفّ من كتاباته أنه كـــان ضـــدّها، خاصة حين قـــال:" إن سياسة الكانتونات مستحيلة التطـبيق".[3] ومع ذلك اعتمـدناها هنا لأن أوربـــان دعا إلى سياسة التهدئة ومراقبة العناصر الخطـــرة وإخماد المقاومة وفصل قواعـدها الشـعبية عنها كما مـرّ بنـا. فكيف تتم التهدئة وفصل القواعد الشـعبية دون اللجـوء إلى سياسة المحتشـدات الـتي رآها رانـدون (الـذي كـان يَعتـبر أوربان خبـيرا بالشـؤون الأهليـة) خـير وسـيلة لـذلك. كما أن سياسة المحتشــدات هــذه هي طريقة أخــرى تخفي وراءها دهاء المنظرين الفرنسيين الذين وجدوها أيضا جـزءا من حل

---

[1] - رسالة 1863. مصدر سابق. وينظر أيضا: عميراوي. من تاريخ الجزائر الحديث. مرجع سابق. ص 80.

[2] - سعد الله. الحركة ج1 ق1. المرجع السابق. ص 390 – 391. رغم أن إحدى زوجتي أحمد باي هي أخت حمدان بن عثمان خوجة واسمها "خدوجة"، والأخرى وهي بنت محمد بن قانة شيخ العرب بالزيبان وهي "الدايخة"، فكلاهما من عائلتين ثريتين. المرجع نفسه. ص 391.

[3] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 118.

مشكلة انتقـال الأراضي من الأهـالي إلى المعمّـرين، إذ حين يجمّع الأهالي في المحتشدات يُسمح للمعمـرين بالاسـتحواذ على جـــزء هـــام من أراضي الأهـــالي تســـتغلّه الإدارة الاستعمارية في التمكين للاحتلال وبناء المستوطنات.

وقد جاءت الدعوة إلى تأسيس المحتشدات بعد أن سال لعــاب نــابليون ومنظّريه طمعا في خــيرات الجزائر الــتي وصـفها بقولـه:" أرض الجزائر لا تـزال واسـعة والـثروات بها معتـــــبرة، فهي تحـــــوي كل مريد للعمل كل حسب قدراته وعاداته واحتياجاتـه..." ووصف أهلها فقـال:"... هـذا العـرق (الأهالي) أذكياء وواثقون من أنفسهم، ومحاربون وفلاحّون". فقد وصف الجزائر أرضا ومجتمعا بصـــــــفات تحمل أسس الحضارة، وذلك ما يتفق مع آراء أوربان الذي اعتبر، من قبل، منجـزات الجزائـريين عـبر التـاريخ أهم بكثـير من منجـزات فرنسا في حد ذاتها فقــال :" لابد لفرنسا أن تتجــاوز فكــرة احتقــار الأهــالي إذ لابد أن تعلم جيــدا أن التطــوّرات الــتي حصـلت على هـذه الأرض المسـلمة لم تحصل على أرضـها. وإنما عليها أن تفعّل حركة الأهالي وتثمّن مجهوداتهم للمضيّ قدما".[1]

د-*- دحر الأهـالي إلى الصـحراء: في إطـار السـيطرة على الممتلكـات دعا نـابليون في رسـالة 1863 صـراحة إلى دحر الأهـالي وإلجـائهم إلى الصـحراء فقـال :" لابد من دحر العرب إلى الصـحراء لأنه من غـير الممكن معـاملتهم كهنـود أمريكا الشمالية (يعني الإبـادة) لأن ذلك أمر مسـتحيل وغـير إنساني أيضا". وهـذا ما أكّدته كتابـات أوربـان الأخـرى. ومن الشواهد على ذلك رسالة 1865 التي أكّدت على:

1- ضرب العائلات العريقة من خلال زعزعة مكانتهـا، لأن في ذلك تفكّكا للقبائل والقضـاء الإسـلامي. فيتم بـذلك القضـاء على ثـوابت أصـيلة للأمة الجزائرية تحت غطـاء اسـتحداث ديمقراطية حيّة كما وصفتها الرسالة.

2- تســهيل عمليــات نقل ملكية الأراضي من الأهــالي إلى المعمرين.

3- كـراء الأراضي للأهـالي من أجل فلاحتها بنظـام الخماسة (؟).

---

[1] - المصدر نفسه. ص 15.

4- إبعاد الأهالي من السهول إلى الجبال. وفي ذلك طرد لهم من أراضيهم الخصبة وتمكين المعمرين منها.[1]

وذلك ما أشار إليه أيضا تقرير سنة 1851 حين أكّد كل تلك الإجراءات سواء ما تعلّق بالقضاء على نفوذ الأسر الكبيرة (النافذة) كما مرّ بنا، أو بضمّ أبنائها إلى كتائب الجيش الفرنسي للخدمة فيه، واستعمالها كأدوات طيّعة لبسط الاحتلال ضد القوى الوطنية الحيّة، وفي ذلك يقول :" يمرّ الأهالي أولا عبر فرق الزواف ثم الصبايحية ثم فرق الرّماة الأهالي فيقومون بواجباتهم بصفوفنا حيث يستكمل حسن السيرة لديهم وتزداد كفاءاتهم العسكرية، بل والكثير منهم قد تعلّم لغتنا... ولا توجد قبيلة إلا ولنا منها جنود، وهؤلاء هم الأداة التي نصل بها إلى زرع الأفكار التي نريدها في أوساط الأهالي. وهم القوة الفعّالة التي نحسّن بها طرق وثقافة الأهالي باعتبار أنهم يتكونون بالقرب من مستوطناتنا العسكرية... وشكلنا منهم قوة فعّالة بتعداد خمسة آلاف رجل، كما نستعملهم أيضا كمرشدين أثناء حروبنا". كما دعا أيضا إلى توظيف رجال الدين المتساهلين مع المستعمِر وهم الذين يسمّيهم " العناصر المتحرّرة الثائرة على التيار المحافظ" وهم (المتحرّرون) من صنع الاستعمار في حد ذاته.[2] مشيرا إلى دور المكاتب العربية في مراقبة الرأي العام الجزائري لاسيما رجال الدين منهم.[3]

---

[1] - رسالة 1865. مصدر سابق.

[2] - أوربان. تقرير 1851. مصدر سابق. ص 01- 04.

[3] - الملاحظ على كتابات أوربان اتسامها بالتكرار في طرح الأفكار كلما تجددت مناسبة الكتابة، ولذا وجدنا هذه الأفكار في كلا مؤلفيه الرئيسيين فيما يتعلق بالتنظير الإداري لفرنسا بالجزائر وهما هذا التقرير وكتاب الجزائر للجزائريين. وهذه الخلاصة وإضافة إلى ماهو مذكور في هذه الفقرة كلها هو عصارة أفكار أوربان في الجانب الإداري. وأود أن أشير هنا إلى محاولة فرنسا استغلال القبائل الجزائرية لخدمتها حين وضعتها تحت تصرّف المكاتب العربية، فكانت فرق (القومية) تقوم بعمليات التفتيش إلى جانب الجيش الفرنسي خاصة في المناطق الثائرة، إضافة إلى استعمالها في جباية الضرائب ومهمة استكشاف الطرق تمهيدا للحملات الفرنسية. ولكن لا ينبغي أن نتجاوز فكرة أن هذه القبائل كلها كانت محل ريبة وشك من إدارة المكاتب العربية، لعلمها أن ولاء هذه القبائل لها إنما هو وليد الضعف وليس القناعة. لمزيد من الاطّلاع على هذا الاستغلال الفرنسي للقبائل الجزائرية ينظر: فركوس. المرجع السابق. ص 31 وما بعدها.

كما دعا أوربان في إجراءاته الإدارية المتعلّقة بإخضاع الجزائريين إلى توظيف قدرات المكـاتب العربية الـتي أشـاد تقرير 1851 بـالمجهودات الـتي تقـوم بها باعتبارها السّـاهر الـرئيس على حسن سـير الإدارة الفرنسـية بـالجزائر، فهي التي تراقب الـرأي العـام الجزائـري وترفع في ذلك التقـارير إلى الحاكم العام وهي التي تشرف على جباية الضـرائب من الأهالي وهي التي تراقب حركات الثّوار ورجال الدين كما مرّ بنا.

ولا شك أن القاريء يقف أمام فكرتين متناقضتين تتمثل الأولى في دفـاع أوربـان عن الأهـالي، في حين تتمثل الثانية في تأييده للدور الـذي كـانت تلعبه المكـاتب العربيـة. ولعـلّ الجمع بين هــذين الفكــرتين المتناقضــتين تجعلنا نقــول أن أوربـان كـان يعتـبر الجزائـريين مواطـنين من الدرجة الثانية حينما يتعلّق الأمر بالمصلحة الفرنسية، ولذا كان يقول:" من حق الأهلي علينا أن نعـيره اهتماما أكـثر من ذلك المعمّـر"، وقال أيضا :" إنهم مثلنا عليهم كل الواجبات وكأهالي لهم كل الحقوق التي تؤهّلهم للتمدّن" ثم عاد وبيّن كُنْـهَ ذلك بقولـه:" على فرنسا أن تجعل مصـــلحة الأهـــالي في الدرجة الثانية مقارنة بالمصلحة الفرنسية".[1]

2- حـــول ملكية الأرض أو قـــانون ســـيناتوس كونسيلت 22 أفريل 1863:

رأينا من خلال هذا البحث أن أوربـان كـان قد دعا إلى إعداد قانون خاص بالأهـالي يضـبط لهم الحقـوق والواجبـات ويضعهم في الدرجة الثانية مقارنة بـالمعمرين. ومن بين تلك القـوانين الهامة الـتي جـاءت لتعـالج قضـايا الجزائـريين نجد المرسـوم المشـيخي سـيناتوس كونسـيلت الصـادر في 22 أفريل 1863 المتعلّق بملكية الأرض في الجزائـــر، والـــتي ضــربت فيها فرنسا كل ما كــان مألوفا عند الجزائــريين من قوانين شرعية تنظم الملكيّـة، ففي الـوقت الـذي كـانت فيه

أما فيما يتعلق بمراقبة المكاتب العربية للرأي العام الجزائري فنشير إلى ما كتبه أحد ضباط المكاتب العربية وهو السيد فرديناند إيغوني " *Ferdinand Hugonnet*" رئيس مكتب مدينة القالة المتمثل في :" لما كنت رئيسا بمصلحة الشؤون العربية بدائرة القالة كان همي الوحيد هو مراقبة الرأي العام للسكان والعمل على إخضاعه لتأثيري". يراجع: المرجع نفسه. ص 46.

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 68.

هذه الأرض ملكا للدولة (العثمانية) عن طريق المسؤولين أو قبائل المخزن وممن هم في خدمة السلطة العثمانية أو وقفا أو ملكا جماعيا تتخلله بعض الملكيـــات الفردية القليلة وفق أحكام الشريعة الإسلامية وكـان صـاحبها حـرّا يسـتغلها كيف شاء ومتى وفيما شـاء، عملت فرنسا على فرنسة كل شـيء معتقــدة " أن التحكّم في الجزائــريين وإخضــاعهم لنفوذها يتوقف على تحـويلهم من مـالكين إلى أجـراء يعملـون لتنمية ثروات المعمّرين الأوربيين".[1] فسـيطرت فرنسا على الأرض تحت حجج لا تقنعها إلا هي أو من والاهـــا، من مثل أنها هي وريثة العثمــانيين (الأتــراك) فلها الحق في الســيطرة على أملاك البايلك كما لها الحق أيضا في الســـيطرة على أملاك الوقف حـــتى لا تتحـــوّل إلى دعامة للجهـــاد، أما الأملاك الجماعية فاسـتعملت لها حجة معاقبة الثّـوّار على معـاداتهم للتواجد الفرنسي بالجزائر".[2]

ولا يستخلص من كتابات أوربان الشيء الكثير عن علاقته بصدور مرسـوم 22 أفريل 1863 وإنما يسـتنتج ذلك من خلال تطابق شبه كلّي بين مضـمون المرسـوم وبين ما كـان يـدعو إليه، فقد علمنا أن أوربـان كـان لا يحبّذ اسـتعمال القـوة في بسط السـيطرة على أراضي الجزائــريين، ولم يكن راضــيا بسياسة المحتشدات التي جاء بها راندون. وكان يـدعو لبقـاء الجزائريين على أراضـيهم لفلحها مع الاسـتفادة من الطـرق الزراعية الحديثة الــتي يَعْلمها المعمــرون، داعيا في الــوقت نفسه إلى تأســـــيس الملكية الفردية وإلى تحطيم التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائـري القائمة على القبيلة والعـرش واستبدالها بالدواوير تمهيدا، كما مرّ بنا، لبناء مجتمع جزائـري على الطريقة الفرنســية بحيث تحــلّ البلدية (الــتي تخلف الدّوار) محل القبيلة والعرش.

عالج أوربان قضية الملكية عند الأهالي بحذر كبير ولم يكن ثـابت المواقف بـاديء الأمر إذ أنه صـرّح بـأن "الملكية شيء مقدّس لدى الأهالي" وأن الأرض بالنسبة للأهالي هويّة أكثر منها قضية مادّيّة، وأن الملكية لا تخرج عن إحـدى الثلاثة

---

[1] -عمار بوحوش.**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**.دار الغرب الإسلامي.لبنان.ط1. 1997.ص136.

[2] - سعد الله. الحركة... ج1 ق2. مرجع سابق. ص 26 – 28.

أوجه فإما فردية أو جماعية أو حق تمتّع (بايلـك) وهي بـذلك غير قابلة للمصادرة. كما أبدى أوربـان اهتماما بليغا بالمعتقد الإســـلامي فيما يخص ملكية الأرض فـــاعتبر الخليفة حاكما باسم الله ومادام أن الأرض لله فإن الحاكم المسلم حـرّ في التّصـرّف في ملكيتهـا، حسـبه دائمـا. ومن هنا اسـتدلّ على أحقية الدولة العثمانية في ملكية البايلك وأن من حق فرنسا (الحـاكم الجديـد) أن يمتلك الأرض فحـوّلت بـذلك أراضي البايلك إلى مصـلحة الـدومين. وقـال في هـذا الشـأن :" إننا نرى بأن السـيطرة على الأراضي حق طـبيعي للحـاكم الـذي اتّجه لجمع الأراضي العموميـــــة".[1] كما ذهب إلى القـــــول أيضـا:"... إننا نـدعو إلى اسـتحداث الملكية الفردية ".[2] أي داخل الملكية الجماعية تيسـيرا لنقلها إلى مصـلحة الـدومين للتّصرّف فيها كما تشاء كما مرّ بنا.

وإذا علمنا أيضا تـأثير أفكـار أوربـان على سياسة الإمبراطور فباستطاعتنا أن نقول إذا إن الـرّاجح لـدينا هو أن أوربـان هو المهنـدس الرّئيسي لمرسـوم 22 أفريل 1863 إذا علمنا أن أهم ما جاء به هو:

1- الاعتراف بأراضي البايلك.

2- تحديد أراضي العرش ورسم حدودها.

3- إنشـاء الـدواوير تمهيـدا لإعلان البلـديات ذات الطـابع الفرنسي كبديل عن العرش.

4- إنشاء الملكية الفردية داخل الملكية الجماعية والاعـتراف بها.

أما أهداف المرسوم فيمكن حصرها فيما يلي:

1-" تسهيل مراقبة الجزائريين بأن تكون الإدارة الاستعمارية حاضرة في أصغر خلاياهم (الدّوّار)".

2-" تفكيك المجتمع والتحكّم في إحدى الخلايا الأساسـية فيه (العـرش) تمهيـدا للسـيطرة، وقطع الجـذور والأنسـاب والأصول تمهيدا لإنشاء الحالة المدنية".[3]

3- حول الأحـوال الشخصـية أو مرسـوم سـيناتوس كونسيلت 14 جويلية 1865:

---

[1] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 94.

[2] - المصدر نفسه. ص 35.

[3] - سعد الله. الحركة... ج1 ق2 .مرجع سابق. ص 36 – 37.

على عكس المرسوم السابق، فإن أوربان هذه المرة يشير بصفة مباشرة إلى مسؤوليته في ما جاء في مرسوم سيناتوس كونسيلت الخاص بالأحوال الشخصية فكتب يقول:" طلب مني الإمبراطور ومن السيد كونتي (*Conti*) إفادته بما يتعلّق بالمجالس الإسلامية قبل الاحتلال، وبعد نهاية العرض رأوا أن صيغة المعالجة الرئيسية لابد أن تتم في شكل قانون سيناتوس كونسيلت يعالج الأحوال الشخصية. وقد أثّرت أفكاري على الإمبراطور بدرجة كبيرة جعلته يطلب منّي الحضور للاتفاق حولها مع السيد روهر (*Rouher*) ومع السيد باروش (*Baroch*)، فالتقيت هذا الأخير في لقاء حميمي واستمع إليّ بكل احترام وتقدير وطلب مني إفادته بكل ما أعلم حول هذا الموضوع. أما الثاني فكان لقائي معه فاترا جدا ولكنني توصّلت معه إلى نتيجة حين دلّني على السيد دولانغل الذي أصغى إلى كل أفكاري، ولخّص كل الأفكار التي تطرّقت إليها في جلسات المحاضرات التي ألقيتها على الشخصيات المذكورة.[1]

ويمكن اعتبار هذا القانون هو أسوأ قانون أصدره الإمبراطور نابليون الثالث بإيحاء من أوربان كما عرفنا، ذلك أن هذا القانون، كما لا يخفى على أحد، يعتبر الجزائريين مجرّد رعايا فرنسيين ليس لهم الحق في نيل الجنسية الفرنسية إلا إذا تنازلوا عن حالتهم الشخصية كمسلمين. ولعل تفسير ذلك هو أن أوربان ربما استعجل تنفيذ مخططه الرامي إلى صهر الجزائريين حضاريا في بوتقة الحضارة الفرنسية، بأن يضطرهم إلى الخضوع إلى الأهداف التي عمل من أجلها وهي إذابة مقومات الأمة الجزائرية في نفسيّات الجزائريين تحت طائلة الضغط الناتج بسبب البحث عن اكتساب حق المواطنة. وهذا ما كان يرفضه الجزائريون ولا يقبلون المساومة فيه أصلا ولم يقبل به إلا فئة قليلة من خريجي المدارس التعليمية الفرنسية.

4- آراء أوربان في الجانب الزراعي:

أ-*- تأهيل الفلاح الجزائري وتهيئة الأرض:

ألحّ أوربان على ضرورة تهيئة الأرض للفلاحة والعمل على زيادة المساحة الصالحة للزراعة وخاصّة بالمناطق

[1] - أوربان. السيرة... مصدر سابق. ص 79.

الخصبة، فأيّد الحكومة في تجفيف المستنقعات وهـدّ سـفوح الجبـال وأشـار إلى أن الإدارة الفرنسـية " تحـدث كل يـوم تغييرات جديدة في استغلال الغابات وهدّ الجبـال واسـتخراج الميـاه وبنـاء السـدود وإقامة السـكك الحديديـة..."[1] فتم استصلاح أراضي هامة بسهل متيجة الذي كـانت فرنسا تـراه القلب النابض للزراعة بالجزائر بل وتعتـبره و خاصة بمنطقة بوفاريك من أجـود الأراضي الـتي لابد أن تُجفّف مسـتنقعاتها حتى تكون صـالحة لاسـتقطاب المعمـرين.[2] وكـانت بـدايات التجفيف هـذه مع نهاية سـنة 1845 وإلى شـهر فيفـري من السنة الموالية.[3]

وأهم المناطق الأخرى التي مسّها الاستصلاح بمقاطعة الجزائر كـانت تلك المنتشـرة ببوفاريك كما أشـرنا، من مثل منطقة حـوش غيلان (*Haouch-Ghilan*) على مسـاحة 170 هـ ومسـتنقعات سـوكالي (*Soukali*) ومسـتنقع بلدية بوفاريك في حـدّ ذاتها والـذي قـدّرت مسـاحته بـ 56 هـ، إضـافة إلى مسـتنقعات المنـاطق المحاذية لأودية اسـطاوالي ووادي بريجـة. كما تم شق مجموعة من السّـواقي والخنـادق بالمنطقة من أجل تسهيل مهمة السكان في استغلال الثروة المائية للأودية المجاورة وتسهيلا أيضا لعمليات الرّيّ.

أما إقليم ولاية وهران فلم يتم به، على ما يبدو، سـوى تجفيف مستنقع عين البيضاء على مساحة 20 هـ تقريبـا. في حين تم تجفيف مسـتنقعات الزرامنة (*Zéramna*) والصفصـاف بالقرب من سكيكدة، وكذلك السهول المجـاورة لعنابة وشق أنهار وهد جبال بالمناطق المجاورة لقسنطينة.[4]

ولم يكتف أوربان بالمناداة باستصلاح الأراضي فحسب، وإنما اهتم أيضا بضـرورة تحسـين مسـتوى الفلاح الجزائـري

---

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 81 – 83.

[2] - كراسات الاحتفال المئوي. الكتاب الأول. ج. م بورجي. **الجزائر إلى غاية غزو الصحراء**. *J. M. Bourget. **L'Algérie jusqu'à la pénétration saharienne***. بـ "*Garcia*" الموقع الإلكتروني السابق.

[3] - كانت عمليات الاستصلاح هذه طبقا لتعليمة حكومية صادرة بتاريخ 22 ديسمبر 1845. ينظر: السجل 1847. مصدر سابق. ص 278.

[4] - المصدر نفسه. ص 278 وما بعدها.

(الأهلي كما يسـمّيه)، بل وصل به الأمر إلى انتقـاد عمـوم المعمرين حين قال :"... ولم يضيفوا شيئا لروتين الأهالي".[1]

وقد اتفقت نـداءات أوربـان مع نظـرة الحكومة الاستعمارية فاهتمّت اهتماما بليغا بالجانب الزراعي بالجزائر وتشجيع الأهـالي على الإنتاجية الوفـيرة الـتي تعـود في نهاية المطـاف إليها بجمعها من الأهـالي ثم تصـديرها، خاصة بعد التراجع المسجّل بسبب سـنوات الحـروب وعـدم الاسـتغلال الأمثل.[2]

كـانت فرنسا على قناعة راسـخة مفادها أن الأرض الجزائرية أرض معطاء بالتجربة وشهادة التـاريخ لها منذ عهد الاحتلال الروماني لها خاصة في محاصيل الحبـوب والزيتـون والخمر. كيف لا وهي (فرنسـا) من اتخـذت من قمح الجزائر ذريعة لاحتلالها. ولذا سارع أوربـان ومن ورائه إدارة الاحتلال إلى اسـتغلالها في هـذه المنتجـات بصـفة خاصة مع مراعـاة نوعية التربة والمنـاخ واسـتغلالهما أيضا في إدخـال زراعة منتجـات جديـدة كـالقطن والتبغ وتحسـين سـلالات الخيـول والمواشـي،[3] معتـبرين ذلك خطـوات أساسـية في مسـار التحسّـن الاقتصـادي الـذي تريـده فرنسا [4]في إطـار المهمة التي كانت تصفها بالحضارية.

وفي ظل تلك التحسـينات وصـلت إلى مرسـيليا، من الجزائر، سنة 1851 حمولة 60.604 ألف هل كـانت من القمح الصـلب قبل أن تتضـاعف 09 مـرات خلال المواسم الفلاحية الأربعة الموالية حين قدّرت الصادرات الجزائرية التي وصلت إلى مرسـيليا بـ 547.520 ألف هل من القمح الصـلب سـنة 1855 الشـيء الـذي جعل فرنسا تعـترف بـأن الجزائر بوّأتها احتلال المرتبة الأولى عالميا بقيمة صـادرات بلغت 20.471.2 96 مليـون فرنك فرنسي خلال السـنة نفسـها لا سـيما بعد الاستثمارات الخاصة بـالمعمرين في هـذا المجـال على عهد

---

[1] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 89

[2]- ف ريبور. **حكومة الجزائر 1852 – 1858**. *F. Ribourt. **Le Gouvernement de L'Algérie. De 1852 – 1858**. Paris 1859. p 72 – 73.*

[3] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 64.

[4] - كراسات الاحتفال المئوي. الكتاب الحادي عشر. جون ميرانت. **فرنسا والأعمال الأهلية بالجزائر**. *J. MIRANTE. **La France et les œuvres Indigènes en Algérie**.* بـ "*Garcia*" الموقع الإلكتروني السابق.

الإمبراطورية الثانية إذ أنه :"... من 1852 إلى 1859 تحصّـلت 51 شركة على تنازلات ليصل العدد بذلك إلى 50 ألف هــ من الأراضي والغابات، ومن بين أهم المستفيدين نذكر (الشـركة السويسرية) بـ 12350 هــ متنـازل لها عنها بين 1860 و 1877، كما تحصــلت شــركة (الشــركة الجزائريــة) على 100هــ و(الشركة الفرنسية الجزائرية) على مناطق نفوذ قدرها 24 ألف هـ".[1]

ب-*- إعادة بعث زراعة محصولي التبغ والقطن:

ومن الزراعات التي اهتم بها أوربان ودعا الحكومة إلى الاهتمــام بها زراعة التبــغ، ولكننا نقــول هنا إن التبغ لم يكن محصولا جديدا بالجزائر فزراعته على العهد العثماني[2] كــانت تحتل مســاحات ولو قليلة وذلك على ســهول القالة وعنابة ومتيجــة. ولكن الجديد هنا هو أن أوربــان دعا إلى :" التمكين لزراعة التبغ والاهتمــام بهــا".[3] وهو ما اتفق فيه مع الحكومة الفرنسية التي عملت على تحسين هذا النوع من المحاصــيل مستفيدة من الخبرة التي يمتلكها المعمرون في ذلك والــتي اســتفاد منها الجزائريــون فيما بعد وأصــبحت محاصــيل التبغ الجزائرية تضاهي نظيراتها العالمية.[4]

وقد اهتمت الحكومة الفرنسـية بزراعة التبغ بداية من 1843 وفي ذلك جــاء تصــريح وزارة المالية الفرنســية في محضر 20 جـــــانفي 1844 ينص على :" إن الجزائر مؤهلة لإنتــاج محاصــيل جيــدة من التبغ بشــرط اســتغلال التربة

---

[1] - رضا حوحو. **مشروع السكة الحديدية الفرنسية بالجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار (1830 - 1914).** رسالة ماجستير. قسم التاريخ بجامعة قسنطينة. 2005. ص 26.

[2] - سعيدوني. دراسات... . مرجع سابق. ص 213 وما بعدها. وكذلك السجل. 1847. مصدر سابق. ص 208.

[3] - أوربان. الجزائر الفرنسية. مصدر سابق. ص 82.

[4] - السجل. 1847. مصدر سابق. ص 208.

والمناخ". فكان ذلك إيذانا بميلاد عهد جديد لبعث زراعة التبغ بالجزائر المحتلة.[1]

وتشجيعا لهذا المحصول اضطرت الحكومة العامة إلى التـدخل بمنع المعمـرين من اسـتغلال الفلاحين الجزائـريين بطريقــتين، تمثّلت الأولى في تحديد أسـعار التبغ بقــرار من وزارة المالية مؤرخ في 01 أكتوبر 1844 على النحو التالي:

النوعية الجيدة (الأولى) : 130 ف للقنطار الواحد.

النوعية الثانية : 110 ف للقنطار الواحد.

النوعية الثالثة : 90 ف للقنطار الواحد.

أما الطريقة الثانية فتمثلت في تدعيم الفلاحين من خلال شراء محاصيلهم عن طريق تجار التبغ. ولدينا في سـنة 1857 نمـــوذج لـــذلك حيث ارتفع عـــدد المنتجين إلى 3279 منتجا جزائريا ومعمّرا حصدوا محصولا قدّر بـ 3.430.149 مليون كلغ من مساحات إجمالية قدّرت بـ 3749 هـ، دون احتساب كل ما استهلك بالمكان و965.441 كلغ تم شـراؤها مباشـرة من قبل التجـــار من أجل تصـــديرها إلى كل من تـــونس والمغـــرب الأقصى.[2]

وفي ضوء ذلك أصبحت الإنتاجية في تحسّن على الشكل التالي:

1843 : 800 كلغ وخاصة من ضواحي بوزريعة.

1844 : 21534 كلغ تم شراؤها كلّيّة.

1845 : أنتج المعمرون 60.727.70 كلغ بِيع منها 51.902 كلغ.

وأنتج الأهالي 37.110.36 كلغ بِيع منها 33.288 كلغ.

أي تم بيع 85.190 كلغ من مجموع الإنتاج المقدّر بـــ 97.838.0 6 كلـغ. أما المنتـوج البـاقي فقد تكفّلت الإدارة بشـرائه، كما اشترت في السنة الموالية (1846) 200.000 كلغ.[3]

وإضافة إلى زراعة التبغ نجد أيضا زراعة القطن التي لم تكن هي الأخرى جديدة بالجزائر، حيث أن هناك من يعـود بها إلى العصور الوسطى.[4] ونجد أن أوربان قد أيّد الحكومة حين دعا إلى ضرورة الاهتمام بها كما رأينا بعد أن شـجّعت الإدارة

---

[1] - المصدر نفسه. ص 208.

[2] - ريبور. مصدر سابق. ص 75.

[3] - السجل. 1847. مصدر سابق. ص 209 – 210.

الاستعمارية زراعته وأضحت الجزائر من بين أهم المناطق المنتجة له في العالم مما جعل فرنسا تعتمده كصادر حيوي يوجّه، بصفة خاصّة، إلى لويزيانا بالولايات المتحدة الأمريكية،[1] خاصة لطبيعته المزدوجة فهو سلعة تجارية ومادة خام للنشاط الصناعي.

وينبغي هنا أن نشير إلى أن الإدارة الفرنسية أدخلت زراعة القطن، بعد تجديد الاهتمام بها، على يد السانسيمونيين من خلال السيد هاردي (*M. Hardi*) الذي كان قد كسب خبرة واسعة في هذا المجال بعد التجربة التي خاضها في مصر مستفيدا من تجربة محمد علي في هذا الميدان، فأصبح هاردي مديرا للمشتلة المركزية للقطن بالجزائر.[2]

وبفعل النجاح الذي حققه السيد هاردي والتطور الذي حصل على زراعة القطن بمشاتله قدّم الإمبراطور سنة 1852 مساعدة مالية قدرها 10 آلاف ف في إطار مشروع تنموي لمدة 05 سنوات بهدف الوصول إلى محاصيل جيّدة كما ونوعا، وهو المخطط الذي آتى أكله بعد أن استغلت مناطق الواحات الجنوبية والأغواط وباتنة. فتوسّعت مساحة المناطق المستغلّة في زراعته وارتفع الإنتاج ليصل إلى 200 ألف كلغ سنة 1857.[3]

جـ -*- توفير الثروة المائية:

كما أكّد أوربان على ارتباط التقدّم الفلاحي وكذا الصناعي بوفرة المياه لمعالجة مشكلة الجفاف ولتدعيم المنشآت الصناعية بما تحتاجه من مياه، فوافق الحكومة الاستعمارية حين كتب :"... كما اهتمينا بالرّي خاصة وأن الشبكة الهيدروغرافية بالجزائر تجف سنويا، ولذا بنينا السدود على الأنهار الرئيسية الكبرى..ـ وأقمنا قنوات الري خاصة لما يتعلّق الأمر بالأراضي الجافة مثلما فعلنا في سان دونيس (*Saint-Denis*) بسيق بمقاطعة وهران بطاقة ضخ فائقة

---

[4]- يشير سعد الله إلى أن كتب الرحلة تشير إلى ذلك. يراجع: سعد الله. الحركة... .ج1 ق2. المرجع السابق.ص 67

[1] - ريبور. المصدر السابق. ص 75. وكانت الولايات المتحدة قد اشترت لويزيانا من فرنسا سنة 1803.

[2]- المصدر نفسه. ص 75.

[3] - المصدر نفسه. ص 75.

تقـدّر بملايين الأمتـار المكعبـة". وأعلن بـذلك موافقته على ضـرورة اهتمـام الحكومة بشق السـدود والقنـوات واعتمـاد أسـلوب الـري وحفر الآبـار الارتوازيـة. بل ويستشـفّ من كتاباته أنه كان عنصـرا فـاعلا في تلك السياسة حيث قـال :" وفي الجنوب حفرنا الآبـار الارتوازية إذ أن الأرض هنـاك غنية فعلا بـــالثروة المائية حيث تضخ حاليا (1861) آلاف الأمتـــار المكعبة خلال الدقيقة الواحدة كتلك المتواجدة بوادي ريـغ".[1] وقد جسدت إدارة الاحتلال ذلك حين تمكّنت من إيصال ميـاه الـري إلى الأراضي ومياـه الشـرب إلى المـدن[2] عن طريق جيش إفريقيا الـذي وصـفته (الإدارة) بأنه حقق ما لم يحققه جيش آخر في العالم حين ادّعت :"... فعمل (جيش إفريقيـا) على نشر الحضـارة(؟) في أرجـاء البلاد الواسـعة... ففتح الطـرق وجفف المسـتنقعات وهـدّ الجبـال وأقـام الجسـور والسّـدود وأخضع القبائـل".[3] ونحن نعلم أن هـذا الجيش قد تغيّرت تسمياته على طول فترة الاحتلال من 1830 إلى 1962 من جيش إفريقيا إلى فيـــــــــــالق الاحتلال إلى الجيش الفرنسي... ولم يكن ناشرا للحضارة برهة واحدة وإنما كـان حاملا للإبادة والجشع طول وجوده على الأرض الجزائرية.

ولقد اكتشـفت إدارة الاحتلال وهي تبحث عن تحقيق مشـــروعها الاســـتيطاني بـــالجزائر طبقة هامة من الميـــاه الجوفية تنحـــدر من الواجهة الجنوبية للأطلس الصـــحراوي وتتجه نحو بسـكرة إلى غاية وادي ريـغ، فقـررت أن تسـتغلها بواسطة الآبار الارتوازية التي انطلقت أشغالها في 09 جـوان 1855 وبعد 39 يوما من الحفر تم الوصـــــــول إلى الطبقة الجوفية على عمق 60 مترا، وبالتالي كان إيذانا بحفر أول بئر بالمنطقة بطاقة ضخ قدرت بـ 4000م^3 يوميا بمنطقة تامرنة (*Tamerna*) بـوادي ريغ وسـرعان ما وصـلت طاقة ضـخّها إلى 6480م^3 يوميا، أي بمعدل 4500 لتر/ الدقيقة. وهي طاقة ضخ كبيرة جدا.

وقد اسـتغل هـذه البـئر سـكان المنطقة في مختلف حاجياتهم اليومية فسعت إدارة الاحتلال إلى توظيف ذلك في

---

[1] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 113.
[2] - ريبور. مصدر سابق. ص 73.
[3] - المصدر نفسه.ص 34.

تسـهيل احتلال المنطقة الـتي كـانت تحت ضـربات الحملات منذ ما يقــارب الخمس ســنوات، وهــذا ما جعلها ترفع من وتيرة التنقيب عن الماء لتظهر أمام الرأي العـام المحلي في صـفة ناشر الحضـارة وخـادم الإنسـانية، فحفـرت بـئرا ثانية سـمّتها "عين العافيـة" ربما تفـاؤلا لعل العافية تحل ويسـود الأمن والاســتقرار المنطقة فتصــبح آمنة مطمئنة لفرنسا أو أنه اسم مشــتق من المكــان الــذي وُجــدت فيه العين. وقد صرّحت فرنسا بأن طاقة هـذه البـئر الأخـيرة تجـاوزت طاقة ضخ بئر غرونال (*Grenelle*) ببـاريس. كما حفـرت آبـارا أخـرى نـذكر منها واحـدة بالقصـور بالحضـنة بطاقة ضخ 3336 ل/د وأخـرى بسـيدي سـليمان سـمّتها " عين الحيـاة" بطاقة ضخ 4000 ل/د.[1]

وفي المجموع يمكن أن نشير إلى إحصائيات 08 جوان 1865 الــتي تصــرح فرنسا من خلالها أنها وصـلت إلى تحقيق مبتغاها كما وكيفا وغاية من وراء حفر الآبار. تلك الإحصائيات التي تشير إلى مايلي:

47 بـئرا ارتوازية تم حفرها بكل من بسـكرة وتقـرت بمجمل طاقة 87.132 م^3/يوميـا، و24 بـئرا تقليدية تم حفرها بواحـات تقــرت بطاقة إجمالية قــدرت ب 4.994 م^3/يوميــا، وأربعة أخرى إلى الجنوب منها تضخ 338 م^3 يوميـا، و16 بـئرا قديمة موروثة عن العهد الروماني بسهول الحضنة تضخ ما مقــداره 8.239 م^3. أي أن مجمــوع الآبــار قد بلغ ســنة 1865 واحــدا وتسعين (91) بئرا بإقليم قسنطينة توفّر يوميا 100 ألف م^3 .[2]

5- آراء أوربان فيما يتعلّق بالمواصلات:

ارتأينا التركيز أكثر في هذه الفقرات على شبكة السكة الحديدية نظرا للاهتمام الـذي أبـداه أوربـان بها ولما كـان لها من دور أيضا في خدمة الاســتعمار، بل وقد أسســها خصّيصا لــذلك، ولما لها كــذلك من صــبغة اســتثمارية عالميــة. وقد ارتبطت مشــــــاريعها على وجه الخصــــــوص بالتيــــــار

[1]- المصدر نفسه. ص 35 – 36.

[2]- المرشد. السنة 05. ع 149. بتاريخ 22 جوان 1865. ص 01 – 02.

السانسيموني، فهم الرواد في فتح خطوطها بفرنسا وإيطاليا والنمسا وإسـبانيا وروسـيا والجزائر أيضـا.[1] ويهمنا هنا الـدور الذي لعبه أوربان في ذلك، فهو قد أيّد إنشـاء طـرق السـكك الحديدية وإقامة الجســور من أجل توفــير عوامل الإنتــاج والتّسويق.[2] كما اقـترح الحـاكم العـام رانـدون، الـذي كنا قد رأينا تـأثّره بأفكـار أوربـان، إنشـاء شـبكة للسـكك الحديدية بــالجزائر بقــرار 08 أفريل 1857.[3] ونشــير إلى أنه إذا كــان أوربان قد حرص على إنشاء هذه السكة لتكون الأداة الفعّالة لتنشيط الإنتاج والتسويق ومن ثم خدمة الاقتصـاد فـإن إدارة الاحتلال جعلتها أداة مهمة في بسط الاحتلال وأناطت بها هذا الدور رسميا بعد 1870 أي بعد انتهاء دور أوربان ومن يقفــون إلى صــفّه رســميا، وذلك حين رأت الحكومة العامة المدنية حاجتها الماسّة إلى آليات فعّالة لإخضاع (الأهالي) المتمردين بعد ثــورة المقــراني 1871 فوجــدت في الســكة الحديدية الوسيلة التي تحقق أمانيها.[4]

تحول اقتراح راندون إلى عمل ميداني على إثر صدور قانون 20 جـوان 1860 الـذي حل الـنزاع القـائم بين شـركات السكك الحديدية الراغبة في الاستثمار بـالجزائر، وبتـاريخ 11 جويلية 1860 استفادت " شركة السكك الحديدية الجزائريـة" من إنجاز الخطوط الثلاثة الأولى"

- خط الجزائر – البليدة : مدة الإنجاز سنة واحدة.
- خط سكيكدة – قسنطينة : مدة الإنجاز 04 سنوات.

- خط وهران – سـيق مع وجـود فـرع للمينـاء : حـدّدت مدة الانتهاء من إنجازه قبل حلول سنة 1863.[5]

---

[1] - إيميريت. المصدر السابق. ص11.

[2] - أوربان. الجزائر الفرنسية.مصدر سابق. ص 82.

[3]- للاطّلاع على نص هذا القرار يرجى الاطّلاع على: حوحو. مرجع سابق. ص 61.

[4] - المرجع نفسه. ص 168 – 169.

[5] - المرجع نفسه. ص 81. صادق قانون 20 جوان 1860 على إنجاز خطوط السكة الحديدية الفرنسية الثلاثة بالجزائر وهي: قسنطينة – سكيكدة، الجزائر – البليدة، وهران – سيق. أما الشركات الكبرى التي كانت متنازعة حول

كما أن أول ما تم إنجازه هو بناء محطة آغا بالعاصمة حين إنشاء خط الجزائر – البليـدة المتّجه نحو وهـران في محاولة لربط الساحل الجزائري: " وفي بضعة أشهر وصلت السّـكة إلى بوفاريك (من الجزائر) على طول 36 كلم مع 04 جسـور كـبرى و 35 جسـرا صـغيرا و 26 قنـاة".[2] ومن المفيد هنا أن نشـير إلى أن أوربـان هو من أشـرف على حفل التدشـين الرسـمي لأول خط حديـدي بـالجزائر ألا وهو خط الجزائر – البليـدة في 15 أوت 1862 بحضـور جمع غفـير من الصـحافة الفرنسـية.[3] وقد أصـبح هـذا الخط في الخدمة بداية من 08 سبتمبر 1862.[4]

وكما سبقت الإشارة إليه وهو أن السكة الحديدية أرادها أوربـان أداة فعّالة لخدمة الاقتصـاد، فقد سـاهمت فعلا في تحويل الإنتـاج الـزراعي والصـناعي من منـاطق الإنتـاج إلى الأسـواق الدّاخلية قبل نقلها إلى الأسـواق الخارجيـة. وأوضـحت إحصـائيات 1862 – 1868 أن العائـدات التجارية للسـكك الحديدية قد بلغت 10 آلاف عن كل 01 كلم، ومع 1870 كـانت إدارة الاحتلال قد أنجـزت 395 كلم موزّعة على الأقاليم الثلاثة وتربط الساحل الجزائـري ببعضـه.[5] ولعل في ذلك تمهيدا لتنفيذ احتلال كل من تـونس الـذي تم سـنة 1881 والمغرب الأقصى الذي كان سنة 1912.

وإذا كان أوربان قد أراد أن تكون السـكة الحديدية في خدمة الاقتصاد فإن الإدارة الفرنسية أضـافت لها دورا موازيا ألا وهو إخضاع الجزائريين لسـلطة الاحتلال، فسـمح لها ذلك بتجاوز الكثير من الصّعاب والمعوّقات الـتي كـانت تلاقيها إن هي أرادت غـزو كثـير من المنـاطق، ووضـعت في أيـدي المعمرين أيضا وسيلة هامة لتسويق محاصيلهم الفلاحية في

الاستئثار بنيل امتيازات إنجاز خطوط السكة الحديدية فكانت أربعة وهي:1- شركة السكة الحديدية بالجزائر. 2- شركة شارل لا فيت " *Charles Laffite*". 3- شركة مير " *Mires*". 4- شركة باكستون وميّي " *Paxton*"و " *Maillet*" التي أنجزت سكة حديد السويس – القاهرة بمصر. المرجع نفسه. 79 – 81.

[2] - المصدر نفسه. ص 81.

[3] - أوربان. السيرة... .مصدر سابق. ص 185. يشير أوربان إلى أن حفل التدشين كان في شهر أوت. أما تحديد الخامس عشر منه فقد اعتمدناه عن : حوحو. مرجع سابق. ص 82.

[4] - حوحو. المرجع نفسه. ص 82.

[5] - كورديي. مصدر سابق. ص 241.

أســـرع وقت وبأقل التكـــاليف وذلك ما جعل الجزائـــريين يرغبـون عن اسـتغلال القطـار في حيـاتهم اليومية وفي نقل منتجـاتهم أيضـا، وربما كـان ذلك نوعا من المقاطعة العفوية الـــتي تكشف عن نقمة شـــعبية تجـــاه أســـاليب الخـــداع الاستعماري، ولم يلجوا باب اسـتعمالها إلا بعد 1878 بعد ألفة معها قاربت العشـرين عاما أو بعد قناعة قد تكـون ترسّـخت فيهم تفيد باسـتغلال هـذه الوسـيلة لـربح الـوقت واختصـار المسـافات بـدلا من تعـاملهم معها على أنها وسـيلة للغـزو وتذويب المجتمع.

أما الطـرق البرية فـاهتمت بها الإدارة الفرنسـية هي الأخرى، بل وقبل اهتمامها بمشروع السـكة الحديديـة، وذلك لـدورها في التمكين للاحتلال، فقد أزالت ما يعـترض الطريق من الغابات وهدّت الجبال وأقامت الجســور على الأودية من أجل فتح شـبكة الطّرقـات الـتي تعـدّدت أنواعها بين طـرق وطنية وأخـــرى جهوية ولائية وأخـــرى بلديـــة. والملاحظ أن الفـــترة الممتـــدة بين 1830 و 1845 شـــهدت فتح 05 طـــرق وطنية هي :

*- طريق الجزائر – الأغواط.
*- طريق الجزائر – وهران.
*- طريق الجزائر – قسنطينة.
*- طريق المرسى الكبير – تلمسان.
*- طريق ستورا – بسكرة.[1]

أما مستوى تقدّم الأعمال بها وببعض الطـرق الأخـرى فكان سنة 1845 على الشكل التالي:

*- طريق الجزائر – الأغواط : انتهت به الأشغال إلى غاية جسر الشّفّة.

*- طريق الجزائر – قسنطينة : تقدمت الأشغال به ببطء حيث لم ينجز منه سوى 17 كلم.

---

[1] - فريد فراحي و احسن سيد أحمد. **فهرس الطرقات 1843 – 1965**. من خلال وثائق ولاية الجزائر. مذكرة لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات والتوثيق. معهد علم المكتبات والتوثيق. جامعة الجزائر. 1988. ص 05. *Farid Farrahi et Ahcèn sid ahmed.* ***Répertoire du fonds voirie et vicinalité (conserves aux archives d'Alger. 1843 – 1965)***

*- طريق الجزائر – سور الغزلان : إنجاز 12 كلم فقط بداية من العاصمة.
*- طريق الجزائر – البليدة عن طريق الدويرة : تم إنجاز 30 كلم بداية من العاصمة.
*- طريق البليدة – الأطلس : تم فتح 09 كلم فقط.
أما سنة 1868 فتوضّح لنا الإحصائيات تطوّر أشغال فتح الطرق على النحو التالي:
*- طريق العاصمة – الأغواط : تم إنجازه إلى غاية بوغار (بولاية المدية حاليا).
*- طريق الجزائر – قسنطينة : تم إنجاز 55 كلم.
*- طريق الجزائر – سور الغزلان : تم إنجاز 37 كلم.
*- طريق الجزائر – دلّس : تم إنجاز 75 كلم.
*- طريق البليدة – القليعة : تم إنجاز 20 كلم.[1]
والملاحظة التي يمكن الخروج بها هي عزم السلطات الاستعمارية على استغلال الساحل الجزائري وتوفير مختلف وسائل الراحة به بما في ذلك التنقل للمعمـرين تشـجيعا لهم على القدوم إلى الجزائر خاصة في هـذه المرحلة الأولى، مع الاتجـاه نحو السـيطرة على المنـاطق الداخلية من خلال فتح طريق بوغار وسور الغزلان... .

6 - آراء أوربان في الجانب الثقافي:

أ- *- في الإعلام:

أدرك أوربان مبكرا دور الإعلام في خدمة أهداف الاحتلال مثلما أدركه السانســيمونيون من قبل كما أشــرنا ســابقا. وأدرك أيضا بأن الفعالية المرجوة للإعلام لن تتم إلا إذا كانت بلغة أهل البلد، فكان من الدّاعين إلى أهمية تأسيس جريــدة ناطقة باللغة العربية بالجزائر تعمل من أجل الدعاية للتمكين الاسـتعماري الفرنسي فيهـا.[2] وذلك ما عبّر عنه في رسـالته إلى صـديقه بواصّـوني (*Boissonnet*)[3] حين وقف مؤيّـدا لإنشـاء

---

[1] - فرانك جوليان. **احتلال متيجة**.ج4. كراسات الاحتفال المئوي. باريس 1930. ص 628. *Franc julien. **La Colonisation de la mitidja**. T4. librairie ancienne horone champion. Paris. 1930.*

[2] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 172.

[3] - هو إستاف لورون بارون بواصّوني "*Estève Laurent Baron Boissonnet*" أتقن العربية كتابة وقراءة، وعيّن مديرا للشؤون الأهلية بقسنطينة سنة 1844 و لقّبه سكانها بـ"بوسنّة". عمل على استقطاب العلماء والمثقفين ليمدحوا

جريـدة المبشّـر فقـال لـه:" إن مخاطبة الأهـالي بلغتهم هو أجدى طريق لتحقيق ما نصبو إليه".[1] وكتب عن هذه الجريدة مـايلي:" لقد أصـدرنا جريـدة نصف شـهرية ناطقة بالعربية وهي سـلاح هـام بالنسـبة لنـا".[2] وذلك بعد أن أعلنت إدارة الاحتلال عن ميلادها في 05 شـوال 1265 هـ الموافق لـ: 15 سـبتمبر 1847.[3] وهي جريـدة نصف شـهرية تصـدر منتصف وآخر كل شهر، وهي بذلك أول جريدة عربية بالجزائر وثـالث جريـدة باللغة العربية تصـدر في الـوطن العـربي.وقد عملت إدارة الاحتلال على توزيعها مجانيا أول الأمر على المـوظّفين الرّسـميين بصـفة خاصة ليقومـوا بتـداول مشـاريع الاحتلال ونشرها في الأوساط الشعبية خدمة لأهداف الإدارة وتمهيـدا لتطبيقها.

فرنسا، إيمانا منه بمكانتهم المحترمة في أوساط الشعب.ومن هؤلاء العلماء نجد محمد الصالح العنتري الذي اغتنم موقفه المعادي للعثمانيين بحكم أن الحاج أحمد باي كان فيما سبق قد قطع رأس أبيه محمد العنتري فدعّمه لكتابة كتابه "الفريدة المؤنسة أو تاريخ بايات قسنطينة" سنة 1846 وهو كتاب يبرز الحكام العثمانيين في صورة قاتمة، فيما يظهر فرنسا على أنها صاحبة الخصال الحميدة. بل وأراد بواصّوني أن يجعل من العنتري وسيلة لإسكات الأهالي وتقبّلهم لفرنسا، فكان العنتري يقول:" في عهد الدوق أومال وبوسنّة كول خبزتك واتهنّى (كذا)". كما نشر العنتري بإيعاز من بواصّوني كتيبا بعنوان "هدية الإخوان" الذي يبين المباديء العامة للحضارة الغربية. كما عمل بواصّوني أيضا على استمالة محمد الشاذلي القسنطيني إلى أن وصفه تقرير فرنسي بمايلي:" ينبغي استخدامه (محمد الشاذلي القسنطيني) واستعماله أحسن استعمال... فهو أحد أئمة الدين حيث يمكن الاعتماد عليه في هذا الجانب المؤثّر لصالح سيادتنا... لقد قدم خدمات جليلة لفرنسا لما كان قاضيا بالمكتب العربي، وكان منبوذا من طرف المجتمع المسلم وغير محبوب فيه، بل كانت سمعته سيئة في وسط هذا المجتمع. نال إعجاب راندون فاختاره لمرافقة الأمير عبد القادر في منفاه بأمبواز في شهر أفريل 1848. لمزيد من المعلومات. يراجع: أبو القاسم سعد الله. **محمد الشاذلي القسنطيني 1807 – 1877**. دراسة من خلال رسائله وشعره. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1974.ص 17 وما بعده. وكذلك فركوس. المرجع السابق. ص 253 وما بعدها.

[1] - رسالة أوربان إلى بواصّوني. بتاريخ 02 نوفمبر 1847. بـ ميشال لوفالّوا. إسماعيل أوربان... .مرجع سابق. ص 505 – 506.

[2]- المصدر نفسه. ص 133.

[3] - المرشد. ع 25 سبتمبر 1847. ص1. ويراجع أيضا: محمد ناصر. **المقالة الصحفية الجزائرية. نشأتها، تطورها، أعلامها 1903 – 1931**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1978. ص 42.

وقد صدرت جريدة المبشر باقتراح من الجنرال دوماس المكلّف بالشؤون الأهلية الـذي اقـترح بـدوره ذلك على وزير الحربية الـذي أمر بصـدورها بالتـاريخ المـذكور. ولعبت دورا هاما فعلا في بسط نفوذ الإدارة الاستعمارية إذ كلما أقــدمت الإدارة على فعل شــنيع أو قــرار فظيع كلما ســارعت هــذه الجريدة إلى أسلوب التهدئة امتصاصا لغضب الأهالي، عاملة على تخفيف وطأته عليهم مقنّعة إيــاه بالطــابع الحضــاري والأمل في الرّقي والهدف النّبيل الذي تنشـده إدارة الاحتلال من ورائه.[1]

وكانت جريدة المبشّر تصدر في أربع صفحات من الحجم الصـغير ذات لغة ركيكة بعيـدة عن لغة الصـحافة مما يعكس ثقافة الجزائـريين والمستشـرقين العـاملين بهـا. بل ويـرى المختصّــون أن هــذه الجريــدة ليست لها قيمة من الناحية الصّـحفيّة.[2] ولكننا نقـول إنها كـانت تمثّل الأسـلوب الأجـدى لإطلاع الــرأي العــام الجزائــري على ما تمليه الحكومة من تشــريعات، إذ ورد في مقالها الافتتــاحي أنها (الجريــدة) :" ستصدر مرتين في الشهر، وأنها ستنشر الأوامر والتشريعات التي يصدرها الرؤسـاء وأمـراء المقاطعـات إلى المـوظفين. كما ســتنقل إلى الأهــالي الجزائــريين تعليمــات الحكومة الفرنسية. وعلاوة على ذلك فإن الملك لويس فيليب يريد أن تحــوي هــذه الجريــدة المســمّاة المبشّــر قــدرا من الأخبــار والمعلومات المفيدة وذلك لرفع المستوى الثقـافي للسـكان المسـلمين".[3] ولكنها في حقيقة الأمر ليست أكـثر مما ذكرنا من أنها يد فرنســية لــترويض لجزائــريين وتهــيئتهم للقابلية للاسـتعمار، حـتى ولو كـانت تضـيف لهم بعض المعـارف من خلال إطْلاعهم على ما يــدور حــولهم من أحــداث محلّية أو عالمية.

رغم الدور الكبير الذي كانت تقوم به جريدة المبشر من أجل التمكين للاحتلال فــإن هنــاك أصــواتا جزائرية ظلت رافضة لسياسة المخادعة والتضــليل الــتي تمارســها هــذه

---

[1] - سعد الله. الحركة... .ج1 ق2. مرجع سابق. ص 39.

[2] - عواطف عبد الرحمان. **الصحافة العربية في الجزائر**. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1985. ص 27.

[3] - جريدة المبشر. العدد 01. بتاريخ 15 سبتمبر 1847.

الجريـدة، ومن ذلك الرسـالة الصـادرة عن مؤلِّف مجهـول والــتي تتهم مباشــرة جريــدة المبشر "بتضــليلها للنــاس وبالأكـاذيب الـتي عملت على تشـويش أفكـار الجزائـريين متسـائلة في شـكل اسـتفهامي تـوبيخي للاسـتعمار :" إنكم أخبرتم الناس بأمر البلدان والقرى والأوطان وعلى أهليهم... فما فايدة (كذا) إخبار الناس بـذلك من حين أخـذتم الـبر (أي منذ أن استوليتم على الوطن) ولم يبق لكم منازع" ".[1]

ب- * - في التعليم الأهلي:

أما التعليم الأهلي فقد اعتـبره أوربـان ضـعيفا وفـارغ المحتوى وبدون أهـداف، من خلال إهماله الإعـداد للوظـائف العامــة، مشــيرا إلى عجز الزوايا والكتــاتيب على تأســيس مؤسسات تضاهي المدارس الفرنسـية منتقـدا غيـاب الدولة الفرنسية التي كانت، حسبه، دون تـأثير ولا تـدخّل مباشر ولا حــتى مراقبة تفرضــها على هــذه الزوايا الــتي تتــدعّم من الأوقــاف وتلعب دورا مكمّلا للمســجد. كما يتكفّل سـكان الأحياء بتلاميذ المدارس القريبة منهم ذات النظـام الـداخلي، فضلا عن جمع التّبرّعات وتقديم الهدايا للمعلّمين.[2] أما مــواد محتويــات الــدروس المقدَّمة فكــانت ذات طــابع ديــني في المــدارس الابتدائية مع تـأخير العلـوم الأخـرى إلى المرحلة الثانوية.

يمكن أن نجد تبريرات كثيرة لملاحظـات أوربـان على التعليم الأهلي بالجزائر وعلى مستواه أيضا لأنه كـان ضـعيفا فعلا وبســيطا وغــير مجد باعتبــار أنه لا يهتم بمصــالح الأمة الدنيوية بالقدر المقبول، وهذه ملاحظات هامة، إذ ما الفائدة من تعليم يســير على رجل دون أخــرى (دين دون دنيــا)؟. ولكن الغريب هو أن أوربان طعن في التعليم الأهلي وتناسى أن الإدارة الفرنسية هي من عملت على إفراغه من محتواه، أوَ ليست هي من صادرت الأوقاف؟ ومن حطّمت واســتولت

---

[1] - فركوس. مرجع سابق. ص 47.

[2] - أوربان. الجزائر للجزائريين. مصدر سابق. ص 42 . وينظر أيضا: تورين. مرجع سابق. ص 131.

على المســاجد والمــدارس؟ ومن قلّصت دور العلم؟ ومن حرمت الجزائريين من المدارس الحرّة...ـ ؟.

سبق وأن أشرنا إلى أن أوربـان قد أعلن صـراحة عن أفكـاره فيما يتعلّق بـالتعليم الأهلي فقـال:" إن هـذه الزوايا تخرج لنا رجال الـدين والمقاومة ولـذا فنحن على خطر كبـير إذ لابد من تأسيس مدرسة إسلامية عليا في كل مقاطعة من المقاطعات الثلاثة تدرّس نفس المواد المدرَّسة في الزوايـا، إلا أن المــدراء والأســاتذة لابد أن نعيّنهم نحن ويتقاضــون أجــورهم من عنــدنا، فــنراقب التعليم بها ونســهر عليها ونؤطّرها".[1]

كما أيّد أوربان أيضا "إنشاء مدارس ابتدائية فرنكو- عربية للتعليم الفرنسي والعربي بالمراكز السّكّانية الكـبرى بمـدير فرنسي ونــائب من الأهــالي لتكــوين شــباب مفرنســين يسـاهمون في نشر لغتنـا".[2] وذلك تمهيـدا طبعا لنشر ثقافة التغريب والفرنسة.

وللخـروج من بسـاطة التعليم الأهلي دعا أوربـان إلى إدخال العلوم المختلفة من " حساب وتاريخ وجغرافيا ورسم إلى جـانب تحفيظ القــرآن (الكــريم)، بحيث يـدرس التلميذ (في هــذه المــدارس الفرنكو -عربيــة) القــرآن (الكــريم) ويحفظه مثلما هي عليه الحال في المدارس الأهلية، بشـرط أن نكون نحن من أعدّ الكتب المدرسية... كما نلقّن التلاميذ، يوميا، الأناشيد الوطنية الفرنسية".

ولم يكتف أوربان بهذا وإنما أوضح أنه :" تمهيدا للثورة الــتي نريد أن نحــدثها داخل الأســرة الجزائرية لابد أن نمنح الــوقت الكــافي للشــعب كي يــدرك أهمية إنشــاء مــدارس للإناث، فالنسـاء الأهليـات مسـتعدّات للخياطة ولـديهن رغبة كبـيرة في القـراءة والكتابـة، وهـذا التقـدّم المـادي سـيحرّر المــرأة الأهلية من الأعمــال الجــدّ متعبة في بيتهــا. وهن سعيدات بهذا التحول الذي يجعلهن كبعولهن أو أبنائهن".[3]

ويمكن أن نقول أن المدارس الابتدائية قد انتشرت حينما كان أوربان مديرا للشؤون الأهلية، بل وربما هو من كان وراء

---

[1] - المصدر نفسه. ص 42.

[2] - المصدر نفسه. ص 39.

[3] - المصدر نفسه. ص 40 .

تشكيل "لجنة بيدو" سنة 1846 خاصة وأننا رأينا أن بيدو كـان يستفيد من استشـاراته لأوربـان كما مـرّ بنا في الحملة على بسكرة. هذه اللجنة التي تكون قد أثّـرت على وزارة الحربية التي كانت الجزائر تتبعها، فشـجّعت سـنة 1853 على التمكّن في اللغة العربية بمنح الجـــــوائز والسّـــــبق بالأولوية في التوظيف المدني. ولم يكن ذلك حبا في الجزائريين أو تمكينا للغتهم وإنما كــان ذلك صــناعة لأفــراد يكونــون في خدمة الإدارة الفرنسية قلبا وقالبا بعد توظيفهم في ميـادين التعليم والقضاء والترجمة بالمكاتب العربية.[1]

ونشير هنا إلى أن أطروحات أوربان تتفق إلى حد بعيد مع حالة التعليم السائدة آنذاك واقعا وأهدافا، حيث أننا إذا علمنا أنه كان مستشارا لمسؤوليه ولو بصفة غير رسمية وأنه كـان مقرّبا من الإمــبراطور وأنه من كبــار المهتمين بالشــؤون الأهلية بالجزائر، فإننا نقول عن أرجح الاحتمالات لـدينا تشـير إلى أن أوربـان هو من نظّر لتلك السياسة التعليميـة، ولنا أن نقارن بين ما ذكرنا من أطروحاته حـول التعليم وبين ما ننقله في هذه الفقرة:" ...وهو (التعليم العربي-الفرنسي المزدوج الموجّه للأهــالي) على أنــواع، منه المدرسة الحضــرية – الفرنســية، ثم المدرسة الخاصة بالأهــالي. وكلها كــانت مدارس في مستوى التعليم الابتدائي،... ثم هناك المــدارس الرســمية الثلاث الــتي ابتــدأت عربية محضة ثم أصــبحت مزدوجة وهي مــدارس كــانت تخــرّج القضــاة والمــترجمين والمدرّسين، وكـان مسـتواها هو التعليم المتوسّـط والثـانوي رغم أن بعض الاسـتعمالات الفرنسـية تعطيها صـفة التعليم العالي أيضا... وأخيرا هناك المدرسة السلطانية، كما تسمّيها (المبشّر) أو الكوليج الإمبريالي (الإمبراطوري) كما هو أصل التســمية الفرنســية، وهو معهد (كــوليج) أسس للدراسة المزدوجة والعالية في الجزائر بإدارة فرنسية".[2]

---

[1] - اعتمدت في هذه الفقرة التي تتناول خلاصة عن موضوع التعليم عن : أبي القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج3. مرجع سابق. ص 321 وما بعدها. اهتمت لجنة بيدو هذه بدراسة واقع التعليم ونوعية الدروس بالمؤسسات خاصة في المجالين الديني واللغوي لارتباطهما بالجانب الحضاري للجزائر.

[2] - المرجع نفسه. ص 322.

ومن أجل القضاء على التعليم الأهلي الذي كان مصدر تخـــريج المدرّســـين والقضـــاة وأساسا متينا للهوية الوطنية الجزائرية ضـــــربت الإدارة الفرنســـــية أسسه فحاصـــــرت المسجد والزاوية وصادرت الأوقاف، بل وأهملت هذا التعليم بصـــــفة مطلقة خلال المرحلة الممتـــــدة بين 1830 و 1850 وأقـــامت على أنقاضه التعليم المشـــار إليه خدمة لمشـــروع الاحتلال لأنه يتخـــــرّج منه المـــــدرّس والقاضي والموظّف المدني، وهم الذين تـــراهن عنهم فرنسا في بسط نفوذها إن هي تمكّنت منهم. وفي ذلك كتبت المرشد " وقد أنشـــــأناها (المـــــدارس الثلاث) من أجل محاربة الزوايا الـــــتي يقودها المرابطـــــون وهي تعمل تحت رقابة ضـــــباطنا العـــــاملين بالمقاطعات من خلال استخدام المكاتب العربية".[1]

وإذا كان لا يهمنا هنا إلا ما يربط العلاقة بين واقع التعليم آنذاك وأفكار أوربـان، فإننا نـرى أيضا أنه من الأهمية بمكـان أن نشـــير هنا إلى أن أغلب الجزائـــريين قد قـــاوموا هـــذه المشاريع مقاومة جـادّة، إذ أنهم رفضـوا إرسـال أبنـائهم إلى الفرنسة والسّـير خطـوات نحو التنصّـر وظلـوا متمسّـكين بالكتاتيب والزوايا ومنهم من اضطر، بفعل ذلك، إلى الهجـرة إلى كل من تـــونس والمغـــرب أو إلى المشـــرق. كما بقيت الزوايا الجهادية على العهد تـدعم المقاومة وتزوّدها بفتـاوى الجهاد وتعبئة الشعب.

كما أن طبيعة دروس المـدارس الثلاث الـتي أنشـأتها فرنسا سـنة 1851 تبـدو متوافقة مع ما نـادى به أوربـان في الأفكـار الـتي ذكرنـا، حيث كـانت جزائرية محضة سـواء من التلاميذ أو الإدارة وذات برنـامج عـــربي وإســـلامي يعبّر عن شخصية المجتمع الجزائري الذي تنتمي إليـه، قبل أن تتـدخّل الإدارة الفرنســـــية وتجعل إدارتها فرنســـــية ومعلّميها من الجزائـــريين والفرنســـيين مع الأخذ في الحســـبان أن أغلب المدرّسين الجزائريين كانت تختارهم الإدارة الفرنسـية ممن لا يتـوفّرون على أخلاق المـربّي ولا على الكفـاءة المهنيـة، وإنما تختـــارهم من الأكـــثر ولاء لها خدمة لتكـــوين أمّة لها القابلية للاستعمار.

---

[1] - المرشد. ع 195. بتاريخ 11 ديسمبر 1863. ص 2.

ولعلّه من المفيد هنا أن نـترك الفرنسـيين أنفسـهم يحـــدثوننا عن الأهـــداف المبتغـــاة من وراء فرنسة التعليم بـالجزائر، فهـذا دي بوسـيه يقـول:" من المسـتعجل جـدا أن نمكّن الأهـــالي من لغتنا أكـــثر مما هو مســـتعجل أن نمكّن أنفسـنا من لغتهم، فالعربية لن تكـون مفيـدة لنا إلا من جهة علاقتنا مع الإفريقـــــيين (يقصد الجزائـــــريين)، أما اللغة الفرنسـية فهي لا تبـدأ علاقتهم معنا فقـط، ولكنها بالنسـبة إليهم هي المفتـاح الـذي به يـدخلون بر الأمـان، فهي الـتي تجعلهم يعرفـون كتبنا ويتعرّفـون على أساتذتنا، أي يكونـون على اتّصـال بـالعِلمِ الفرنسـي. إن تعلّم العربية ليس وراءه سوى اللغة لذاتها، أما تعلّم الفرنسـية فـوراءه كل المعـارف الإنسانية وكل ما أنتجه التقدّم العقلي عبر السّنين".[1]

إن هذا الكلام كما لا يخفى على ذي بال رشيد، لم يكن مجرّد إبـراز للتفـوق الفرنسي على التخلف الجزائـري، وإنما كان يعبّر عن مشروع حضـاري بعيد المـدى جـاءت به الإدارة الفرنسـية لغسل أمخـاخ أبنـاء الجزائـريين تمهيـدا لغـرس الثقافة الفرنســية فيهم حــتى يســهل دمجهم في المجتمع الفرنسي دمجا حضـــاريا تـــزول فيه الخصـــائص الأدبية والأخلاقية أي المعنوية الحضـارية رغم أن أوربـان نفسه هو القائل إن هـذه الأمة الجزائرية خـير وأرسخ تاريخا من الأمة الفرنسية ذاتها.

ويضيف دي بوسيه:" إن الهدف (من التعليم) كان محو التعصّــب الــديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنســية والحضارة والتقـدّم، وذلك لا يكـون إلا بإحـداث لغة مشـتركة في الجيل الصـــاعد وتقريبه من الفرنســـيين بتبنّيه نفس الأفكار ونفس المصـالح" وهي نفس الفكـرة الـتي نـادى بها أوربان في إطار التشارك.

وفي إطار الاستدلال بـأقوال الفرنسـيين حـري بنا أن نسـجّل ما كتبه طوكفيل (*A. de Tocqueville*) حين قـال :" لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال (أموال المؤسسات الخيرية الـتي غرضـها سد حاجـات الإحسـان والتعليم العـام) وذلك بـأن حوّلناها جزئيا عن اسـتعمالاتها السـابقة، وأنقصـنا المؤسســـات الخيرية وتركنا المـــدارس تتـــداعى وبعثرنا

[1] - سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج3. مرجع سابق. ص 328.

الحلقـات الدراسـية. لقد انطفـأت الأنـوار من حولنا وتوقف انتقـاء رجـال الـدين ورجـال القـانون، وهـذا يعـني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشدّ بؤسا وأكثر فوضى وأكثر جهلا وأشـدّ همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا".[1]

[1] - شارل روبير أجيرون. **تاريخ الجزائر المعاصرة**. ترجمة عيسى عصفور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط2. 1982. ص 36.

الخاتمـــــــة

الخاتمة

عاش أوربان منذ الصبا حياة مضطربة جعلته يفتقد إلى الحنان الذي وجده في المدرسة السانسيمونية حين احتضنه زعماؤها في فرنسا، وبعد أن شعر بالأنس معهم ودرس أفكارهم التي وجد فيها الصبغة الإنسانية، وبعد أن تفتّح على الصراع الدائر بين العالميْن المسيحي والإسلامي، تعلّق بفكرة اكتشاف العالم الإسلامي (الحضارة الشرقية) فانتقل إلى مصر مرورا بأراضي الدولة العثمانية سواء في اسطنبول التي حط فيها الرحال أو في الأراضي التي كانت له معبرا مثل اليونان التي كانت لا تزال عثمانية. وفي مصر وجد نفسه أكثر انجذابا إلى أبنائها المسلمين الذين ساهموا

في التخفيف مما كان يعاني منه حين اقتسموا معه آلامه ووقفوا معه فاعتنق الإسلام عن قناعة، فيما بدا لنا، والأصل أنه مات عليه بالجزائر سنة 1884.

وإذا كان أونفونتان قد جرّب تطبيق الأفكار السانسيمونية في مصر وعاد منها خائبا ودخل الجزائر من أجل بث أفكاره فإن أوربان اكتشف العالم الإسلامي في مصر بصفة خاصة وحاول تجريب أفكاره بالجزائر منذ أن وطئتها قدماه سنة 1837 ولكنه خرج منها خائبا هو الآخر. فقد حاول أوربان التمكين لنفسه من خلال العسكريين ولذا كان شديد الدفاع عن الحكم العسكري بالجزائر، إلا أن دفاعه هذا لم يكن تحت دافع الأنانية الذاتية وإنما خدمة لمصلحة فرنسا التي رآها تتحقق ما بقي العسكريون والسانسيمونيون منهم بصفة خاصة على رأس إدارة الاحتلال، وتزول متى تحكّم المدنيون في الحكم لأنه يرى فيهم الجشع والبحث عن الثروة والمصلحة الخاصة مع احتقار الجزائريين. وذلك ما يعتبره أوربان السبب الأكبر لدفع المحتقَرين إلى الثورة. وبالتالي نهاية فرنسا بالجزائر.

وينبغي لدارس هذه المذكرة أن يرى أوربان خادما للمصلحة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر وليس العكس، حيث كان قد حاول التخفيف على الجزائريين والتكلّم باسمهم حين كانوا مستضعفين وكان صوتهم مبحوحا، ولكنه فعل ذلك إخمادا لروح الثورة فيهم وهو الذي آمن بأن الضغط يولّد الانفجار. وفي ذلك ينبغي التنبيه إلى أن الجزائر كانت محظوظة حين فشل أوربان في تحقيق مساعيه، لأن أوربان أراد التخفيف من الإبادة والقهر على الجزائريين ولكنه كان يرى أن إخضاعهم إنما يتم بطريقة أذكى وأقل تكاليف وأحفظ لماء وجه فرنسا أمام الرأي العام الدولي، وهي طريقة ضرب مقومات الأمة، فضرب التعليم والهوية الوطنية بالخصوص. وهنا نشير إلى أن الإبادة والقهر مخاطرهما آنية والانعتاق منهما مأمول لأنهما يحملان بذور ذلك. ولكن ضرب الهوية ومقوّمات الأمة هو قتل بطيء للمجتمع وتذويب له دون آلام تدعوه للرفض وتدفعه للتحرّر. حتى إذا وقع الأمر وجدت الأمة نفسها تابعة وفاقدة للسيادة وتائهة فلا تهتدي إلى كيفية بناء مجتمعها البناء الحقيقي

والصحيح الذي يضمن لها السير الطبيعي. ومن ثمة نقول إن أوربان كان مسموم الفكر مهما كانت نيّاته في ذلك تجاه الشعب الجزائري.

وإضافة إلى ما عرضه البحث فيما يتعلّق بتاريخ الجزائر في الفترة المدروسة أو حول شخصية أوربان فإنه أيضا قد حقق جملة من الأهداف نحاول إجمالها فيما يلي :

1- إماطة اللثام عن كثير من الخبايا في شخصية أوربان.

2- وضوح الرؤية حول تصوّرات أوربان وطريقته المقترحة لإخضاع الجزائر.

3- معاناة الجزائريين تحت السياسة الخطرة التي سعى أوربان إلى تنفيذها، والتي لا تزال مخاطرها إلى الآن وربما للمستقبل إن لم يكن هناك مشروع مضاد وعمل صارم لضمان مقوّمات الأمة وهويتها وسيادتها.

4- الكشف عن كتابات أوربان التي كانت منسوبة إلى غيره، وكذا عن كثير من الأعمال التي ربما لم تكن تخطر على بال أحد أنها من صميم اقتراحاته.

5- تدعيم المكتبة التاريخية الجزائرية بمادة تاريخية مهمّة سواء المتمثّلة في هذه المذكرة أو المتمثّلة في كتابات أوربان، وخاصة تلك التي استحضرناها من فرنسا ونعني بها كتبه الثلاثة:

*- الجزائر الفرنسية.

*- رحلة الشـرق.

*- السيرة الذاتيـة.

وفي الأخير نأمل أن تكون هذه المذكرة قد حققت ما كانت تصبو إليه من خدمة التاريخ الوطني بنظرة جزائرية موضوعية.

الفهـــــار
س

فهرس الأعلام

استثنينا من هذه القائمة أسماء أوربان ونابليون الثالث لكثرة ورودهما في المذكرة.

الاســـم الصفحة

حرف الألف

فهرس الأماكن و الدول والمدن والقبائل

استثنينا من هذا الفهرس الأماكن الواردة بكثرة كالجزائر،

	الصفحة
	4 (
	8
	25- 67- 71- 90(
	3
	43- 107
	8- 30- 125
	9- 30- 34
	34
	14
	11- 115- 116
	37- 111- 116
	26- 32- 33- 75 (
	55- 117
	32- 101
	39
	18- 26- 75 (
	44- 75 (
	36
	39
	36
	39
	39
	39
	36
	39
	39
	45
	39

حرف اللاّم	
لبنان	19
لويزيانا	107
ليون	30
حرف الميم	
ماهون	50
متيجة	45- 53(هـ1)- 106
المخزن	38- 44
مدرسة الصنائع	28 (هـ2)- 31
المدية	38- 51- 53- 88
المرسى الكبير	115
مرسيليا	14- 16- 26- 50
مصر	14- 16- 18- 19- 20- 21- 24- 30- 31- 35- 47- 48- 50- 65- 110- 114(هـ2)- 125
المغرب الأقصى	85 (هـ3)- 121 -114 -110
المقبرة المسيحية	13- 61
موزاية	87- 89
مونبيليي (جامعة)	75 (هـ4)
المويعدات	89
مينيلمونتون	17- 18- 21- 29
حرف النّون	
النمسا	25- 97 (هـ1)- 113
نوميديا	66 (هـ1)
نويي	56
النيل	19
حرف الهاء	
هوارة	89
حرف الواو	
وادي ريغ	111- 112
وزرة	89
الولايات م الأمريكية	110
وهران	26- 38- 43- 48- 49- 50- 51- 52- 69- 91- 92- 96- 107- 111- 114- 115
حرف الياء	
اليونان	34- 125

121

77- 90- 121

67- 85 (

17- 28 (

27 (
-81 -79 -77 -58 -56
95 (الهامش1)

29

28 (

23

50

98
33

فهرس اللجان والجمعيات

اللجنة أو الجمعية	الصفحة
جمعية أصدقاء المرأة	30
اللجنة الإفريقية	36 – 37
اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر	8- 24- 31- 85
لجنة بيدو	120

الملاحـــــــق

L'ALGÉRIE

POUR

LES ALGÉRIENS

PAR

GEORGES VOISIN

PARIS

MICHEL LÉVY FRÈRES, LIBRAIRES-ÉDITEURS

RUE VIVIENNE, 2 BIS.

1861

Tous droits réservés.

الملحق رقم 01 : الصفحة الأولى من كتاب **الجزائر للجزائريين**.

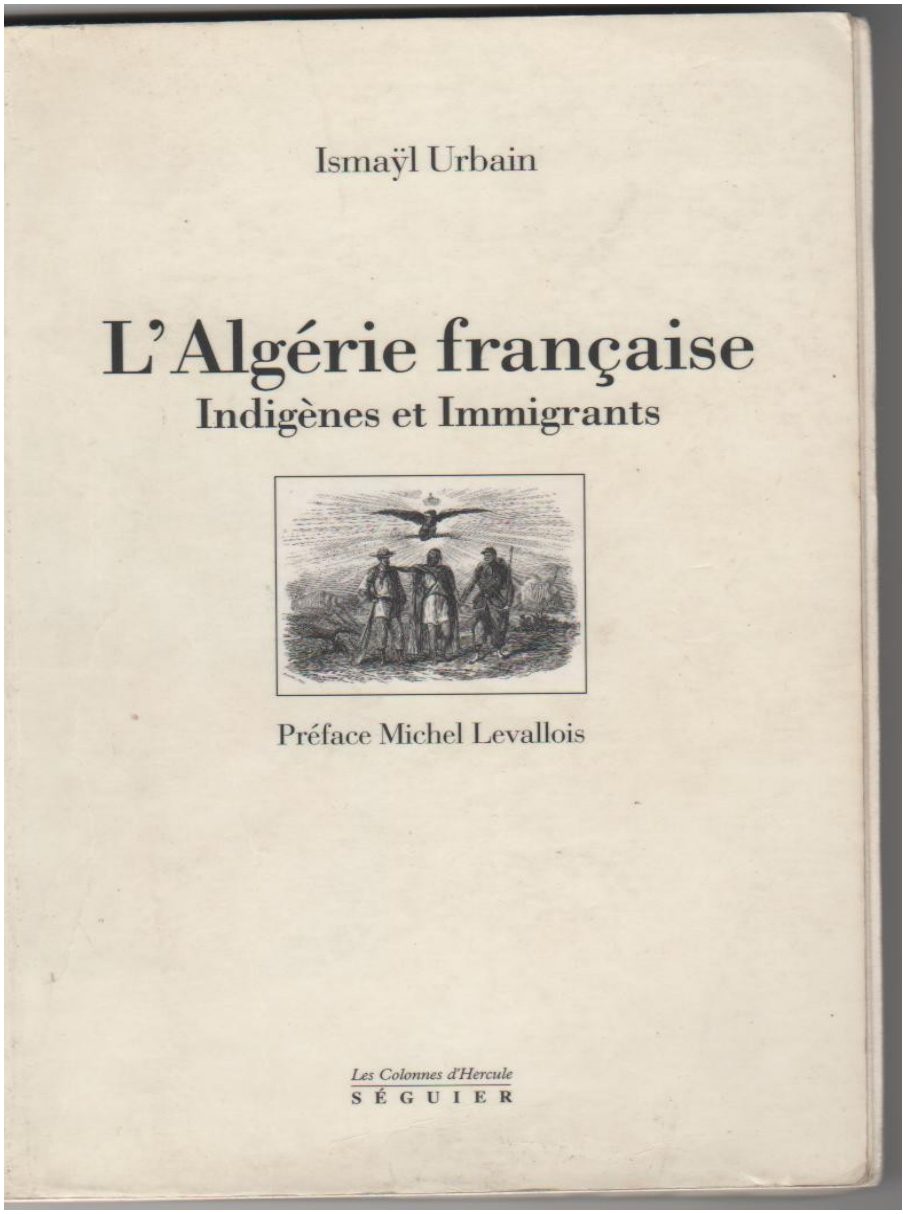

الملحق رقم 02 : صورة غلاف كتاب **الجزائر الفرنسية أهالي ومعمّرون**.

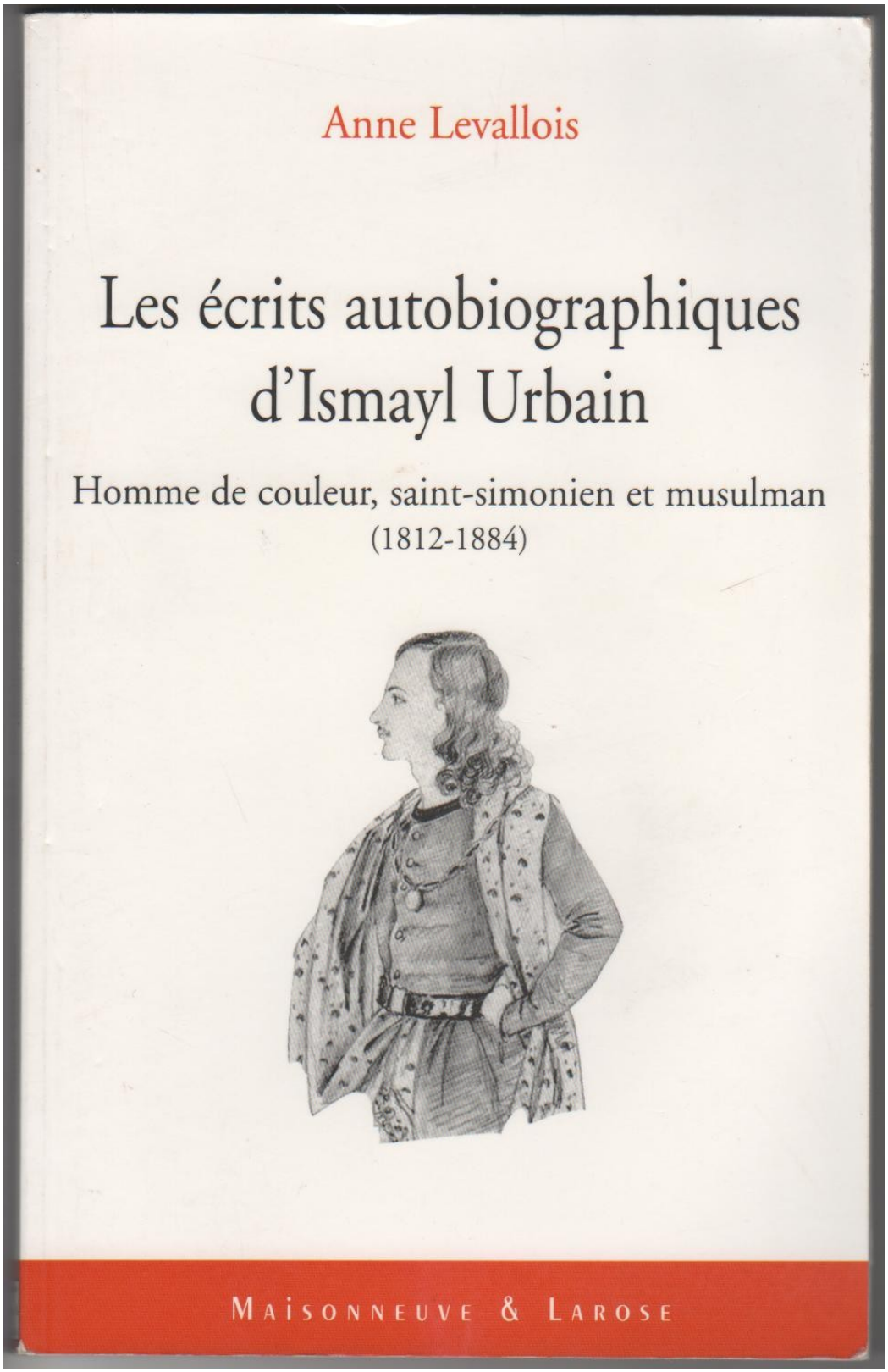

الملحق رقم 03 : صورة غلاف كتاب **السيرة الذاتية لإسماعيل أوربان**

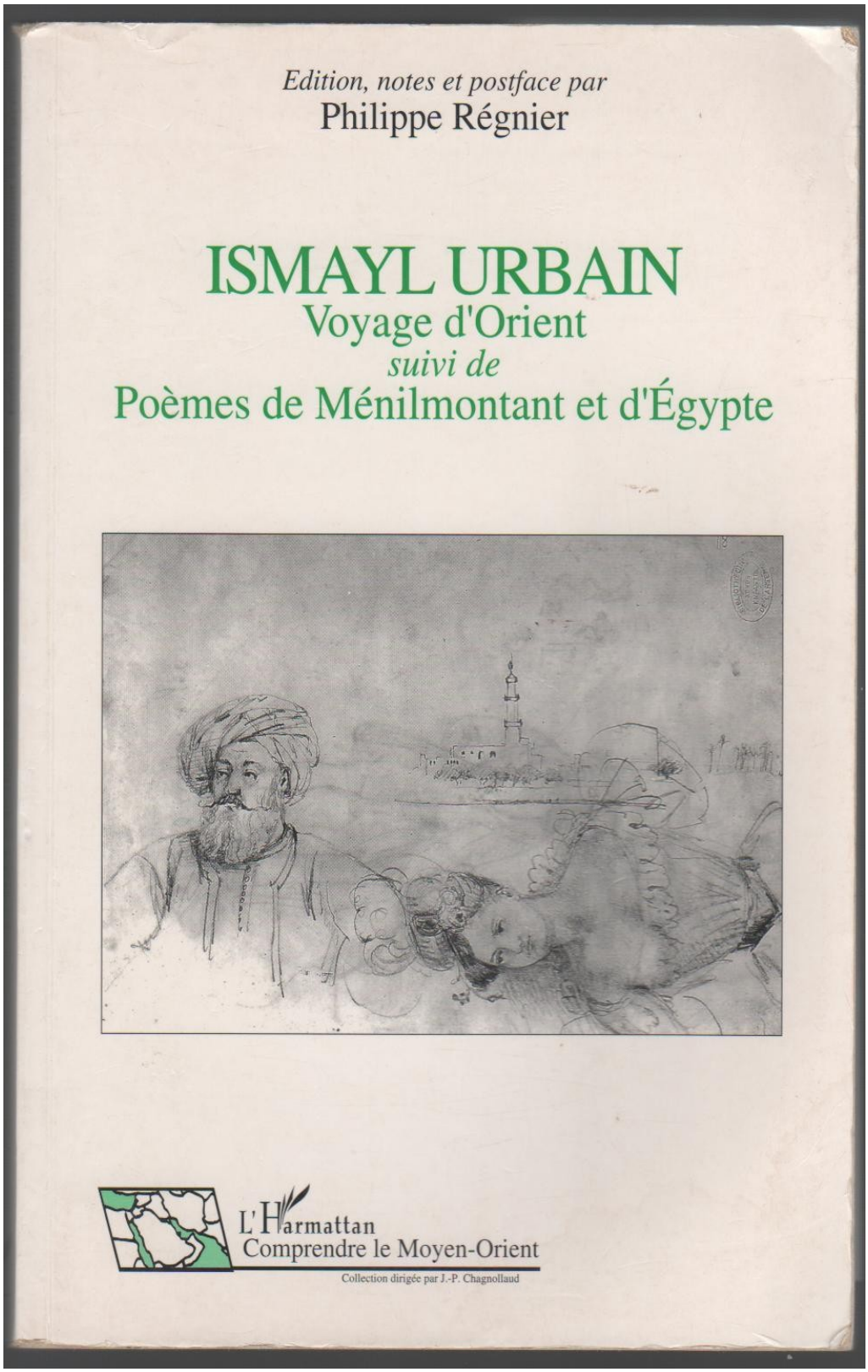

الملحق رقم 04 : صورة غلاف كتاب **رحلة الشرق**

LE MONITEUR UNIVERSEL

Journal officiel de l'Empire Français.

Samedi 7 Février 1863.

« Nous ne sommes pas venus en Algérie pour les « opprimer et les spolier, mais pour « leur apporter les bienfaits de la ci- « vilisation. Or la première condition « d'une société civilisée, c'est le res- « pect du droit de chacun.

« Le droit, m'objectera-t-on, n'est pas « du côté des Arabes ; le sultan était au- « trefois propriétaire de tout le territoire « et la conquête nous l'aurait transmis « au même titre ! Eh quoi ! l'État s'ar- « merait des principes surannés du ma- « hométisme pour dépouiller les anciens « possesseurs du sol, et, sur une terre « devenue française, il invoquerait les « droits despotiques du Grand Turc ! « Pareille prétention est exorbitante, et

« Cette mesure, qui n'aura aucun « effet rétroactif, n'empêchera aucun des « travaux d'intérêt général, puisqu'elle « n'infirmera en rien l'application de « la loi sur l'expropriation pour cause « d'utilité publique ; je vous prie donc « de m'envoyer tous les documents sta- « tistiques qui peuvent éclairer la dis- « cussion du Sénat.

« Sur ce, monsieur le maréchal, je « prie Dieu qu'il vous ait en sa sainte « garde.

« NAPOLÉON. »

M. de Royer, sénateur, nommé, par dé- cret du 1er février, premier président de

une décision qui ne peut être qu'avanta- geuse au commerce maritime. D'après le conseil des représentants des puissances étrangères, il a résolu d'adopter un pa- villon national. Ce pavillon sera jaune et de forme triangulaire. Il portera comme emblème l'image d'un dragon.

NOUVELLES ÉTRANGÈRES.

On écrit de Washington, 18 janvier :

L'opinion qui se prononce chaque jour avec une énergie croissante aux États-Unis contre la continuation de la guerre com- mence à trouver des organes au sein même du congrès de Washington. Dans une dis- cussion récente de cette assemblée au su- jet de la sécession, un de ses membres, M. Wallandigham a pris la parole pour

peuple américain lui-même, et particuliè- rement la population des États de l'Ouest, qu'il représente comme prête à étendre la main entre les combattants pour arrêter les progrès de cette grande plaie de la dés- union.

Un pareil discours, aussi librement dé- veloppé qu'accentué dans ses tendances, est assurément un des signes les plus cer- tains du mouvement qui se fait dans les es- prits à Washington même en faveur de la paix. On en trouvera un gage nouveau dans les correspondances publiées par les jour- naux, et qui s'accordent à constater le pitoyable état de l'armée. La défaite de Frédéricksburg a eu surtout ce terrible résultat de démoraliser complétement des troupes qu'une organisation vicieuse et une éducation militaire imparfaite avaient si mal façonnées au service. Les désertions ou les absences sont multipliées au delà de toute limite, les soldats n'ont plus la moindre confiance en leurs chefs, et ceux

الملحق رقم 05 : صورة الصفحة الأولى من جريدة **المرشد العام** بتاريخ 07 فيفري 1863، تاريخ نشر رسالة 06 فيفري 1863 المتعلقة **بالمملكة العربية** بإمضاء الإمبراطور نابليون الثالث.

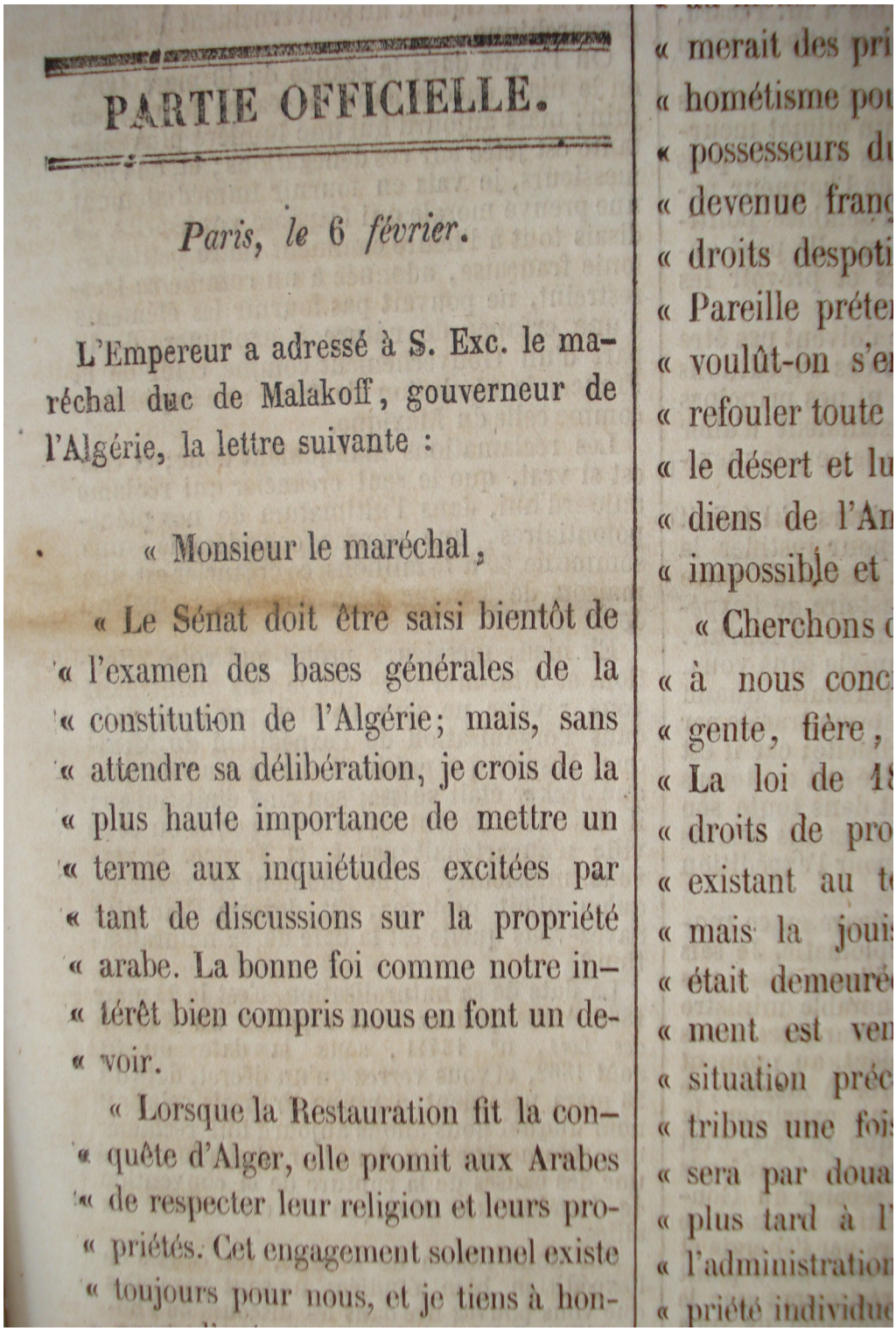

PARTIE OFFICIELLE.

Paris, le 6 février.

L'Empereur a adressé à S. Exc. le maréchal duc de Malakoff, gouverneur de l'Algérie, la lettre suivante :

« Monsieur le maréchal,

« Le Sénat doit être saisi bientôt de « l'examen des bases générales de la « constitution de l'Algérie; mais, sans « attendre sa délibération, je crois de la « plus haute importance de mettre un « terme aux inquiétudes excitées par « tant de discussions sur la propriété « arabe. La bonne foi comme notre in- « térêt bien compris nous en font un de- « voir.

« Lorsque la Restauration fit la con- « quête d'Alger, elle promit aux Arabes « de respecter leur religion et leurs pro- « priétés. Cet engagement solennel existe « toujours pour nous, et je tiens à hon-

« merait des pri
« hométisme pou
« possesseurs du
« devenue franç
« droits despoti
« Pareille préte
« voulût-on s'e
« refouler toute
« le désert et lu
« diens de l'An
« impossible et
« Cherchons
« à nous conc
« gente, fière,
« La loi de 1
« droits de pro
« existant au t
« mais la joui
« était demeuré
« ment est ven
« situation préc
« tribus une foi
« sera par doua
« plus tard à l'
« l'administration
« priété individu

الملحق رقم 06 : صورة لبداية رسالة 06 فيفري 1863.

الملحق رقم 07: صورة الصفحة الأولى من رسالة 20 جوان 1865 حول **السياسة الفرنسية بالجزائر**.

Monsieur le maréchal

La France possède l'Algérie depuis trente-cinq ans, il faut que cette conquêt devenne désormais pour elle un accroissement de force, et non une cause d'affaiblissement.

Sous tous les gouvernements qui se sont succédé, et même depuis l'établissement de l'Empire, près de quinze systèmes d'organisation générale ont été essayés, l'un renversant l'autre, penchant tantôt vers le civile, tantôt vers le militaire, tantôt vers l'Arabe, tantôt vers le colon, produisant au fond beaucoup de trouble dans les esprits et fort peu de bien pratique, Il s'agit aujourd'hui de substituer l'action à la discussion, On a bien assez ligifrée pour l'Algérie.

الملحق رقم 08: بداية رسالة 20 جوان 1865 (إعادة كتابة).

- 84 -

des subdivisions militaires et des bureaux arabes. Éviter les mutations fréquentes parmi les chefs de ces bureaux, et les maintenir au même poste aussi longtemps que le permet l'intérêt de leur carrière militaire. N'appeler comme chefs de bureau que des capitaines; admettre dans ce service les officiers des armes spéciales; les réduire à n'être que les officiers d'état-major des commandants de subdivision. Recommander expressément de ménager en toute circonstance l'amour-propre des chefs arabes, et laisser à ces derniers le commandement lorsqu'on réunit les goums.

7. Organiser la milice européenne en exemptant les jeunes gens tombés au sort, du service en France, et les placer dans la réserve en Algérie, suivant les règles établies pour la constitution de la réserve dans la métropole.

8. Augmenter l'effectif et le nombre des bataillons de turcos, et retrancher, en France, une compagnie par régiment d'infanterie. Chaque rengagement de turcos compenserait une exonération en France.

9. Améliorer les smalas de spahis, créer un régiment de marche et former un corps spécial pour les bureaux arabes.

10. Simplifier le système des fortifications et des servitudes.

IV.

RÉSUMÉ.

D'après ce qui précède, j'aime mieux, vous le voyez, utiliser la bravoure des Arabes que de pressurer leur pauvreté,

- 85 -

— rendre les colons riches et prospères, que d'importer à grands frais des émigrants étrangers, — maintenir nos soldats dans des positions salubres, que de les exposer au climat dévorant du désert. En réalisant ce programme nous oblierons, je l'espère, l'apaisement des passions et la satisfaction des intérêts. L'Algérie ne sera plus alors pour nous, comme je l'ai dit en commençant, un fardeau, mais un nouvel élément de force. Les Arabes, contenus et réconciliés, nous donneront ce qu'ils peuvent nous donner de mieux, des soldats; et la colonie, devenue florissante par le développement de ses richesses territoriales, créera un mouvement commercial éminemment favorable à la métropole.

Votre expérience et vos lumières, Monsieur le Maréchal, me sont un sûr garant du zèle que vous mettrez à réaliser tout ce qui peut concourir au bien de l'Algérie.

Sur ce, je prie Dieu, Monsieur le Maréchal, qu'il vous ait en sa sainte garde.

NAPOLÉON.

Fait au Palais des Tuileries, le 20 juin 1865.

. **الملحق رقم 09** : صورة للصفحة الأخيرة من رسالة 20 جوان 1865

PROVINCE DE CONSTANTINE.

ORGANISATION ET SITUATION
A L'ÉPOQUE DE L'OCCUPATION[1].

(OCTOBRE 1837.)

L'objet de la notice suivante est d'exposer quelles étaient l'organisation administrative et la situation matérielle du Beylik de Constantine, lorsque, au mois d'octobre 1837, après un siége glorieux, notre armée emporta d'assaut la capitale de la province.

Ce travail offrait de graves difficultés. L'administration turque n'avait, en général, qu'un petit nombre de documents écrits; en outre les fonctionnaires, presque toujours indépendants les uns des autres, traitaient toutes les affaires directement avec le chef de l'État. Cette organisation semblait fort simple; mais, comme la volonté du Bey était la règle suprême, on voyait se produire sans cesse des variations, des exceptions, des essais nouveaux, qui compliquaient à l'infini les errements de l'administration et qui en rendent aujourd'hui l'étude extrêmement difficile. D'autre part, lors de la prise de Constantine, les principaux agents du Gouvernement avaient suivi le Bey dans sa fuite, et ceux qui restèrent à notre service, conservant secrètement l'espoir de son retour, ne nous donnèrent que des renseignements incomplets et infidèles.

Parmi les matériaux employés pour rédiger cette notice, les uns ont été fournis par des personnes ayant exercé des fonctions importantes sous l'ancien Gouvernement; les autres sont des documents officiels dont la rédaction est antérieure à la prise de Constantine. Acceptés avec défiance, ils ont été soigneusement contrôlés par des observations faites sur place, dans la province elle-même. Telles qu'elles sont, ces informations suffisent pour donner une idée aussi exacte que possible de la situation du pays, au moment où nous avons été appelés par la victoire à le gouverner.

GOUVERNEMENT.

Lorsqu'après la conquête d'Alger par l'armée française, El Hadj-Ahmed Bey revint à Constantine, avec les débris des troupes qu'il avait emmenées au secours du Dey, il trouva les portes de la ville fermées. A la nouvelle de la chute du Dey, la garnison turque de Constantine s'était révoltée, avait déclaré la déchéance d'El Hadj-Ahmed et proclamé à sa place un Turc nommé Kuchuk-Aly. Le nouveau Bey, au milieu de la perturbation que les événements d'Alger avaient causée dans le pays, n'eut pas le temps de consolider sa puissance naissante; et lorsque Ahmed se présenta devant Constantine, appuyé par un parti assez nombreux de Kabyles, il lui fut facile, avec le secours des partisans qu'il avait dans la ville, de ressaisir le pouvoir.

(1) La notice que l'on va lire a été rédigée sur des renseignements recueillis et des recherches faites, en grande partie, par MM. *Urbain*, interprète de première classe, et *Warnier*, membre de la commission scientifique d'Algérie. Un grand nombre de pièces et registres ont été aussi dépouillés. Toutefois, ce travail ne peut recevoir encore une sanction officielle. Ainsi que la notice insérée dans le *Tableau de 1839*, sur la province d'Oran, celle-ci est publiée comme document d'un intérêt actuel, qu'une plus longue expérience permettra de rectifier et de compléter.

الملحق رقم 10 : صورة للصفحة الأولى من بحث أوربان حول إقليم قسنطينة .

NOTICE

SUR L'ANCIENNE PROVINCE DE TITTERI [1].

ORGANISATION DE LA PROVINCE SOUS LA DOMINATION TURQUE.

Les Turcs désignaient sous le nom de province de Titteri le pays soumis à l'administration du bey résidant à Médéah. Ce territoire avait pour limites : au nord, la première chaîne de l'Atlas, depuis la coupure de l'Oued bou Roumi pour pénétrer dans la plaine de la Métidja, jusqu'au Djebel Dira; cette frontière touchait, de l'ouest à l'est, les tribus des Soumatha, des Hadjout, des beni Salah, des beni Mouça, des beni Seliman, des beni Djâd et des Arib; au sud, les limites étaient marquées par la seconde chaîne de l'Atlas qui sépare les terres cultivées (Tell) des terres stériles (Sahra), en prenant l'extrémité orientale de cette ligne à moitié distance, à peu près, entre Thaza et Boghar, et son extrémité occidentale aux dernières pentes sud du Djebel Dira; à l'ouest, le cours du Chelif, au point où il quitte le nom de Nehar Ouassel, pour s'enfoncer dans le Tell, trace la frontière de la province; à l'est, enfin, elle est indiquée par la vallée qui sépare le Djebel Dira des monts Ouennougha.

Ce territoire, plus large vers l'ouest que vers l'est, n'est pas très-étendu, et la province de Titteri était le moins considérable des trois beyliks de l'ancienne Régence. Sa proximité d'Alger lui avait fait subir sans ménagements le régime d'apanages et de juridictions exceptionnelles que les grands dignitaires du divan faisaient créer à leur profit dans toutes les parties du pays. Aussi, en établissant les frontières de la province vers le sud, on a dû ne pas dépasser les limites du Tell, parce que les tribus du Sahra, qui entretiennent avec le Titteri les relations les plus intimes et les plus importantes, et qui, à ce titre, semblent devoir s'y rattacher, étaient soumises à des chefs spéciaux, et, comme on le verra par la suite, les dignitaires du divan possédaient des apanages jusque dans ces contrées. Au nord, on rencontre, envahissant sur le territoire du beylik de Titteri, les beni Seliman et les Mouzaïa, qui relevaient directement de l'agha d'Alger et lui fournissaient des spahis; à l'ouest ce sont les Ouled Antar, les Ouled Helal, les Gherib même, que leur position géographique enclave dans le Titteri, et qui obéissaient cependant, les uns au bey de l'ouest, les autres au Khodjat el-Khéïl, ministre des domaines à Alger; à l'est, l'Outhan de Hamza, après avoir été compris dans la province de Constantine, avait dépendu du Titteri jusque vers 1820, et avait ensuite été rattaché à Alger.

Mais ces empiétements, parmi les graves embarras qu'ils créaient à l'administration, produisirent d'heu-

(1) Cette notice a été rédigée, en 1843, par M. *Urbain*, interprète principal de l'armée d'Afrique.

الملحق رقم 11 : صورة للصفحة الأولى من بحث أوربان حول إقليم التيطري .

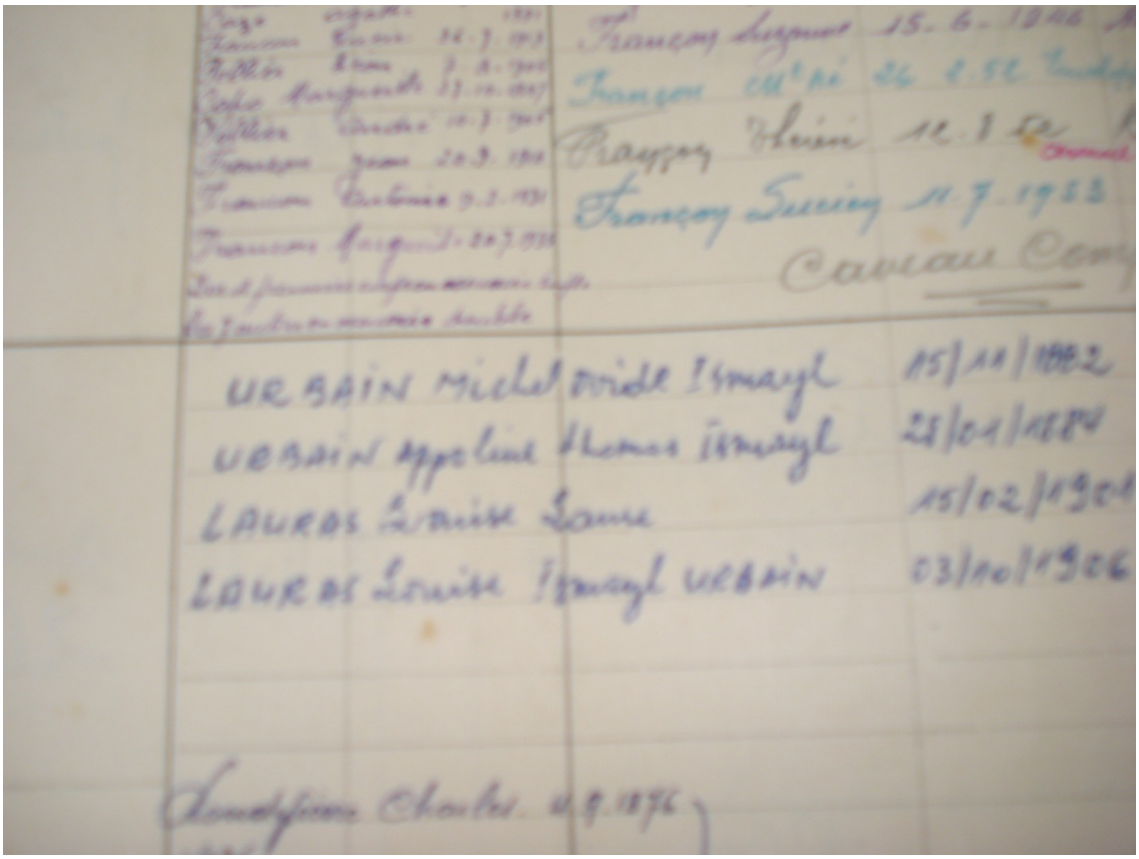

الملحق رقم 12 : صورة مأخوذة عن سجل الوفيات بالمقبرة المسيحية ببولوغين وفيها رفاة :

1- أوربان ميشال أوفيد إسماعيل (الابن) : توفي في 15 نوفمبر 1882.

2- أوربان أبّولين توماس إسماعيل (إسماعيل أوربان) كما هو مسجّل على وثائقه بالحالة المدنية كما مرّ بنا : توفي بتاريخ 28 جانفي 1884.

3- لوراس لويز لور : توفيت في 15 فيفري 1901.لا نعلم عنها شيئا حاليا، وربما تكون لويز أخت أوربان، لأن أوربان يذكر في كتابه السيرة...ص 99 أن أباه أنجب من أمّه أبناء كثر توفي بعضهم وهم صغار، ولذا كان قد عرف منهم أربعة ذكور هم :ألكسندر (*Alexandre*) وإيتيان (*Etienne*) و هو شخصيا (توماس)

و أوفيد الذي توفي فسمّى عنه ابنه فيما بعد.وثلاثة أخوات هنّ : آلمايد (*Almaide*) و لويز (*Louise*) و ليز (*Lise*).

4- لوراس لويز إسماعيل أوربان (الزوجة الثانية لأوربان) : توفيت في 03 أكتوبر 1906.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر باللغة العربية:

1- القرآن الكريم

2- جريدة المبشّر العدد 1847.

3- حمدان خوجة. المرآة. تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري.ط2. الجزائر. 1982.

2- المراجع باللغة العربية:

1- أجيرون شارل روبير. **تاريخ الجزائر المعاصرة**. ترجمة عيسى عصفور.ط2. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

2- بقطاش خديجة. **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1871**. الجزائر. 1992.

3- بوحوش عمّار. **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**.دار الغرب الإسلامي.لبنان.ط1. 1997

4- بوعزيز يحيى. **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1999.

5- تركي رابح. **عبد الحميد بن باديس. فلسفته وجهوده في التربية والتعليم**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

6- حوحو رضا. **مشروع السكة الحديدية الفرنسية في الجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار (1830 - 1914)**. رسالة ماجستيرـ قسم التاريخ. جامعة قسنطينة. 2005.

7- سعد الله أبو القاسم. **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**. ج3. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 1998.

8- سعد الله أبو القاسم. **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**. ج6. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 1998.

9- سعد الله أبو القاسم. **الحركة الوطنية الجزائرية**. ج 1- ق1. 1830- 1860. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989.

10- سعد الله أبو القاسم. **الحركة الوطنية الجزائرية**. ج 1- ق2. 1860- 1900. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 2000.

11- سعد الله أبو القاسم. **الحركة الوطنية الجزائرية**. ج 2. 1900 – 1930. ط3. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1983.
12- سعد الله أبو القاسم. **خلاصة تاريخ الجزائر. المقاومة والتحرير. 1830 – 1962**. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 2007.
13- سعد الله أبو القاسم. **محاضرات في تاريخ الجزائر**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط3. الجزائر. 1982.
14- سعيدوني ناصر الدين. **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العثماني"**. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984.
15- العلوي محمد الطيب. **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 – 1962**. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر. 1994.
16- عميراوي احميدة. **أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر وفلسطين)**. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. 2003.
17- عميراوي احميدة. **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**. ط2. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. 2004.
18- عميراوي احميدة. **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838 - 1858)**. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. 2004.
19- عميراوي احميدة. **من تاريخ الجزائر الحديث**. ط2. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر. 2004.
20- عواطف عبد الرحمان. **الصحافة العربية في الجزائر**. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1985.
21- فركوس صالح. **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844 – 1871**. منشورات جامعة باجي مختار. عنابة. الجزائر. 2006.
22- لقبال موسى. **تاريخ المغرب الإسلامي**. بد ط (منقحة). دار هومة. الجزائر. 2002.

23- ناصر محمد. **المقالة الصحفية الجزائرية. نشأتها، تطورها، أعلامها. 1903 – 1931**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1978.
24- نوار عبد العزيز والنعنعي عبد المجيد. **أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان. 1973.

3- المصادر باللغة الفرنسية:

1- *Delavigne. Paul.* ***Chemin de fer de L'Algérie****. Debos Frères. Alger. 1854.*
2- *Edouard- Henri Cordier****. Napoléon et L'Algérie****. Ancienne Imprimerie V. Heintz. Alger. 1937.*
3- *Emerit Marcel.****Les saint-simoniens en Algérie****. Edition les belles lettres. Paris.1941.*
4- *Enfantin.* ***Colonisation de L'Algérie****. Bertrand. Paris. 1843.*
5- *Gouvernement générale de L'Algérie****. L'Armée d'Afrique 1830 – 1930. son évolution, ses uniformes****. Préface du Maréchal Franchet- D'Esperey.*
6- *Julien Franc****. La Colonisation de la mitidja****. T4. librairie ancienne horone champion. Paris. 1930.*
7- *Levallois Anne.* ***Les écrits autobiographiques d'Ismayl Urbain****. Maisonneuve et Larose. Paris. 2005.*
8- *Ministère de la guerre****. Tableau de la situation des Etablissement français dans l'Algérie****. 1840 – 1844 – 1847.*
9- *Mac Mahon****. Mémoires du Maréchal de Mac Mahon, Duc de Magenta****. Librairie plon. Paris.*
10- *Napoléon* ***. Lettre de 1863*** *in Le Moniteur Universel 07 février 1863.*
11- *Napoléon* ***. Lettre sur la politique de la France en Algérie*** *. adressé au Maréchal de Mac Mahon, Duc de Magenta gouverneur générale de l'Algérie. Imprimerie Impériale. Paris 20 juin 1865.*
12- *Régnier Philippe****. Ismayl Urbain. Voyage d'Orient****. Suivi de Poème de Ménilmontant et d'Egypte. L'Hamattan. 1993.*
13-*REY-GOLDZEIGUER Annie. Le Royaume Arabe. La Politique Algérienne de Napoléon 1861 – 1870. SNED .alger. 1977.*
14- *Ribourt. F.* ***Le Gouvernement de l'Algérie de 1852 – 1858****. Paris. 1859.*
15- *Urbain Ismayl****. L'Algérie Française. Indigènes et Immigrants****. Un Manifeste pour une colonisation de l'Algérie. Préface Michel levallois. Séguier.*
16- *Urbain Ismayl****. Notice sur L'ancienne province de tetteri****. Dans Tableau de la situation des Etablissement français dans l'Algérie 1844.*

17- *Urbain Ismayl**. Notice sur la province de Constantine. Organisation et situation à l'époque de l'occupation**. Dans Tableau de la situation des Etablissement français dans l'Algérie 1840.*
18- *Voisin Georges**. L'Algérie pour les Algériens**. Michel Lévy frères. Paris. 1861.*
19- *Warnier**. L'Algérie devant L'Empereur** .librairie challamel aîné. Paris. 1865.*
20- *Warnier**. L'Algérie devant le Sénat**. Imprimerie de dubuisson. Paris. 1863.*
21- *Xavier yacono**. Les Bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'Ouest du tell algérois (Dahra, Chélif, Ouarsenis, Sersou)**. Edition larose. Paris. 1953.*

4- المراجع باللغة الفرنسية:

1- *Farrahi Farid et Ahcèn sid Ahmed. **Répertoire du fonds voirie et vicinalité.1843 – 1965**. (conserves aux archives d'Alger).*
2- *Fremaux Jac. **Les Bureaux arabes. Dans l'Algérie dans la conquête**. Edition denoél. Paris. 1993.*
3- *Levallois Michel**. Ismayl Urbain (1812 – 1884). Une autre conquête de l'Algérie**. Paris. Maisonneuve et Larose.2001.*
4- *Société des amis d'Ismayl Urbain et d'études Saint- Simoniennes**. Les Saint- Simoniens et L'Algérie**. Journée d'étude du 25 janvier 2003. Michel Levallois**. L'Algérie Française d'Ismayl Urbain et des Arabophiles**.*
5- *Yvonne Turin**. Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. 1830 – 1880**. ENAL. 2eme édition. 1971.*

5- المقالات باللغة الفرنسية:

1- *Massi Henri. Les études Arabes en Algérie 1830 – 1930.in **Revue Africain**.*
2- *Yver Georges. Enfantin et L'Emigration étrangère en Algérie. **In Revue Africain**.*

المواقع الإلكترونية:

1- *Dominique Chathiuant. Le rêve arabe de Napoléon . in **Wanadoo. Fr. Yekrik***
2- *Cahiers du Centenaire de l'Algérie in: **www. Aj. Garcia. Free. Fr**.*

فهرس المحتويات

شكر واعتراف	01
الإهداء	02
فهرس المحتويات	03
المقدمة	05
الفصل الأول: أوربان من التّشرّد إلى التنظير	14
1- النشأة	15
2- اكتشاف أوربان الشرق وإقامته في مصر	18
3- العوامل المؤثّرة في تكوينه الثقافي	22
4- نبذة حول الأوضاع العامة بالجزائر 1830 - 1870	35
5- قدوم أوربان إلى الجزائر	47
6- نشاطات أوربان بالجزائر	51
7- وفاة أوربان	60
الفصل الثاني: كتابات أوربان المتعلّقة بالجزائر	62
1- الكتب	63
1- 1- الجزائر للجزائريين	63
1- 2- الجزائر الفرنسية	72
2- الرسائل	77
2- 1- رسالة نابليون الثالث إلى الماريشال بيليسيي 06 فيفري 1863	77
2- 2- رسالة نابليون الثالث إلى الماريشال ماكماهون 20 جوان 1865	80
3- البحوث	85
3- 1- نبذة حول إقليم قسنطينة	85
3- 2- نبذة حول إقليم التيطري	87
4- التقارير	90
تقرير آنجلي حول حكم وإدارة القبائل العربية بالجزائر	90

93	**الفصل الثالث:دراسة أفكار أوربان (تحليل واستنتاج)**
95	1- إدارة وفهم المجتمع الجزائري
103	2- ملكية الأرض أو قانون سيناتوس كونسيلت 22 أفريل 1863
105	3- الأحوال الشخصية أو قانون سيناتوس كونسيلت 14 جويلية 1865
106	4- في الجانب الزراعي
113	5- في المواصلات
116	6- في الجانب الثقافي
124	**الخاتمة**
127	**الفهارس**
128	1- فهرس الأعلام
131	2- فهرس الأماكن والدول والمدن والقبائل
135	3- فهرس المصطلحات و اللجان والجمعيات
137	**الملاحق**
150	**قائمة المصادر والمراجع**